هكذا تكلم محمد بنسعيد

(الجزء الأول)



هكذا تكلم
محمد بنسعيد

(الجزء الأول)

الكتاب: **هكذا تكلم محمد بنسعيد**
المؤلف: **محمد بنسعيد آيت إيدر**

الطبعة الأولى، شتنبر، 2018.
القطع
17 / 24 سم
عدد الصفحات: 428 صفحة

الإعداد والإخراج
عبد الرحمن زكري

صورة الغلاف: **أيس بريس**

الناشر
مركز محمد بنسعيد آيت إيدر للأبحاث والدراسات
Centre d'Etudes et de Recherches M. Bensaid Ait Idder
9، زنقة بغداد. إقامة المارشال امزيان. الدار البيضاء
الموقع الالكتروني: *www.cerm.ma*
العنوان الالكتروني: *centre.bensaid@gmail.com*
الطبع
أوميكا غرافيك *Omega graphique*
67، زنقة 35، مجموعة 2 حي السدري. الدار البيضاء

رقم الإيداع القانوني
2018MO5002
الترقيم الدولي
978-9954-9176-8-8

تقديم

أَكْثَرُ من عشرة مشاريع، بين خطاطات أولية، ومسودات كتب ناجزة، بعضها أعمال توثيق وبعضها أعمال تأليف، ما تزال تنتظر في أدراج مكتب الأستاذ محمد بنسعيد آيت إيدر أن يحين دورها للنشر.

من هذا المجموع، لم يصدر لحد اليوم سوى ثلاثة كتب هي على التوالي "صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي"(2001/360ص)، و"وثائق جيش التحرير في الجنوب المغربي 1956-1959" (2011/253ص) ثم "الهيئة الريفية" (2018/254 ص).

ومن بين هذه الأعمال كلها، المنشور منها وغير المنشور، والتي تجمعها وحدة الموضوع ـرغم توزع ملفاتها الكبرى من حيث المجال بين الريف والشمال، وجيش التحرير في المنطقة الجنوبية، وفي المنطقة الشرقية، وحركة المقاومة المسلحة وتنظيماتها السرية في المدن، ثم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في الجزائرـ سيحتل هذا الإصدار الجديد، أعني كتاب **"هكذا تكلم محمد بنسعيد"** ، موقعا خاصا ومتفردا بدون أي شك.

فهذا الكتاب، الذي يمثل هذا الإصدار جزءه الأول، هو **أول نص، بل هو النص الوحيد الذي يحضر فيه الأستاذ محمد بنسعيد كسارد بضمير المتكلم، حيث الموضوع هو ذات الكاتب السارد نفسها، وحياتها وكفاحها... وحيث تخرج لغة السرد عن حدود الوظيفة المرجعية التي تطغى عادة عند الحديث عن الموضوعات**

الخارجية، أحداثا ووقائع وتواريخ، لتفتح هوامش معقولة للذات تعبر فيها عن أفكارها هي، وعن حالاتها ومشاعرها هي، إزاء تلك الموضوعات...وحيث يتوالى ظهور الأحداث والشخوص والشخصيات لا وفق مسارها الكرونولوجي الخطي في الزمان التاريخي، بل كما ترصدها عينُ السارد، وكما تُعيد تنظيمَها وجهةُ النظر التي تحكم سردَه فتترك على النص ما تترك من آثار تقطيعاً وتحقيباً وتبئيراً.

هذا الكتاب كنص، حتى وإن أمكن تصنيفه داخل خانة "**المذكرات**" الشخصية أو السياسية أو الفكرية، كما درج على ذلك تقليد سائد في هذا المجال، ينهض على كتابة تفيض في الحقيقة عن الحدود الإقليمية التقليدية "للمذكرات"، لتمتد خارجها على تخوم، و في تقاطعات الطرق بين هذا الجنس الأدبي وأجناس أخرى مجاورة له ومتداخلة معه كا**الأوتوبيوغرافيا**، وا**لاعترافات** و**الشهادة** أو **الرواية التاريخيتين**...

وهذا الكتاب كنص، لا يندرج تمام الا ندراج في هذه الخانة إن نحن أخذنا في الحسبان أيضا الطابعَ النمطيّ الذي يتكرر عادة في المذكرات، والذي يتعلق تحديدا **بخصوصية أسباب نزولها وبما يكون مؤملا من نشرها كغايات.**

فمن حيث خصوصية أسباب النزول، نحن نستطيع ملاحظة أن أغلب هذه المذكرات المنشورة، عند الآخرين، أو حتى عندنا، مع مراعاة الفروق، تأتي إجمالا في **سياق قطيعة ما تفرض نفسها من الخارج على مسار حياة كاتبها.**

قد تكون هذه القطيعة من النوع الاعتيادي، المهني مثلا، كأن ينتقل صاحبها من ضجيج وتوترات الحياة العملية النشيطة إلى هدوء وسكينة حياة التقاعد، وقد تكون من النوع الاستثنائي، الوظيفي، كأن ينسحب كاتبُها، رجل السياسة أو رجل الدولة، من الحياة العمومية، وحتى من العمل السياسي ككل، بعد إنجازات يكون قد حققها، وخصوصا بعد انكسارات يكون قد تعرض لها أو سبّب هو فيها، على إثر فشل قاس ومؤلم في رهان سياسي كبير غالبا...

أما ما يؤمل بعد ذلك من فعل الكتابة والنشر، فهو في الغالب الأعم، التفسير والتبرير... ونادرا، البوح والاعتراف، وأكثر ندرة منه النقد الذاتي والاعتذار.

هذا طبعا دون أن نغفل تلك الحاجة النفسية(العلاجية)، الثابتة الحضور دائما في خلفية هذه الحالات، والتي تمارس وظيفتها السرية المعتادة من وراء ظهر الكاتب، أي وظيفة التّنفيس الوجداني أو التطهير (الكاتارسيس)... هذا ما نجده عادة في "المذكرات" وفي أصل وخلفية كتابتها

●

أما **"سيرة"** الأستاذ محمد بنسعيد، فلا تندرج البتة في هذه الخانة، بل هي على العكس تماما، تتقدم كا**ستمرارية أصيلة قاعدتُها حصانةٌ وانسجام مع الذات لا تكسره عاصفة ولا يليّنه همٌّ أو هوى.** فالرجل، أطال الله في عمره ومنحه دوام الصحة والعافية ودوام هذه القدرة الاستثنائية فيه على العطاء بدون حساب، وهو الذي عاش عهودا تعاقب فيها ثلاثة ملوك لكل منهم أسلوبه، ماكان يخرج من ديناميكية تضيق وتنغلق إلا ليفتح ديناميكيات أخرى أكثر رحابة وتلاؤما دائما مع **الشروط الصعبة لبلد محكوم فوق ذلك بحجز ذاتي خاص أشبه ما يكون باللعنة. حجز تتضاعف وتتظافر فيه القوى من كل نوع ومن كل موقع،** ولا يتوقف فيه للأسف-في ما وراء كل طلاءات وبهرجة مظاهر التقدم المعروضة في الواجهة-تيار التراجعات الجارفة وحتى الانهيارات

الباطنية التي تهدّ في صمت مختلف أركان بنيانه. **وهي تراجعات وانهيارات تُساءَلُ قيادات المعسكر الآخر طبعا عنها ولا تعُفى من مسؤولية السماح بها بل والمساهمة فيها دائما على نحو من الأنحاء، حتى وهي تُقسِم بشَرفها في كل مرة على حسن طويتها ونبل نواياها...**

هكذا، من ديناميكية العمل السياسي في إطار حزب الاستقلال أولا، إلى ديناميكية المقاومة وجيش التحرير في الشمال وفي الدار البيضاء وفي الجنوب، إلى ديناميكية العمل السياسي مجددا في إطار الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، قبل الانعطاف الكبير، أخيرا ونهائيا، نحو اليسار الجديد: بدءا ب"منظمة 23 مارس" أولا، فمنظمة العمل الديمقراطي الشعبي، وحزب اليسار الاشتراكي الموحد، ووصولا إلى الحزب الاشتراكي الموحد... في كل هذا، **لا وجود يقينا لأية قطيعة دراماتيكية في مسار الرجل، لا في صيغة تقاعد، ولا في صيغة فشل وانسحاب ولا في أية صيغة أخرى... فهو يستمر دائما مناضلا سياسيا** في حزبه الاشتراكي الموحد وعضوا في مجلسه الوطني(اللجنة المركزية) من جهة، و **يستأنف** من جهة أخرى، في المركز الذي يتشرف بحمل اسمه، **شغفه بالقراءة والتدوين والكتابة** الذي لم ينقطع أو يفتر منذ أن انجذب لعالمها مبكرا كموضوع هوى أول وعقد معه ما يشبه ميثاقا أبديا.

وهذا الميثاق المستمر منذئذ، مايزال الأستاذ محمد بنسعيد إلى اليوم، في الثالثة والتسعين من عمره، يكرس لطقوسه بانتظام ما يزيد عن اثنتي عشرة ساعة من العمل في اليوم.

وأخيرا، بخلاف "المذكرات"، ف" **سيرة** " الأستاذ محمد بنسعيد، ليست كتابة لاحقة وبعدية عن أحداث يعود الكاتب لاستدعائها من الذاكرة بعد أن تكون قد مرت على وقوعها سنوات وعقود...إنها- على الأقل في جانبها المتعلق بسيرة الكفاح- **كتابة حيّة وسط المعمعة، وبمداد دافئ... وإلى ذلك، هي كتابة مدعمة بذخيرة من الوثائق المتنوعة** من رسائل وتقارير، بعضها، هو نفسه من كان دوّنها في ذلك الإبّان، وأعداد أخرى منها، استخباراتية وسرّية صادرة عن الدوائر الاستعمارية الفرنسية والاسبانية، أو متبادلة بين القيادة المركزية للمقاومة وجيش التحرير وتنظيماتها المحلية، أو هي مواد كانت صحافة ذلك الوقت قد نشرتها علاقةً بالأحداث.

و لكل ذلك، ربما حقّ لنا، رغم كل الفروق بين الذاكرة والتاريخ، أن ندرج كتاب " هكذا تكلم محمد بنسعيد" في ما نُقدّر أنه أقرب وأنسب خانة يمكن أن تحتضنه بصدر رحب، وهي خانة الشهادة التاريخية، ولمَ لا أيضا، نمط ما من التأريخ الاجتمــاعي السيــاسي والفكري مضمــوناً حتى وإن يكن الشكلُ سيــــرةً...

وقد يبرر تقديرَنا هذا أمران على الأقل متداخلان ومتضامنان، أولهما أن مؤلفه الأستاذ محمد بنسعيد ليس غريبا تماما عن الدرس التاريخي ولا عن أدوات وتقنيات العلم التاريخي أو "التخصص التاريخي" كما يحلو لجاك لوغوف تسميته- وهو الذي سبق له أن **درس وتمرس على البحث التاريخي، في جامعة فانسين،** حين كان ما يزال في وضعية لجوء بفرنسا **في أواسط السبعينيات، وحاز منها على شهادة الإجازة في التعليم.** وثانيهما أن الهموم الشاغلة في ممارسته الكتابية هي عيْنُها الهموم الشاغلة في ممارسته العملية، الاجتماعية والسياسية. ومن ذلك، حرصه الدائم على أن يُلْقيَ نظرته **كشاهد وكمراقب، حتى على الأمور التي كان هو فيها فاعلا، واستهجانه لكل تمجيد للذات، خصوصا عندما يتم الخلط بين التاريخ والسيرة الذاتية ويجري تحويل الأول إلى مطية وخادم للثانية، كما نرى هذه الأيام في عدد من "السيــــر الذاتيـــــة" المنشـورة في كتب أو على أعمدة بعض الصحف.**

أما أرشيف الرجل الخاص الذي يحوي آلاف الوثائق، والذي كان بناه خلال عقود بفضل شبكة علاقاته الواسعة مع مناضلين سياسيين ونقابيين ومع مقاومين سواء في المغرب-وعدد منهم سينخرط لاحقا في أجهزة مختلفة للدولة خصوصا في البوليس والجيش-أو في الجزائر أو في موريتانيا، كانوا له كلهم مصادر ثمينة لتكوين هذا الرصيد الوثائقي الهام، فقد عرف الأستاذ بنسعيد كيف يحرص عليه أكثر من أي شيء آخر ويوفر له من أسباب الأمان والحماية مالم يوفره حتى لشخصه.

وهنا، يستطيع المرء بالمناسبة، أن يفهم ويقدر تماما حجم الشعور بالأسى والأسف الذي ينتاب الأستاذ محمد بنسعيد، كلما استذكر ما ضاع أمام أعينه من كنوز وثائقية

أخرى، على رأسها الرصيد الوثائقي الهام الذي كان بحوزة الباشا الكلاوي في الجنوب، والذي لم يكن المسؤول والمتسبب في ضياعه أو تضييعه سوى بعض من أقرب أصدقائه إليه في المقاومة أنفسهم، وكذا الرصيد الذي كان بحوزة عبد الرحمان الصنهاجي في الشمال(الناضور)، والذي توجد أكثر من رواية حول الكيفية والقنوات التي يكون سُلِّمَ عبرها إلى أيدي أطراف معروفة في المعسكر المناوئ للمقاومة وجيش التحرير.

●

ستلفت انتباهنا في كتاب الأستاذ محمد بنسعيد، من حيث **الشكل**، لغته السهلة غير المتكلفة، وعبارته المقتصدة وخطابه الصريح والمباشر؛ فلا إطناب أو حشو، ولا لغة خشب، ولا لفّ ودوران أو رقابة ذاتية، كما لا أثر لتمجيد للذات أو لخطاب بطولي أسطوري حول أعمالها، رغم أننا لا نجد تعبيرا أخص لوصف مواقف لا تحصى من مواقف الرجل في امتحانات قاسية كثيرة، سوى البطولة؛ البطولة في العطاء...والبطولة في التضحية وفي الصمود والثبات...والبطولة في الوفاء للاختيارات والقناعات.

وسيلفتنا التوازن الحسابي الصارم والتكافؤ الدقيق في الأحجام بين أجزائه الستة والثلاثين المكونة له.

وسيلفتنا أكثر، حسن اختيار المؤلف لطريقة تنظيم وعرض المادة، عندما تجنب طريقة العرض الكرونولوجي التقليدي الرتيب والممل للمحتويات والوقائع، في مسارها الخطي، من نقطة بدايتها في الماضي إلى نقطة النهاية التي استقرت عليها في الحاضر، حاضر السرد...واختار بدلا عنها **طريقة عرض موضوعاتية شيقة حسب عناوين كبرى ناظمة** تتجاوز الثلاثين. أما العرض الكرونولوجي فلا يظهر أحيانا كعنصر ناظم، بصورة ما، سوى داخل كل عنوان من تلك العناوين على حدة.

ولقد أضفى هذا الاختيار على السرد انسيابية ورشاقة في التدفق تشد القارئ وتغريه بالمتابعة تماما كما لو كان يقرأ نصا روائيا.

●

وإذا كنا قد تركنا للقـــارئ شأن تقييـــم مضمون الكتاب والحكم عليه، فهناك مع ذلك أمران اثنان، يبقى واجبا التشديد عليهما في الختام؛ فأهمّ من أعمال الرجل وإنجازاته نفسها مهما تعددت وعظمت، ثمة **نهجٌ سياسي، وثمة بالخصوص مَلَكةُ حدسٍ فطرية،** يستند إليها ذلك النهجُ **أكثر من أي تحليل،** يمثلان **بؤرتيْ القوة غير القابلتْين للاحتواء، المميزتيْن لشخص الرجل ولمساره؛** فإضافة لإبائه وتواضعه الجمّيْن، ولنزاهتــه وصرامته مع الذات قبل الآخرين، والتي تبلغ حدّ "أن يدَه اليسرى-كما عبّر مرة بدقة وروعة أحد رفاقه في الحزب -لا تعرف ما تخبئه في جيبه يدُه اليمنى"، إضافة لذلك، جلب الأستاذ محمد بنسعيد إلى الساحة السياسية الوطنية، منذ عودته إلى المغرب في بداية الثمانينات نفَساً ونهجاً سياسييْن جديدين وحدويين، ديمقراطيين، جماهيريين، شعبيين وتقدميين... ومارس على الدوام، ضد النظام ومع الحلفاء. سياسة كبيرة، بمنظمة "صغيرة"...

حتى داخل منظمته نفسها(منظمة العمل الديمقراطي الشعبي)، لم تكن قليلةً المناسباتُ التي هزَمتْ فيها فطرتُه وحدوسُه تلك، أكثر تحاليل بعض رفاقه "واقعيةً" و"عقلانيةً" وأروعها بلاغة وتماسكاً وتحذلقاً، لما راح هؤلاء، في أحد أشد فصول معركة إصلاح النظام السياسي ببلادنا حسما وقساوة (دستور 1996)، ينظّرون ل"سياسات جديدة"، ولفُهوم جديدة ل"ميزان القوى"...لم تكن في حقيقتها سوى استعادة وتحديث متأخريْن ل"الماركة" الأصيلة المسجلة حصريا في هذا الباب، لصاحبها القائد الوطني الشيوعي الكبير الراحل علي يعتة رحمة الله عليه، الذي كانت له على الأقل فضيلة الجهر بها في الوضوح والعلن. وهي الفهوم التي لن تتأخر

كثيرا كل القيادات "المحنّكة" في المدارس السياسية الوطنية الأخرى، بلانكية، واجتماعيةـ ديمقراطية، في أن تكتشف فيها ـوهي تعود إلى بيت الطاعة في صمت، وبدون أي نقد ذاتي كما العادة - ما أمّلت أن يكون فيه ترياقُها الشافي، وخصوصا عوَضُها "المستحق"، عن كل تضحيات وأحزان عقود من النضال في موقع المعارضة.

نعم، أكثر من شخص هنا وهناك، وأكثر من جهة، قد يرون في الأستاذ محمد بنسعيد، ولأسباب غير خافية، مصدر إزعاج وإحراج... و مع ذلك، وعلى العكس تماما مما قد يُفترض أو يتوقع، ليست له بالقطع عداوات شخصية ولا حزازات ذاتية مع أي كان... حتى ضمن خصومه السياسيين.

أما الشعب، وأما فئات وشرائح واسعة فيه من الكهول الصامدين المرفوعي الهامة نساء ورجالا، ومن شابات وشبان هذه البلاد الرائعين، الواعين والمقدامين، فقد حملته في القلب، قبل أن يُتاح لها أن تحمله على الأكتاف.

●

هذا هو الكتاب الذي يسعدنا اليوم في مركز محمد بنسعيد آيت إيدر للأبحاث والدراسات أن نضعه بين أيدي الباحثين والمهتمين وعموم القراء.

وهو كتاب يأتي في توقيت مناسب تماما، نشهد فيه بعض الحيوية والتراكم في هذا النوع من الكتابة لن تكون بالتأكيد آخر ثمراته هي مذكرات الأستاذ **عبد الرحمان اليوسفي شافاه الله وأطال عمره** "أحاديث في ما جرى، شذرات من سيرتي..."، التي صدرت مؤخرا وأثارت ما أثارت من نقاشات وخصوصا من تباينات في التلقّي والتقييم لا يمكن الجزم في ما إذا كانت ترجع كلّها إلى المذكرات ذاتها أم إلى الانتظارات التي بالغت ربما في رفع سقف التوقعات، ولا مذكرات الوطنيْين

والمقاوميْن الكبيرين اللذين فقدناهما تباعا في السنوات الأخيرة المرحومين **الغالي العراقي** (2013) و**بلمختار الأنصاري**(2018)، والتي يعمل مركز محمد بنسعيد للأبحاث والدراسات على استكمال الإجراءات والتحضيرات من أجل إعدادها للنشر وتقديمها للقراء في زمن منظور وقريب..

والمؤمل، أن يُلقيَ هذا الكتاب أضواء أخرى مغايرة على عدد من الإشكالات المطروقة التي ترجع باستمرار مجدّدة معها دورات عوْد أبديّ لآلام عهود رصاص مايزال تاريخنا وذاكرتنا الوطنييْن يئنان تحت وطأتها، ومايزال الممسكون بخيوط الحل والعقد إلى اليوم ماضين قُدماً في عَماهُم يتلَهّوْن بأن يمنعوا دائما، عند كل استحقاق، تقديم الدواء الشافي، أو هم على الأقل يزورونه، عند ما يضيـق عليهم تحت الضغط هامش المنـاورة، فلايجدون بدّا من فعل شيء ما.

والمؤمل أيضا أن يكون هذا الكتاب قد **بادر إلى نبش إشكالات أخرى غير مطروقة فاتحا فيها ثغرات أولى قد تشجع فاعلين وشهودا آخرين من مقاومي الأمس من أجل تحرير التراب الوطني، على استئناف حركة مقاومتهم اليوم، وقد تم تجديدها وتحيينها، وذلك من أجل تحرير مربعات أخرى في مساحة الذاكرة الوطنية لهذا البلد من سلطة إرادة الطمس والتزوير والمحو وما تنتجه مفاعيلها الثانوية، على الضفة الأخرى، من تقاليد وأعراف صمت وكتمان وكبت، ماتزال حتى إشعار آخر مصونة ومرعية.**

وهذه على كل حال معركة أخرى، من أجل حقوق أخرى ليس أقلّها حق الذاكرة، وحق معرفة الماضي كما جرى، لا كما ركّبته وكرسته الإيستوريوغرافيا الرسمية.

يبقي أن ننوه في الأخير بالجهد الهام والمشكور الذي كان قد بذله كل من الصحافي عبد العالي الدمياني في إعداده لمقتطف من مادة هذا الكتاب سبق نشره بإحدى الجرائد المغربية(الأحداث المغربية)، والصديق الأستاذ أحمد حبشي الذي تفضل بإعادة رقنه لذلك المقتطف، والذي نورده في هذا الإصدار منقحا ومزيدا.

وأدمجنا في هذا الإصدار أيضا، عددا من المواد الأخرى استخلصناها من كتابات وحوارات وأحاديث، كان الأستاذ بنسعيد أدلى بها لمنابر أخرى، ضمنها قنوات تلفزيونية وطنية ودولية.

كما يبقى أن نشير على سبيل التوضيح من ناحية ثانية، إلى أن الأستاذ محمد بنسعيد لايتحمل سوى مسؤولية متن الكتاب. أما ما سوى ذلك، بدءا من **الشهادات** الملحقة في حقه (التي استخلصناها من مواد المناظرة الدولية حول الفضاء المغاربي التي سبق للمركز تنظيمها عام 2012 بالدار البيضاء)، مرورا بعنوان الكتاب وصورة غلافه، ووصولا إلى **الفهارس** الجامعة والشاملة لكل أسماء **الأعلام** و**الأماكن**، **والتنظيمات، والمؤسسات الإعلامية االسمعية البصرية، والتعليمية، والتجارية...** وكذا **للقبائل**، التي أتى الكتاب على ذكرها ـ والتي عيّنا الصفحات التي يرد فيها كل اسم على حدة بالترتيب الأبجدي، تقديرا منا أنها ستسهل على القارئ، وخصوصا على الباحثين والمتتبعين من الصحافيين، عمليات تصفح للكتاب قد تكون خاصة وغير تقليدية، تفرضها حاجات نوعية لا يبقى معها فعلُ القراءة خطيّا وتقدميا دائما بالضرورة...وكفيناهم جميعهم عناء كانوا سيجدونه مضنيا وزائدا ـ...كل ذلك، وحدنا نتحمل المسؤولية الكاملة في ما قمنا من اختيارات فيه، سلبا أو إيجابا.

عبد الرحمن زكَري
المحمدية، 20 غشت، 2018



محمد بنسعيد آيت إيدر

أول صورة شخصية في مراكش/ 1950



هدى
محمد بنسعيد آيت إيدر



عثمان
محمد بنسعيد آيت إيدر

[1]

نشأت يتيم الأم
في عائلة ميسورة بالجنوب...



اسعيد بن محمد بن إيدر(الأب)

وُلِدْتُ عام 1925 بقرية تينمنصور باشتوكة آيت باها، وسط عائلة متوسطة تمتهن الفلاحة والتجارة، وتتمتع بنفوذ كبير بالمنطقة.

حرمت من حنان الأم وأنا في سن الطفولة، فقد توفيت والدتي وعمري لم يتجاوز السادسة، وهكذا نشأت يتيما بالرغم من أن والدي تزوج بعدها بوقت قصير.

ما تحتفظ به ذاكرتي عن هذه المرحلة هو أن زوجة والدي الجديدة، أدخلت إلى بيتنا المشبع بتقاليد بيئة الفلاحين نمط حياة مختلف، وعوائد أخرى لا عهد لنا بها نظرا لأنها كانت سيدة حضرية تنحدر من المدينة. فبلمسة واحدة من زوجة والدي هذه تبدلت كثير من عاداتنا البيتية في الأكل والتربية والسلوك.

تميزت العائلة مثلما أشرت بمزاوجتها بين مهنتي الفلاحة والتجارة، فالعم الكبير كان فلاحا في حين اشتغل والدي بتجارة المواشي، يشتري الجمال من جنوب الصحراء ويبيعها بمراكش. ثم يبتاع الخيول من المدينة الحمراء ويعيد بيعها بالجنوب. هذا النشاط التجاري جعل العائلة ترتبط بشبكة من العلاقات الاجتماعية والاقتصادية الواسعة بالمنطقة، بحيث أصبحت دار آيت إيدر محل تلاقي الفعاليات التجارية والاجتماعية والثقافية، وقبلة للاحتفال بالمناسبات والأعياد.

كنت وأنا طفل أعاين بعين الدهشة هذه الحركية وأتابع باهتمام زيارات الضيوف. في هذه اللقاءات بدار محمد سعيد آيت إيدر كانت تتناهى إلى مسمعي أصداء ما يجري في مراكش وأكادير ومناطق الجنوب، الأمر الذي كان يولد عندي مجموعة من التساؤلات وينمي لدي الفضول لمعرفة المزيد. وأتذكر في تلك السن قوافل الجيش الفرنسي من المرتزقة، وهي تعبر بالقرب من قريتنا في اتجاه الجنوب بآيت باعمران، لمواجهة بقايا المقاومة المغربية التي كان قادها بداية الحماية مولاي أحمد الهيبة واستطاع في أوج قوته أن يوسع عملياته المسلحة لتبلغ حتى مركز سيدي بوعثمان (شمال مراكش).

في تلك الفترة لم تكن ثمة طرق معبدة ولا بنيات تحتية، فكانت قوافل الجيش الفرنسي تتوقف بالقرب من قريتنا للمبيت، وتستعين بالعربات المجرورة بالخيول لنقل العتاد الحربي ومواد التموين.

مشاهد كثيرة عن الاحتلال انطبعت بذاكرتي وأنا طفل، غير أن ما علق وترسخ بقوة بوعيي عن جبروت المستعمرين، وإن يكن بشكل غامض، هو تلك الخدمات الإجبارية وأعمال السخرة التي فرضتها القوات الفرنسية على أبناء المنطقة، لإنشاء بنيات تحتية، من شق للطرق وبناء لمنشآت إدارية، بما فيها مقر الحاكم الجديد وضابط الشؤون الأهلية، والثكنات العسكرية ومرافق أخرى لحماية الوجود العسكري للمحتل.

وثمة صورة أخرى لا تقل بشاعة عن سابقتها، تفضح الوجه الحقيقي للاستعمار الفرنسي، تجلت في فرض الضرائب على الفلاحين المغاربة. كانت الحماية بعد أن ثبتت نفسها إداريا بالمنطقة تعيّن بعض شيوخ القبائل أو القياد من المغاربة الخاضعين لسلطات ومراقبة الضابط الفرنسي، من أجل تثبيت الأمن وجباية الضرائب على أراضي الفلاحين وماشيتهم. وقد تم تعيين عمي شيخا اعتبارا لانتمائه إلى عائلة كبيرة ولكونه واحدا من الوجهاء، وتحولت دار آيت ايدر إلى مركز لتسجيل الضرائب سنويا، يحضره القبطان مرفوقا بالقياد والسلطات المحلية لتقييد أسماء دافعي الضرائب. وفي جو من خضوع الساكنة، كانت سطوة المعمر تعبر عن نفسها بشكل سافر.

كان والدي يعزنا نحن أبناءه، فهو بحكم تجارته لم يكن يمكث كثيرا بالبيت. كان يستهلك وقته في السفر بين مراكش ونواحي الصحراء، وقد عودنا كلما عاد من إحدى رحلاته أن يجلب لنا هدايا. أما الشيء الوحيد الذي كان يتشدد فيه معنا كثيرا فهو ذاك المتصل بتعليمنا، إذ كان يمنح للفقيه سلطة مطلقة في معاقبتنا. هذا الأخير، باسم التربية وحفظ القرآن لم يكن يتورع عن استعمال العنف وأحيانا ممارسة التعذيب من قبيل استخدامه لقلم حاد من القصب يقرص به ما تحت ذقوننا إلى حدّ الإدماء، لذلك كنا نحن التلاميذ نرتعب من هذا الفقيه الذي كان سببا في تأجيج رغبتي في الابتعاد عن القرية والالتحاق بمدرسة أخرى.

علاقتي بزوجة أبي كانت عادية، لكن بحكم عيشنا في منزل عائلي كبير، كنت وإخوتي فاطمة وإبراهيم وعمر. الذي تركته والدتي وقت رحيلها رضيعا، نجد الملاذ والحنان عند عمتيْنا، نلجأ إليهما للتلذذ بطبيخهما، والاستمتاع بحكاياتهما الخرافية التي كانتا تحضّراننا بها للنوم. وقد عانى أخي عمر الذي تناوبت على تربيته بعض خادمات البيت وعمّتاي من غياب الأم أكثر منا نحن إخوته. ودفعني هذا الواقع إلى الخروج من المنزل في سن مبكرة طلبا للعلم وسعيا للاستقلال عن الأسرة.

لم يكن عمري يتجاوز الرابعة حين التحقت بالمسيد (الكتّاب) الكائن بقريتنا. حفظت القرآن، وتمكنت من إخراج 13 سلكة من ستين حزبا، استظهارا واحدا بثلاث قراءات منها قراءة المكي(...)

كنت قد بلغت الثالثة عشرة عندما انتقلت بموافقة والدي إلى المدرسة الشيشاوية، إحدى مؤسسات التعليم العتيق القريبة من قريتنا لدراسة الفقه والنحو، غير أني لم أقض بها سوى سنتين، وقد كنا فيها عددا محدودا من الطلبة محكومين بالعزلة.

وارتأيت أن أغيّر المدرسة بحثا عن فضاء أكثر حياة وحيوية يساعدني على الاستقلال بشخصيتي والانعتاق من وصاية العائلة ومن مسايرة تقاليدها المفروضة.

في بداية الحرب العالمية الثانية التحقت بمدرسة سيدي أبي عبد الله، الواقعة في نواحي سيدي إفني في منطقة وسط بين النفوذين الفرنسي والاسباني.

يسّر لي الوضع المادي المريح لعائلتي سعيي للانتقال بعيدا عن بيت الأسرة والاستقلال بنفسي.

وقد صادف دراستي بمدرسة أبي عبد الله مجيءُ ما سمي ب"عام البون" الذي ارتبط بتوزيع المواد الغذائية الأساسية بالرخص. ونظرا لممارسة والدي التجارة وانتمائه لعائلة لها نفوذ بالمنطقة، فقد أُسنِد إليه توزيع السكر والزيت وغيرهما من المواد الغذائية، ووجدتني أربط علاقات بأعيان آيت باعمران وإيفني بفضل انتمائي لدار آيت إيدر، وأنخرط في بعض المعاملات التجارية فأبادر بشراء رخص المواد الغذائية(البونات)، وأعيد بيعها في المدرسة بالتقسيط بقصد تدبير أموري المالية. وبفضل عائدات هذه التجارة المتواضعة جعلت من غرفتي بداخلية المدرسة ملتقى للأصدقاء والمعارف، ونافدة أستقي منها الأخبار في وقت لم تكن فيه عندنا هناك لا جرائد ولا راديو...

وأحب أن أشير إلى أن مدرسة سيدي أبي عبد الله، كانت تعيش على ما تمونه بها القبيلة، علما بأن هذه الأخيرة كانت هي نفسها تعاني من الفقر والحاجة، وهو ما انعكست نتائجه على تغذية الطلبة، الذين كان عددهم يفوق الستين وأغلبهم ينحدر من أسر متواضعة.

حقيقة، لم أكن أقاسي مثلهم لأنني حاولت مساعدة نفسي، لكن الاهتمام بالحرب التي شكلت وقتذاك الاهتمام الأساس كان يخفف عنا، خصوصا حين نسمع عن الانتصارات التي كانت تحققها دول المحور، فكثير من الناس كانوا يتعاطفون مع هتلر(أدولف) عملا بالقاعدة التي تقول عدو عدوي صديق.

فتحت لي إقامتي بالقرب من منطقة سيدي إيفني إمكانات وآفاقا للتعرف على كل جديد يرد من باقي أنحاء المغرب، ومعاينة أعمال البطش اللاإنسانية والوحشية للقوات الاستعمارية إزاء المغاربة في فترة حرجة، تميزت بالمجاعة وانتشار الأوبئة وكثرة الوفيات، إلى درجة أن مشاهد الجثث المتراكمة بشوارع المدن والقرى كانت تترك في النفس إحساسا عميقا بالأسى والفجيعة.

لم يكن المناخ الاستعماري الجاثم على أنفاسنا يعني أن حياتنا كانت خالية تماما من المسرات. أبدا، فقد كانت المناسبات الدينية والأعياد الوطنية التي يتشبث المغاربة بإحيائها تمسكا منهم بهويتهم وبوطنيتهم، مناسبات أيضا للاحتفال وإبراز شتى تعبيرات فرحهم وبهجتهم.
وأتذكر تلك المواسم السنوية عندنا في الجنوب، حيث كانت العوائل تتزاور في ما بينها وتحيي الأفراح عبر أنواع من الاحتفال ك "أهياض"، وهو لون غنائي يتقابل فيه صفان من قبيلتين مختلفتين، يفخر كل منهما بأمجاده ويكيل الهجاء للآخر، و"أحواش" وهو لون موسيقي يتميز بالرقص دون غناء.
كنا كأطفال ننتظر مثل هذه المناسبات لكسر رتابة حياتنا. وكان عندنا في البيت عبدة اسمها مزوارة، استجلبها عمي معه رفقة ابنين لها منذ أن كنا صغارا. والواقع أنه لم يكن قط بيننا وبينهم أي تمييز، فقد دأب كل أفراد العائلة على معاملتهم باعتبارهم من أهل المنزل، لا خدما أو أغرابا. كان أحدُ ابنيْ مزوارة، ويُدعى سالم، يُجيد رقصة

أحواش، ويتوفر على لوازمها من لباس خاص وتوابع، وكان يأخذني معه كلما كان ثمة حفل أو عرس أو سهرة في المنطقة.
أذكر كيف أن أحد أبناء المنطقة كان يعيش بالمحمدية(فضالة)، أحضر في إحدى المناسبات فونوغرافا. كان ذلك حدثا في القرية التي تجمهرت حول هذا الجهاز الموسيقي العجيب الذي لم يسبق أن رأينا مثيلا له في الغرابة.

وأذكر أيضا أن أحد أبناء قريتنا، وهو السيد امبارك نايت الحوس على ما أعتقد، عاد من الجزائر، وقد جلب معه مصباحا يدويا (بيل)... كان شيئا غريبا عني وكنت ألاحق به الناس بالليل فرحا به إلى أن نفذت بطاريته، فظننت أنه ربما لا يشتغل بالنهار...

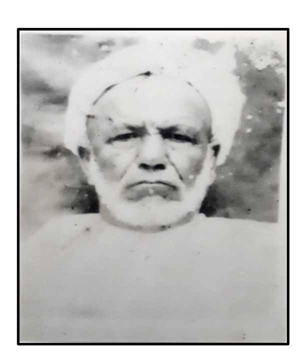
هذان حدثان بسيطان لكنهما يترجمان الحال التي كنا عليها وحجم العزلة التي كنا نعيشها.



ددّا مبارك نايت الحوس الذي أهداني المصباح اليدوي وعمري عشر سنوات



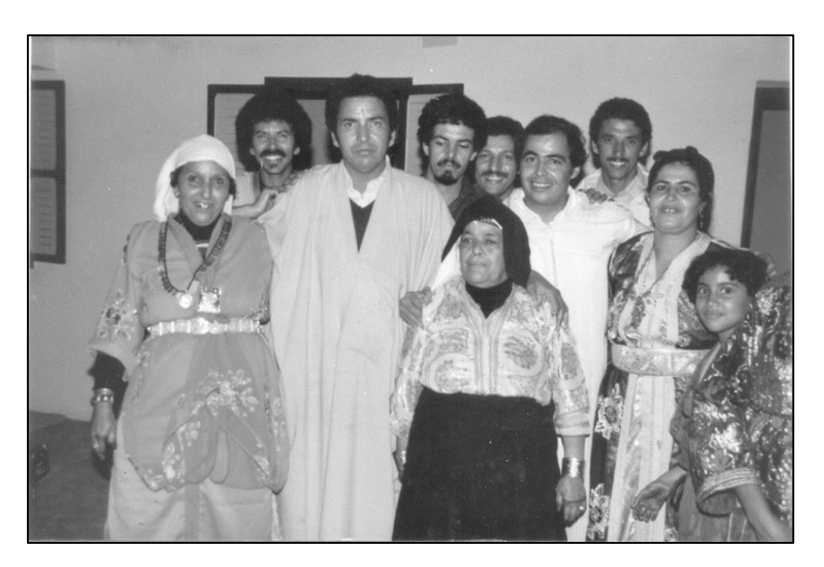
محمد بن علي



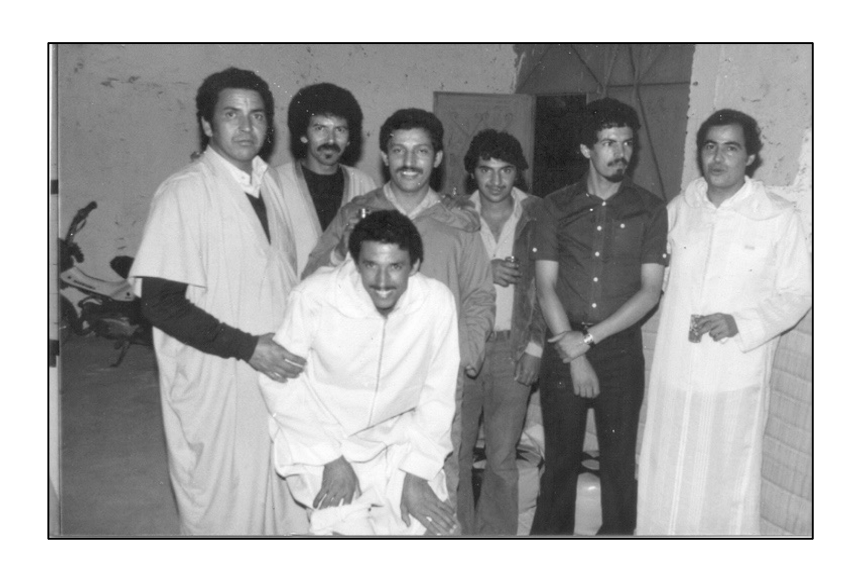
(العم الأكبر)
الحاج الحسين بن محمد بن إيدر



فاضمة الحوس(علي اليمين جالسة) زوجة الحسين بن محمد
جمعة بنت الحاج الحسين بن محمد على اليسار(واقفة)



من حفل زفاف علي بنسعيد(العم الأصغر/ 1982)
في الصورة: أبناء الحسين واسعيد
آيت إيدر مع رقية أحمد



أبناء اسعيد والحاج الحسين وبعض أحفادهما1981



حسن صفي الدين وزوجته فاطمة صفي الدين
ومحمد بنسعيد وزوجته سعيدة صاطف



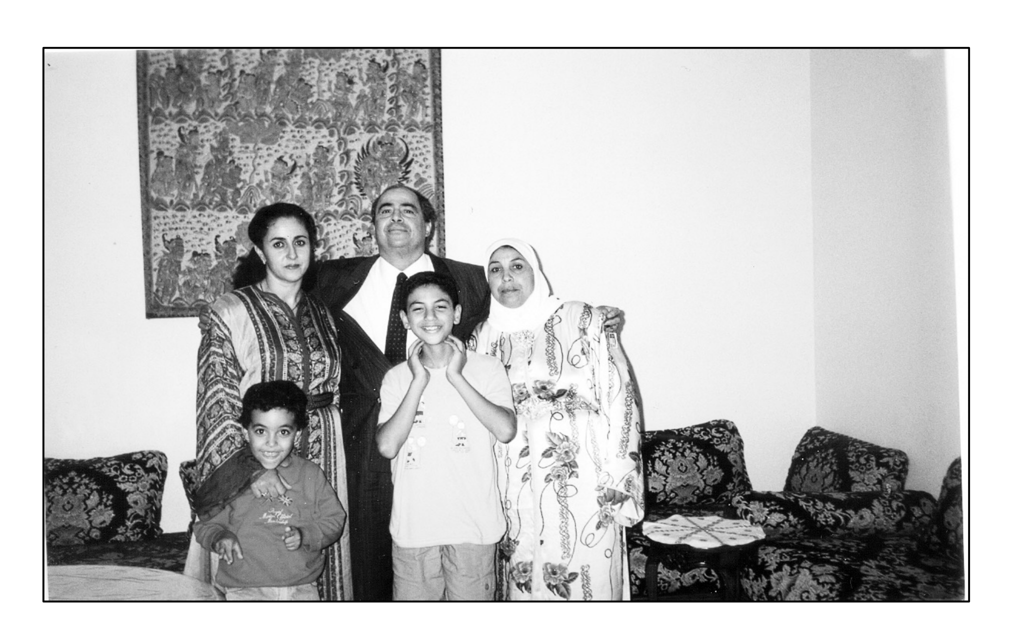
حفل زفاف لطيفة / 1994
وقوفا من اليمين إلى اليسار: لحسن(3)، ابراهيم(4)، رقية، علي(6)
جلوسا: حفصة حبيب، محمد بنسعيد، فاطمة، زينة، عمر



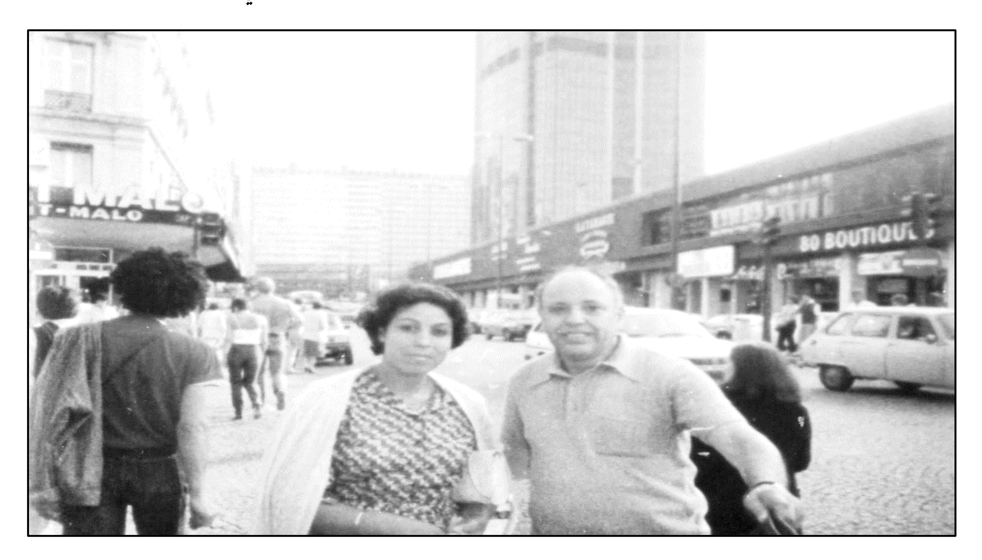
عبد السلام حبيب وفاضمة الحوس زوجة علي بن محمد بنسعيد ومن بعده
الحاج الحسين بن محمد/ 1981



آيت إيدر علي بنسعيد مبارك بن الحاج الحسين
فاطمة دحمان(أم امبارك)
وعبد السلام حبيب



علي آيت إيدر (الأخ)
على يمينه زوجته لمياء الحناوي، وعلى يساره سعيدة صاطف زوجة محمد بنسعيد وأمامهم عثمان بنسعيد آيت إيدر(الأكبر) وعمر آيت إيدر(ابن علي)

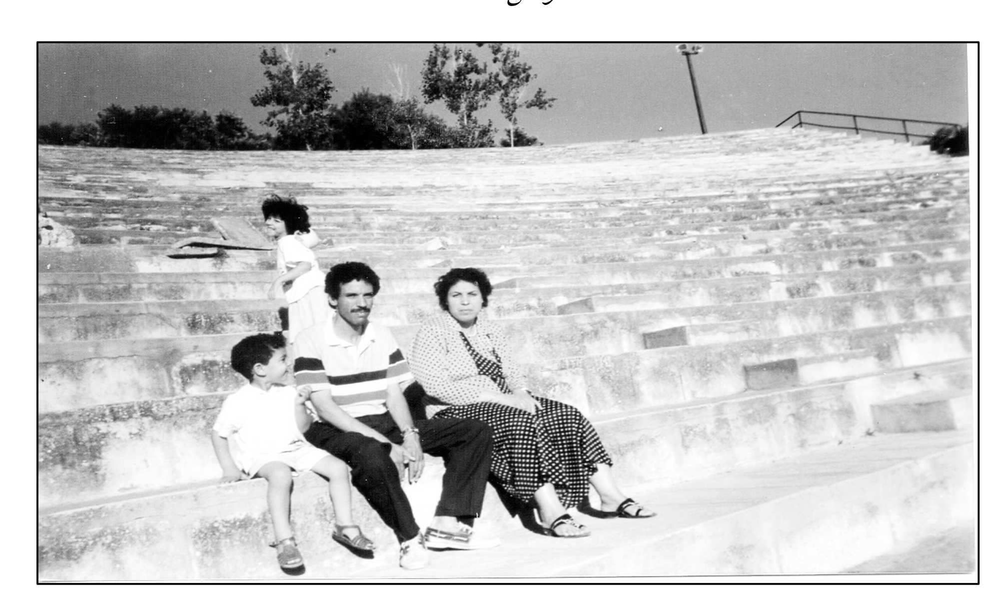


محمد بنسعيد وزوجته سعيدة صاطف
في لشبونة(البرتغال)/ عام 1983



محمد بنسعيد رفقة زوجته سعيدة صاطف والأبناء هدى وعثمان

تونس 1991



سعيدة صاطف وعباس صاطف وهدى وعثمان

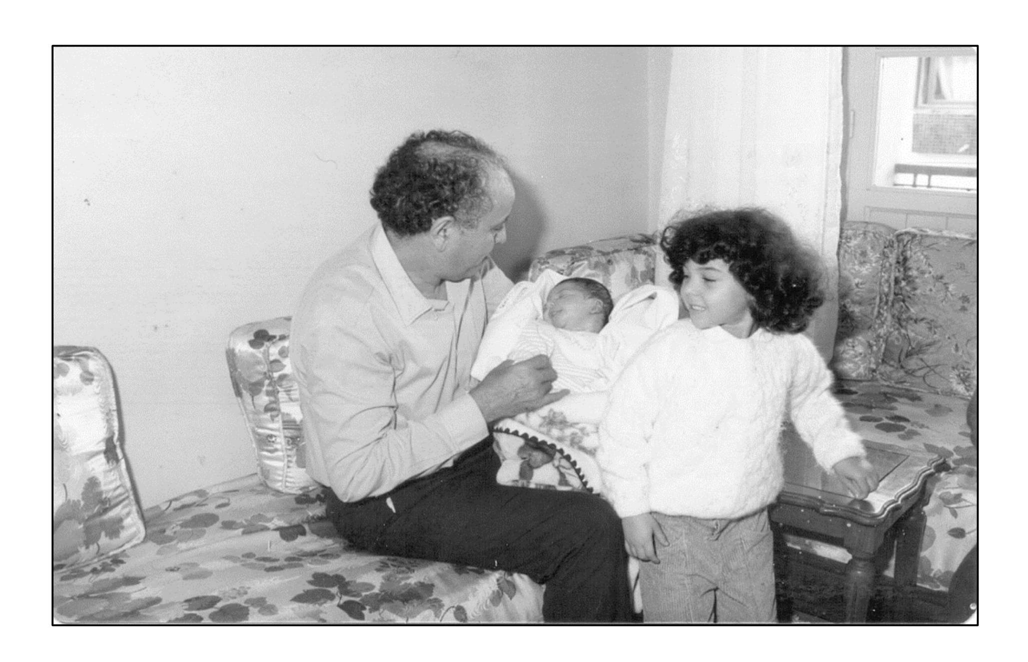
مسرح قرطاج / تونس / 199

[2]

عائلة آيت إيدر

شَهِدَت بداية العشرينيات من القرن الماضي المحطات الأخيرة من حملات الاحتلال الاستعماري الفرنسي والاسباني. وقد عاينت وأنا طفل صغير لا أتجاوز السابعة من عمري، كما أشبرت آنفا، قوافل من اللفيف الأجنبي كانت تتوجه نحو الجنوب حيث تدور معارك شرسة يواجه فيها مجاهدو قبائل الأخصاص وأولاد جرار وآيت باعمران تحالف الجيشين الفرنسي والاسباني في معارك بطولية مشهورة كتلك التي سقط فيها أحد أعمدة الاحتلال، القائد حايد أنمّايس، ومثلت إحدى خواتم الاحتلال بالجنوب المغربي

كانت قبائل اشتوكة آيت باها آنذاك ماتزال غارقة في مخلفات حروب الاحتلال من فوضى في دائرة الحكم وانعدام للاستقرار... ومن ذلك، ما تعرض له جدّي محمد



مع هدى وعثمان



العائلة الصغيرة بمناسبة زفاف وديع

1996

محمد من قبل الحاكمين بحيث حكم عليـــه بالطرد من قريته تينمنصور إلى أقاصي الجنوب بقرية كرايزيم المحسوبة على قبائل آيت باعمران. كما اضطر ابنه البكر الحسين بن محمد آيت إيدر إلى الهجرة والفرار إلى شنقيط بأقاصي موريتانيا، حيث يمارس التجارة المتنقلة، وحيث سبق له أن اشترى الخادمة السيدة مزوارة مع ابنيها سالم والعربي. ولن تنتهي هذه الحياة الشاقة سوى بتدخل أصدقاء العائلة القريبين من أوساط الحاكمين، وهي التي مكنت الجد محمد بن إيدر من جمع شمل العائلة والعودة إلى قريته الأصلية تينمنصور حيث ستعرف العائلة أخيرا بعض الاستقرار.
خلّف جدّي محمد بن إيدر ثلاثة أبناء وأربع بنات، وهم على التوالي الحسين، سعيد علي، فاطمة، فاضمة، ممّاس، وعائشة.

وكانت علاقات أبناء العائلة الذين ترسخت مكانتهم بفضل النجاح الباهر في مجالات الفلاحة والتجارة، تدور وتتقوى من خلال علاقات المصاهرة مع عائلات ذات إمكانات وموقع اجتماعي محترم أو قريبة من محيط المخزن القديم أو الجديد؛ فالحاج الحسين مثلا تزوج بالسيدة فاضمة دحمان المنحدرة من أحد حكام الأمير الهيبة بآيت ادليم، وسعيد تزوج بالسيدة خليج بنت أحمد من عائلة إد القاضي بقرية أغبالو دائرة ماسة، وهي نفسها بنت أخ القائد محند والذي قامت سلطات الحماية بنفيه إلى مدينة الصويرة بعد عزله عن حكم الهيبة، أما أصغر الأبناء، علي بن محمد فقد اقترن بالسيدة فاضمة الحوس من عائلة فلاحين أثرياء تدعى آيت الحيان. ولما توفيت والدتي خليج بنت أحمد، اضطر الوالد سعيد بن محمد للاقتران بالسيدة حبيب حفصة بنت اسماعيل من عائلة آيت العربي، وهي أيضا من عائلة القائد محند بأغبالو. وبعد وفاة علي بن محمد سيتزوج الحاج الحسين بأرملته، فاضمة بنت الحوس تجنبا لزواجها من خارج العائلة وهي التي كانت ماتزال صغيرة.

أما البنات، فقد تزوجت كبراهن، فاطمة، عندما كانت العائلة ما تزال بمنفى كرايزيم، في قبيلة آيت باعمران قبل قبل أن تعود إلى تينمنصور. وقد بقيت هناك مع زوجها الباعمراني الذي منحته أبناء وأحفادا، إضافة إلى عدم إمكان مغادرتها لمنطقة نفوذ الحكم الاسباني سوى برخصة.

وقد سنحت لي فرصة زيارتها هناك، ولم أمكث عندها أكثر من يومين، عندما التجأت إلى سيدي إيفني من أبريل 1954 حتى 1957. وأذكر أنه كان قد تقدم لي أحد أبنائها(عثمان) يطلب مني قبول إعفائه من مهامه في جيش التحرير بسبب اعتزامه السفر إلى فرنسا قصد الشغل. وقد التقيته، بعد أن أحيل على التقاعد، لمساعدته في حل بعض مشاكل شغل أبنائه. وقد توفيت أمه فاطمة بدون أن تعرف عائلتها شيئا من أخبارها وأخبار أبنائها.

أما البنت الثانية، فاضمة بنت محمد بن إيدر، فقد تزوجت بالسيد مبارك أوبيهي ولها معه أبناء.
وأما ممّاس فقد تزوجت بالسيد الحوس بأغبالو قبيلة ماسة، وتوفي زوجها دون أن يرزقا بأولاد، فعادت إلى قريتها تينمنصور وتلازم أختها عائشة التي لم تتزوج قط.
خلف الرجال الثلاثة ثمانية عشر فردا بين بنين وبنات، وهم بالترتيب كما يلي:
الحاج الحسين مع السيدة فاضمة دحمان: حورية، زينة، مبارك، جمعة، ومحمد.
ومع زوجته الثانية، فاضمة الحوس: عائشة وعبد السلام.
وخلف أخوه سعيد(والدي) من زوجته الأولى خليج : فاطمة ومحمد وإبراهيم وعمر.
وخلّف من حفصة حبيب زينة والحسين ورقية وعلي.
أما أصغرهم علي بن محمد فقد خلف من زوجته فاضمة الحوس محمد وفاطمة ومبايريكة.
لم يكن لآباء هؤلاء حظ الولوج لأية مدرسة، ولكنهم كانوا يتقنون مهن الفلاحة والتجارة التي وضعتهم في مستوى جيد لتدبير أمور حياتهم رغم حرمانهم من وسائل الثقافة والعلم.
كان لعائلة آيت إيدر خدم وخادمات يقومون بالمهام البيتية كالطحن والطبخ لمجموع العائلة وللضيوف الذين يتواردون على دار آيت إيدر بمناسبة أو بغيرها، وكذا لعمال الخدمات السنوية كالحرث والحصاد والدرس ورعي الغنم والجمال، وللعاملين في الضيعات القريبة من المنزل، المنتجة للخضر والفواكه.

بالمنزل الكبير لعائلة آيت إيدر، كان يوجد بيت خاص بجوار المطبخ الكبير لمزوارة التي كانت تتولى مع سيدات البيت، ، تنظيم شؤون المطبخ، بحيث تقوم كل واحدة

منهن، بالتناوب، وعلى مدار يوم كامل، بتحضير وجبات الغذاء والعشاء ل"تادويرين" الفضاء الخاص بالضيوف وبالعمال، وأخرى خاصة بالمسجد، وثالثة لربات البيت والخدم. أما أبناء مزوارة، سالم والعربي فيتناولان وجباتهما مع أمهما في بيتها الخاص. بينما الأبناء الذين يتابعون دروسهم بالمسجد يشاركون الرجال في تناول الوجبات الرسمية. وقد لا تتعدى وجباتهم في بعض الأيام آنية من البيصارة، فيما كنا نحن، أبناء خليج نلتحق بأخت الوالدة إبّا ممّاس لتهيء لنا أكلة مناسبة إما بالدجاج أو بالبيض. وكان بيتا الإخوتين(العمتين) ممّاس وعائشة ملجأ احتياطيا لمثل تلك المناسبات التي لا يكون فيها طاجين اللحم موجودا.

ومن الأشخاص المحسوبين على عائلة آيت إيدر، شخصية تتمتع بثقة العائلة وهو السيد أحمد نكرايزيم الذي استصحبته العائلة معها عند مغادرتها لقريته كرايزيم إلى تينمنصور موطن العائلة الأصلي. وقد أمنته العائلة على مهام خاصة كمراقبة خزائن المزروعات(قمح، شعير، ذرة وتبن) التي يحتفظ بها لتغذية الماشية، والإشراف على أمكنة تربية النحل وإنتاج العسل التي كانوا يدعونها عندنا "تاكرورت".

مصادر ثروة عائلة آيت إيدر
في تينمنصور واشتوكة

توزع الإخوة الثلاثة، وبشكل عفوي، بين امتهان ممارسة الأنشطة التالية: فالحاج الحسين استقطبت اهتماماته مسائل العقار وكسب الماشية من أبقار وأغنام وجمال التي يخصص لها فناءات واسعة محاذية للبيت الكبير ويكلف بها رعاة يسهرون على تأمين رعيها في غابة آيت باها اشتوكة. أما العقار فيقوم بالبيع والشراء فيه في البادية وبالمدن المجاورة كإنزكان والدشيرة، حتى ولو كان مردودها محدودا بسبب تكليفه سمسارا بإنزكان لم تكن علاقته معه صافية.

أما الأخ الثاني، أي سعيد آيت إيدر(الوالد)، فكانت له اهتمامات بالتجارة فرضت عليه أسفارا وتنقلات دائمة وبعيدة من اشتوكة إلى كل من كلميم وآيت باعمران ومراكش ونواحيها والصويرة وأكادير... وكان في نشاطه التجاري يمارس بالخصوص بيع وشراء الإبل والخيل في كل الجنوب المغربي حتى أبواب الصحراء؛ كان يشتري الإبل من الصحراء ثم ينقلها بمعية حراس إلى أسواق بنواحي مراكش ليبيعها، ومنها يشتري الخيول وينقلها إيابا ليبيعها في الجنوب... وكانت له شبكة من الشركاء المعروفين في مختلف تلك المناطق، في الرحامنة ومراكش وآيت باعمران وأبواب الصحراء الجنوبية. وكانت هذه التجارة تدر علية مداخيل مهمة.

في فترة ما ساهم في شركة جزارة لبيع اللحوم مع السيد العكير تبيع اللحوم للجيوش الفرنسة بأكادير. كان هذا النشاط الجديد مثمرا في البداية، غير أنه سرعان ما سيصيبه الكساد، مما ترك له ديونا على العكير تقدر بخمس وثلاثين ألف ريال، سيسلمه العكير مقابلها رخصة فرن وشقة. ونظرا لكون سعيد نايت إيدر غير قادر على التفرغ لنشاط الفرن- وكانت رخصته في تلك الفترة مربحة جدا- فقد سلمه في الأخير إلى صديقه الحسين أولعربي، الذي سيستفيد كثيرا من مردودية رخص الدقيق إلى حين الزلزال الذي سيضرب أكادير في عام 1960. ولما شرع المتضررون من كارثة هذا الزلزال يقومون بإجراءات طلب التعويضات، تقدم السيد الحسين أولعربي، الذي أصبح آنذاك من أغنياء أكادير، إلى بلدية أكادير يطلب تعويضه عن الأضرار التي لحقت بالفرن وبالشقة. وكان من حسن حظ عائلة سعيد نايت إيدر أن السيد المحتسب بالمجلس البلدي يعرف قصة الفرن والشقة ويعرف مالكيها، ولذلك استدعى أخي إبراهيم بنسعيد وسلمه رخصة الفران والشقة التابعة له.

في عهود "البون"، كان الوالد سعيد نايت إيدر قد فتح متجرا في سوق الخميس آيت اعميرة لتوزيع المواد الغذائية مع صديق له هو السيد محمد الباعمراني. في تلك الفترة، وبضغط من بعض أصدقاء الوالد بغرض المشاركة في السوق السوداء: فسلم للسيد محمد بن احمد نبوحمو الخصاصي حوالي مائة ألف فرنك فرنسي وهذا

الشريك من عائلة ما يوحل بلقاسم والذي أتى به إلى منزل سعيد آيت إيدر ولم يكسب من هذا الدين سوى الخسارة.

خلال الحرب العالمية الثانية، أخذ النشاط الصناعي يتسع ويبدأ في احتلال مواقع متقدمة، كما شهد قطاع النقل حركة لافتة. وكانت الثروة المالية التي يتصرف فيها سعيد آيت إيدر محط اهتمام عديد من الشركات الجديدة على رأسها شركة لاساطاس التي عرضت عليه المساهمة في تأسيس شركة للنقل، غير أن أخاه الأكبر، الحاج الحسين نصحه بالابتعاد عن الاستثمار في "المسامير" حسب تعبيره، ودعاه إلى تمويل وتوسيع مشاريع البيع والشراء في الإبل والغنم. وهذا الموقف، يبرز مدى التردد الذي كان يسود أوساطا مهمة من الرأسمال الوطني، كما يبرز التخوفات التي كان الاستثمار في الصناعة الحديثة يثيرها في بداية نشوئها في أوساط عدد من المتعاطين للأنشطة والمهن التقليدية.

بنت العائلة لها مكانة مرموقة على صعيد قبائل اشتوكة وفي أوساط الفلاحين والتجار، فشيدوا منزلا كبيرا يستقبل ضيوفا من مستويات متميزة، ومن الأصدقاء ومحيط العائلة العريضة والتي كانت في توسع مضطرد.

لم يتوفر للمؤسسين الأوائل للعائلة حظ كبير في التعليم، وكل ما استطاعوا تدبيره لأبنائهم هو تكليف معلم/ فقيه بتحفيظهم القرآن وبالقيام بمهام أخرى يتطلبها المسجد، والكل بطرق تقليديه يميزها العنف.

كنت، وأنا أكبر الأبناء، قد حفظت ستين حزبا بأكثر من قراءة. وقد تضايقت من الفراغ الذي بدأت أشعر به فور انتهائي من مهمة حفظ القرآن كاملا وتعلم الكتابة بالحروف العربية.

وبضغط من هذا الفراغ، وافقني الوالد على الانتقال إلى مدرسة تدرس العلوم العربية.

تمكنت من مغادرة القرية في بداية الأربعينات متوجها إلى مدرسة قريبة شيئا ما(سيدي محمد شيشاوي) ، قضيت فيها حوالي سنتين أغلبها كان المعلم متغيبا فيها. ثم انتقلت إلى مدرسة اخرى تبعد كثيرا عن اشتوكة وتقرب من حدود منطقة آيت باعمران هي مدرسة أبي عبد الله، بحيث كان الوصول إليها يتطلب مني ركوب سيارة نقل من تينمنصور حتى تيزنيت، ثم أقطع المسافة الباقية راجلا من تيزنيت إلى المدرسة. وجدت الدراسة تؤدى بشكل تقليدي والدروس تترجم كلها إلى اللغة الأمازيغية. وكنت أجد صعوبات في إتقان النطق باللغة العربية إلى أن انتقلت إلى مراكش لمتابعة دراستي في مدرسة بن يوسف.

عاشت العائلة حياة فيها سعة ووفرة من الناحية المادية، وفيها تعدد وغنى في العلاقات مع الشركاء في الجارة والفلاحة التي تحول بعضها إلى علاقات صداقة. وكانت العلاقات كلها آنئذ متميزة بالاحترام والود وتتلقى الدعم الكبير للحفاظ عليها من الارتباطات بزاوية الحاج علي الدرقاوي وبالفقيه العالم المختار السوسي.

كانت دار الضيافة عندنا تمثل نوعا من الملتقى لشتى الاستعراضات العلمية والفنية ذات المستوى العالي والعجيب.

ما أزال أذكر مثلا ذلك الشخص الفريد من نوعه، وهو بورحيم عيسى، الذي كان يقوم بأدوار سحرية تقطع أنفاسنا وتدخلنا في عالم آخر عجائبي. كانت العائلة تستدعيه بين الحين والآخر لتقديم عروضه الشيقة تلك على سبيل الترفيه على العائلة وضيوفها...كان بإمكانه أن يحول طابقا من طعام الكسكس إلى تجمع لخنافس أو حشرات تتحرك أمامنا...أو يكشف عن مكان ضياع أشياء معينة كمفاتيح أو غيرها...

كان آخر لقاء لي مع هذه الشخصية الفذة والساحرة، حين عدت من الخارج وقمت بزيارة للعائلة في تينمنصور وجاء يهنئني على العودة بعد أن علم بوجودي في بيت العائلة. كنا نتجاذب معه أطراف الحديث حين توقف فجأة وطلب من أحد الحاضرين وهو السيد العربي اضريف أن يفتح فمه ليضع فيه قطعتي سكر. ولما رفض هذا

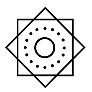
الأخير طلبه، تحول صاحبنا إلى الأخ حسن الساحلي الذي قبل على الفور. وماهي إلا لحظة حتى بدأت القطعتان تتحركان في فمه، فسارع إلى بصق ما في فمه أمامنا خنافس مما أثار عندنا من الاندهاش والارتباك أكثر من الضحك. بالمناسبة، كانت هذه الشخصية (عيسى بورحيم)قد بلغت من الشهرة حدا جعلته يصبح معروفا للسلطات الفرنسية التي كانت قد أعفته من دفع الضرائب، كما أنه كان يستدعى عدة مرات من قبل باشا مراكش التهامي الكلاوي. وقيل لنا بأنه دعي من قبل السلطان محمد بن يوسف نفسه عندما زار أكادير وقدم أشياء أمام الملك لم تكن عادية.



محمد بنسعيد آيت إيدر/ صورة مموهة(تركيب لحية وشارب مستعارين)
تضليلا لأجهزة البوليس التي كانت جادة في البحث عنه
في مراكش وخارجها / 1963

[3]

تأثرت طفولتي بحدثين :
استكمال جيش الاستعمار الفرنسي لمسلسل احتلال البلاد ...
وانبثاق أنوية العمل الوطني بالمراكز الحضرية الكبرى



قَبْلَ أن أواصل سرد هذه الفصول من حياتي، أرى من اللازم أن أؤطر فترة ولادتي وطفولتي بالوضع العام للوطن، فالمغرب وقتها كان يعيش على إيقاع حدثين تاريخيين هامين، الأول يرتبط باستكمال جيش الاستعمار الفرنسي لمسلسل احتلال البلاد، بعدما أعاقته لسنوات طويلة قوى المقاومة المغربية المسلحة بالجبال وبمنطقة الجنوب. أما الثاني فتجلى في انبثاق أنوية العمل السياسي أو ما يمكن تسميته ببديل الكفاح المسلح المطروح لمواجهة الاستعمار. برزت هذه الأنوية بالمراكز الحضرية كفاس ومكناس والرباط وغيرها. وكانت، وهي تتأهب لطرح بدائل أخرى، إيذانا بنهاية مرحلة الكفاح المسلح في البوادي الذي لم يستطيع –بعد أكثر من عشرين سنة من المواجهة والاصطدام مع جيوش الاحتلال– أن يبلغ مراميه وأهدافه بتحرير المغرب وصون استقلاله.

لن أخوض بتفصيل في الأسباب المتعددة لفشل الكفاح المسلح في مرحلته الأولى، مند فرض نظام الحماية على المغرب عام 1912، لكنني أشير فقط إلى الأوضاع المتردية التي كانت تعيشها بلادنا على جميع المستويات وقتذاك، سواء الاقتصادية أو السياسية أو الأمنية، ناهيك طبعا عن التفوق المادي والعسكري الكبير لقوى الاحتلال، والحصار الذي ضربته على البلاد وتشتت المقاومة المغربية مع فقر أدواتها وتواضع أسلحتها وإمكانياتها السياسية. ولكن بالرغم من هذه الظروف الصعبة، صمدت المقاومة ببسالة في وجه الاستعمار من 1912 إلى حدود 1934.

والأكيد أن النخبة السياسية الوطنية استفادت من تجربة الكفاح المسلح، وتهيأ وعيها السياسي على ضوء نتائج المقاومة وأشكال مواجهتها مع المستعمر، فالمعارك التي دارت في الجبال وفي طليعتها معركة أنوال وما حملته من آفاق ووعود بإمكانية تحرير البلاد وبناء دولة عصرية، ألهمت الحركة السياسية فيما بعد وعمقت الحس الوطني، خصوصا أن معركة أنوال بقيادة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي، كان لها صدى دولي واسع، وتلقاها العالم العربي بترحيب وبإيجابية كبيرة، لكنها لم تحقق المأمول منها بسبب تحالف الاستعماريين الفرنسي والاسباني وصمت الدول الكبرى التي ما كان ليخفى عليها أن نجاح هذه المعركة سيعني انتقال عدواها إلى باقي المناطق المحتلة في المنطقة.

كان منطلق العمل السياسي الوطني هو الظهير البربري، واستمر عبر كتلة العمل الوطني، بعدما نضج تفكير النخبة السياسية، ووعيها بضرورة الضغط على فرنسا من جهة التزامها بالإصلاحات الاقتصادية والسياسية التي تنص عليها وثيقة الحماية. وبالرغم من أن مشروع الحركة الوطنية ظل ملتزما بإطار نظام الحماية، فإن فرنسا رفضت تلك المطالب لتنكشف نواياها بوضوح، متمثلة في الاحتلال واستغلال خيرات البلد ويده العاملة الرخيصة، وتحويله إلى سوق للمنتجات الغربية، وليس في بناء دولة عصرية وإدخال الحداثة إلى المجتمع المغربي وانتشاله من التخلف كما ادعت.

اللقاء بالمختار السوسي
والانتقال إلى مراكش

شهدت سنة 1946 انفراجا سياسيا من قبل الإقامة العامة على المستوى الوطني، جاء في أعقاب نهاية الحرب العالمية الثانية.

في تلك الفترة حل بالمغرب مقيم عام جديد هو إيريك لابون، تميز عن سابقيه بانتهاج سياسة انفتاح كان من نتائجها الإفراج عن المعتقلين المغاربة، وإعادة القيادات الوطنية من المنافى كعلال الفاسي ومحمد بن الحسن الوزاني وأحمد بلافريج وغيرهم... وقد استفاد من هذا العفو العالم المختار السوسي، الذي كان قد نفي إلى قريته إليغ، وفرضت عليه الإقامة الجبرية بها من سنة1937 إلى غاية1946. ونظرا لشغف الرجل بالعلم، لم تذهب تلك السنوات التسع سدى، بل تمكن فيها من تأليف العديد من الكتب وكشف ما تزخر به سوس من تاريخ وحركة ثقافية ومن علماء.

كان المختار السوسي من المنتمين إلى الزاوية الدرقاوية، بحكم وجود رباطها في إليغ، وكان والدي من مريديها يشارك في مواسمها باستمرار. وقد ربطتني علاقة مودة بصهر المختار السوسي الذي كان يزورني بالمدرسة من حين لآخر، ومهد لي للقاء معه بعد الإفراج عنه خلال زيارته لمدرسة أبي عبد الله، حيث اقترح عليّ الذهاب لمتابعة دراستي بمراكش.

لم يخيّب والدي ظني ولا أفسد على فرحتي حين وافق على انتقالي إلى المدينة الحمراء لمتابعة تعليمي، وكان له بها معارف وأصدقاء بحكم تجارته، الأمر الذي بسط لي سبل السكن وتدبير أموري، وكان من جهته قد خصص لي منحـــة شهرية



المؤرخ والفقيه والعلامة
المختار السوسي

تكفيني مضائق الحاجة وضنك العيش، وكان يزورني مرة في الشهر ليطمئن على أحوالي.

بمقر الزاوية الدرقاوية بمراكش، وتحديدا بحي الرميلة، فتح المختار السوسي مدرسة لتعليم اللغة العربية والفقه والحديث وبعض العلوم العصرية، كالتاريخ والجغرافيا، واستقبل بها عددا وافرا من الطلبة من جنوب المغرب، كما تكفل هو بمبيت وأكل المعدمين منهم. كان الهدف من إنشاء هذه المدرسة هو تأهيل الطلبة وتهييئهم للالتحاق بمدرسة بن يوسف. ولتحقيق هذا الغرض استجلب المختار السوسي عددا من الأساتذة ممن عرف بالكفاءة والأهلية لتقديم دروس دعم للطلبة وتمكينهم من استدراك ما يعانونه من نقص في بعض المواد خصوصا العلوم المدنية والعصرية.

أمضينا سنتين من التحصيل في إطار برنامج من الدروس اليومية المكثفة. كانت الحصص التكوينية تبدأ بعد الفجر ولا تنتهي إلا قبيل العشاء، الأمر الذي جعلنا ونحن ننتقل إلى الأقسام الثانوية بكلية بن يوسف، نوفر سبع سنوات كاملة من الدراسة، ونلتحق مباشرة بالسنة الرابعة من الثانوي بعد اجتياز الاختبار.

وأذكر أنه إلى حدود مجيئي إلى مراكش كانت ثقافتي تقليدية وكان علي-أنا الأمازيغي-أن أتعلم اللغة العربية بدءا من الصفر، ذاك أن دراستي من قبل للفقه والنحو والحديث والتفسير كانت بالأمازيغية.

على يد المختار السوسي، حفظت قصائد الشعر الجاهلي واطلعت على فنون من الأدب العربي القديم، لتتحصل لي ثروة لغوية مهمة وأتجاوز نقصي في العربية. وإلى جانب التكوين الدراسي أتاحت لي الإقامة بمراكش فرص التعرف على مظاهر الحياة الحديثة، إذ صرت ارتاد دور السينما وأشاهد أفلام ذلك الوقت، وأقتني المجلات والجرائد وفي طليعتها -العلم-التي فتحت وعيي على النكبة الفلسطينية إبان وقوعها، وكانت سببا في دخولي معترك السياسة وانضمامي إلى حزب الاستقلال.

الانتماء لحزب الاستقلال
وبداية الوعي السياسي

لماذا حزب الاستقلال وليس سواه من الأحزاب المغربية الأخرى؟ ببساطة لأنه القوة السياسية التي كانت سائدة في المحيط الذي أتحرك فيه. أما الفضل في انخراطي ضمن صفوف هذا الحزب فيعود إلى عبد القادر حسن، العضو القيادي بفرع مراكش آنذاك. هكذا سألتحق عام 1948 بالشبيبة الاستقلالية القطاع الطلابي. وكنت قد تلقيت تكوينا سياسيا من خلال نشرات الحزب والأنشطة الثقافية التي كنا نقوم بها، والندوات التي كان يعقدها بعض القادة مثل عبد الله إبراهيم والمهدي بن بركة، والتي تميزت بتسليط الضوء على حركات التحرر بمناطق من العالم كإندونيسيا والهند وباكستان والمشرق العربي.

في هذه الفترة أتذكر أن الأستاذ عبد الله إبراهيم، لعب دورا رائدا في صفوف شباب الحزب في التوعية والتكوين السياسي، وفي نشر أفكار تقدمية فتحت أمامنا آفاقا ومجالات مهمة من العلوم السياسية والاجتماعية لم نكن على معرفة بها.

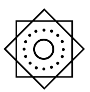
كما أذكر أن المهدي بن بركة لم يكن يكتفي بالحديث عن الحركات التحررية، بل يرحل بنا إلى محطات من تاريخ المغرب الحديث ويبين لنا كيف أن الحسن الأول حاول تحديث المغرب، فأوفد بعثة علمية إلى فرنسا لاكتساب علوم العصر، وذلك في ذات الوقت الذي أقدمت فيه اليابان على الأمر عينه. ووضح لنا كيف أن اليابانيين ربحوا رهان الحداثة، فيما النخب المغربية لاقت المعارضة واصطدمت بتخلف مجتمع تقليدي محافظ. لذلك انصب اهتمام الحسن الأول على الجيش ومسألة تحديثه لمواجهة الأطماع الخارجية، أما طموحات التحديث الثقافي فتم التخلي عنها وهجرها بدون رجعة.

ومن خلاصة أحاديث الشهيد بن بركة، أن الحسن الأول لم يتمكن من تحقيق أي شيء من طموحاته الإصلاحية والتحديثية لعاملين رئيسيين: أولهما داخلي، يتعلق

بتخلف الوضع السياسي وسط المجتمع المغربي الذي لم يكن مهيأ لاستقبال الحداثة وما يستتبع تبنّيها من تغييرات مجتمعية جذرية، لن تتحملها البنيات التقليدية المتخلفة في بلد عاش قرونا من الانحطاط والتدهور الاقتصادي والاجتماعي، كما ضرب عزلة شبه مطلقة على نفسه خشية الأطماع الخارجية...وثانيهما عامل خارجي ويتمثل في الدول الاستعمارية، التي تمكنت من فرض نفوذها السياسي والاقتصادي والعسكري، وكسبت امتيازات داخل المغرب مما خول لها التحكم في الأوضاع المالية، واستغلال عملاء من المغاربة احتموا بالحماية القنصلية على حساب وطنهم.

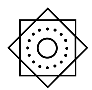
ومن جانب آخر لم يحاول السلطان الحسن الأول فرض قطيعة مع الأسلوب الذي سار عليه من سبقه في الحكم، محافظا على تمركز كل السلطات في قبضة يده، حتى إنه لم يترك بعد وفاته أية مؤسسات يمكن أن يعود لها اختصاص وحق التقرير، بل انتقلت السلطة كلها إلى الصدر الأعظم باحماد، الذي استمر في النهج ذاته حتى مات وترك فراغا لم يقدر السلطان الشاب عبد العزيز على ملئه أمام اتفاقيات دولية جديدة فرضت على المغرب أن يصبح مشرع الأبواب في وجه الاحتكارات التجارية الأوروبية. والحقيقة أن تلك المحاضرات كانت شاملة لمختلف أشكال تحرر الشعوب، فإلى جانب الكفاح المسلح الذي قادته الصين الشعبية ضد اليابان، وكينيا إزاء الاحتلال الانجليزي من خلال منظمة ماو ماو الوطنية، كان النموذج الهندي بقيادة المهاتما غاندي، ماثلا أمامنا وبدا بمثابة درس تاريخي مهم في حصول دولة كبيرة بحجم الهند على استقلالها من دون إراقة الدماء.

ولم يغب كفاح دول المشرق العربي عنا في التكوين الذي كان الهدف الأساسي منه تحديد موقع المغرب ضمن خريطة الدول المكافحة لتحصيل حريتها، والسبل الناجعة لتحقيق هذا المبتغى. لذلك كانت معرفة أحوال المغرب الداخلية ومظاهر تخلفه ونقاط ضعفه من شروط معرفة الطريقة التي تواجه بها الحركة الوطنية قوى الاستعمار.



[4]

الاحتلال
يقمع المظاهرات الشعبية
ويهيئ لنفي السلطان



حَقّقْنا تقدما كبيرا في إطار العمل الطلابي من حيث عدد المنخرطين ونوعية الأنشطة التي كنا ننظمها، خصوصا في المناسبات الوطنية، فإلى جانب الندوات السياسية قدمنا مسرحيات في المدارس الحرة التي لعبت دورا سياسيا مهما عبر تاريخ الثقافة العربية كخيار استراتيجي، وفي التوعية السياسية للناشئة. وكانت الأعياد فرصة لإلقاء القصائد وابتكار شعارات وأناشيد موسومة بحس وطني. ولعل معركتنا الأساسية التي خضناها كطلبة، تجلت في توحيد الأنشطة ووصل النضال بيننا في كلية بن يوسف بمراكش وإخواننا في جامعة القرويين كخطوة أولى في سبيل تعميمها على المستوى الوطني ككل.

كان هذا في عام 1951.وكرد فعل على ما تعرض له طلبة القرويين من قمع واعتقالات قمنا نحن بإضراب عام عن الدراسة، احتجاجا على سياسة العنف التي

نهجها المستعمر ضد إخواننا في فاس. هنا لجأت سلطات الاحتلال إلى الباشا التهامي الكلاوي لإيقاف المظاهرات فاستعمل بدوره وسائل قمع تقليدية قديمة، تجلت في–أزفل–(جلد) الطلبة مائتي جلدة وحك–الفلفلة السودانية–على أفواههم... وكان من ضحايا هذه الحملة الفقيه البصري وعبد السلام الجبلي وعمر البيضاوي وبوشعيب الدكالي(الحريري)، أما أنا فكنت ضمن القيادة الخلفية التي لم تكن معروفة لدى عملاء الاستعمار، الأمر الذي حال دون أن يشملني الاعتقال والانتقام. لم يتوقف الإضراب ونشط العملاء لإفشاله، فما كان مني مع زميل لي ينحدر من دكالة إلا التعرض لأحد هؤلاء العملاء وإشباعه ضربا، وبذلك انكشفت ودخلت دائرة المبحوث عنهم.

اضطررت للابتعاد عن بؤرة نشاط العيون المتربصة بمراكش. وقد كونا وفدا من طلبة مراكش، وسافرنا إلى الرباط لمقابلة الملك محمد بن يوسف وابنه الحسن، وإطلاعهما على حقيقة الأوضاع التي يعيشها الطلبة والحملات القمعية التي يتعرضون لها.

في واقع الأمر أثر فينا الاستقبال الذي خصنا به ولي العهد، حيث قال لنا كلاما لن نفهم مغزاه إلا فيما بعد. أما مكمن التأثر فتمثل في أن أغلبية أولئك الطلبة كانوا ذوي توجه ديني، وأن الأمير خاطبنا من منطلق هذه الحساسية بالذات، حين حثنا على استغلال الفرص الصالحة وليس السانحة واستشهد بالنبي محمد بن عبد الله عندما فتح مكة، وكانت الفرصة سانحة أمامه لضرب خصومه من قريش لكنه بدل ذلك فوتها لما هو أصلح عندما قال بأن من دخل دار أبي سفيان (وهو المعارض الكبير له) فهو آمن...

طبعا كان المقصود من وراء كلامه دفعنا لمهادنة قوى الاستعمار في ذلك الإبان وعدم التصعيد معها.

المهم أن محمد الخامس تدخل لصالحنا، بعد أن تم ترسيب تسعة طلبة في امتحانات الباكالوريا من أصل عشرة انتقاما منهم لمشاركتهم في الاحتجاجات، وأعيدت الاختبارات من جديد بحضور جعفر الناصري وزير الثقافة آنذاك، ونال شهادة النجاح خمسة طلاب كنت بينهم.

في هذه الفترة أثيرت القضية المغربية في الأمم المتحدة بدعم إفريقي عربي آسيوي، وساد التوتر في العلاقة بين الإقامة العامة والملك والأحزاب السياسية، وكان اللوبي الاستعماري يسعى لكبح جماح هذا النهوض الشعبي، وفك الارتباط بين الحركة الوطنية والقصر.

وأحب أن أذكر أنه في أواخر الأربعينات ومطلع الخمسينات، توسعت الحركة الوطنية بشكل كبير، فصارت تضم إلى جانب المثقفين وبعض التجار فئة العمال والحرفيين والطلبة، ولم تعد محصورة في المدن والمراكز الحضرية الكبرى، بل انتقلت إلى البوادي التي كانت معزولة منذ "حرب التهدئة"، وخاضعة لسلطة ضباط الشؤون الأهلية عن طريق الشيوخ والقياد والباشاوات كسلطة مباشرة.

أمام هذا الوعي والنشاط السياسيين المتناميين، أدرك اللوبي الاستعماري أنه يفقد تدريجيا السيطرة على الحياة السياسية في البلاد، لهذا عثر على ضالته في القمع الشرس لإضرابات دجنبر 1952، بهدف تكسير شوكة الحركة الاستقلالية، وفي التهييء لحدث 20غشت 1953 سياسيا وإعلاميا عبر إنشاء أحزاب عميلة مثل ما سمي ب"الحزب الاشتراكي الديمقراطي" وصحف مأجورة من قبيل "العزيمة" و "الحرية" و"الديمقراطية" وعبر إنجاح عناصر موالية لسلطات لاحتلال على مستوى الغرف التجارية والصناعية والمجالس البلدية.

في هذه الفترة وقع حدث بارز في مجلس شورى الحكومة، الكيان الذي خلقته الحماية على أساس تمثيله للدولة المغربية، وجعلت من جملة مهامه دراسة الميزانية العامة للبلاد. كان حزب الاستقلال قد رفض ما تقدمت به سلطة المستعمر من

"إصلاحات"، تهم جعل المؤسسات مناصفة بين المغاربة والفرنسيين على أن يؤول القرار للأخيرين، لكنه اختار في إطار تكتيكاته المشاركة في مجلس شورى الحكومة بواسطة التجار التابعين له من الدار البيضاء والرباط وأكادير.

انصب دور منتخبي الحزب بالمجلس على توجيه سهام النقد لسياسة الإقامة العامة وبالخصوص الجنرال جوان. وكان المهدي بن بركة هو المكلف بالإعلام وبصياغة التقارير النقدية المقدمة في مجلس شورى الحكومة. وحدث أن ألقى محمد الغزواني، وهو رجل أعمال استقلالي، كلمة حمل فيها على سياسة الحماية، مما أغضب المقيم العام الفرنسي الذي قام بطرد الغزواني من الاجتماع، لينسحب معه من المجلس كل أعضاء حزب الاستقلال. وقد أدى استقبالهم من طرف محمد الخامس إلى صب مزيد من الزيت على النار، وتأجيج التوتر بين القصر وسلطة الحماية، حتى إن سلطات الإقامة العامة أرسلت الباشا الكلاوي إلى الملك يهدده ويطلب منه فك ارتباطه بحزب الاستقلال، فما كان من السلطان إلا أن طرده.

هكذا أفرزت الأحداث في ذلك الإبان جبهة من الموالين للإدارة الاستعمارية، يتزعمهم الكلاوي سياسيا وعبد الحي الكتاني دينيا، للضغط على الملك واتهام الوطنيين بالشيوعية والإلحاد. وكان المقصود الترتيب لعزل محمد الخامس بدعوى أنه لا يمثل الإسلام والشرعية الدينية.

وكان الملك قد تقدم من قبل بمذكرة إصلاحات، تقوم على تغيير شروط الحماية، لكن الحكومة الفرنسية رفضتها واقترحت بدل ذلك إصلاحات رفضتها الحركة الوطنية بدورها، فدخل محمد بن يوسف في إضراب عن توقيع كل الوثائق والمراسيم والقرارات التي تطرحها على مكتبه سلطة الحماية. ولم يتراجع عن امتناعه إلا تحت ضغط قوي من الإقامة العامة، الأمر الذي سيجعل توقيعه بهذا المعنى في حكم اللاّغي، فيما بعد...

الإقامة الجبرية
وتأسيس خلايا حزب الاستقلال
باشتوكة آيت باها

في هذا السياق بعثت الأمم المتحدة، بطلب من فرنسا، وفدا من أمريكا اللاتينية، لمعاينة الإصلاحات التي تدعي سلطات الحماية أنها أنجزتها بالمغرب، وكان من بينها سد بين الويدان. لما زار الوفد مراكش نظمنا كطلبة مظاهرة واجهها مرة أخرى التهامي الكلاوي بالقمع، واعتقل قيادات من حزب الاستقلال ومن شبيبته منهم عبد الله إبراهيم وعبد القادر حسن وعبد السلام الجبلي ومحمد الفقيه البصري وبوشعيب الدكالي وعمر البيضاوي والحسين بن موح... وجرت محاكمتهم ضدا على القوانين وحبسهم في سجون خارج مراكش كتازناخت ودمنات...

لم يطل اختبائي كثيرا إذ سرعان ما تم اعتقالي ونفيي إلى قريتي باشتوكة آيت باها. كان هذا في مارس من عام 1952، كلفوا بي مخزنيا قادني-راكبا هو على دابة وأنا مترجلا على قدمي-عبر أمزميز وجبل زاقو وتالات يعقوب وتارودانت، حيث جرى تشغيلي في ضيعات المعمرين لثلاثة أيام، تجرحت فيها يداي بفعل استعمالي لأول مرة ل"البالة"والفأس.

وتواصلت الرحلة شاقة إلى أن سلمني المخزني إلى قيادة المنطقة، وفرضت علي الإقامة الجبرية بمسقط رأسي بتينمنصور.

كان المسؤول بشكل غير مباشر عن خضوعي للإقامة الجبرية هو عمي شيخ القبيلة؛ ولم تكن المراقبة متشددة كما هو الحال في المدن أو القرى التي بها تواجد مكثف لسلطات الحماية أو المخزن، ومع ذلك كان عليّ أن أتحرك بشكل سري، وأستغل الليل كغطاء لتجذير وجود حزب الاستقلال بالمنطقة، وربط هذه الأخيرة بالممارسة السياسية التي تعرفها المدن والمناطق الأخرى من البلاد. وبفضل الاتصالات التي قمت بها سيصبح للحزب خلايا وحضور باشتوكة أيت باها لأول مرة.

من نتائج هذا النشاط السياسي الجديد بالمنطقة، تنظيمنا لاحتفالين بعيد العرش الموافق ل18 نونبر 1952 (سمي بالعيد الفضي لمرور 25سنة على اعتلاء محمد بن يوسف العرش) كان إحياء هذه المناسبة بمثابة تحد لسلطات الحماية، لما ينطوي عليه من رمزية سياسية وإثارة لحساسية المستعمرين، الذين أدركوا مدى اتساع الوعي الشعبي، خصوصا بعد انضمام الطبقة العمالية إلى صفوف الحركة الوطنية في نضالها الاجتماعي والسياسي.

وقد شكل اهتمام الأحزاب المغربية على امتداد التراب الوطني بعيد العرش، ناقوس خطر لسلطات الاستعمار التي استشعرت ضرورة إيقاف هذا التوجه العام الذي كان يهدد ليس فقط مصالح المستعمرين بل أيضا وجودهم ذاته بالمغرب.

لقد كان من حسنات الإضرابات التي خضناها كطلبة، أنها أفرزت نخبة سياسية شابة، لها ارتباط عضوي بالقواعد الشعبية واتصال مباشر بالقيادات الحزبية بكل من الدار البيضاء والرباط ومراكش وفاس وأكادير ومكناس وغيرها، وهي النخبة التي ستلعب دورا رائدا في المقاومة المسلحة بدءا من دجنبر1952، تاريخ اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، ووصولا إلى أحداث 20غشت 1953، لحظة نفي محمد الخامس وأفراد الأسرة الملكية. وكان لطلبة كلية بن يوسف دور أساسي في الكفاح المسلح، اعتبارا لتجربتهم في مواجهة الإقطاع والاستعمار معا.

ومثلما خرقتُ الإقامة الجبرية المفروضة عليّ، لتأسيس خلايا تابعة لحزب الاستقلال باشتوكة آيت باها، كنت أتحين أيضا الفرص المواتية وأسافر إلى أكادير للتواصل والتنسيق مع قيادات الحزب هناك. وكانت كل تحركاتي سرية ماعدا في مناسبة الاحتفال بعيد العرش.

[5]

أحداث دجنبر 1952
وحبْسي بتينمنصور



محمد الغزاوي ومن خلفه أحمد اليزيدي في مجلس شورى الحكومة



الكلاوي والعيادي في مجلس شورى الحكومة

ارْتَأَيْتُ في دجنبر أن أسافر إلى الرباط لبحث سبل الاتصال بجريدة "العلم" وتأمين وصول مراسلاتي التي تغطي ما يقع في الجنوب من أحداث. وفعلا سافرت إلى العاصمة للقاء أحمد زياد، وصلت إلى الرباط في الخامس من دجنبر ولم يكن اليوم يوما عاديا، فقد تصادف مع حدث كبير هو اغتيال الزعيم النقابي التونسي فرحات حشاد، فوجئت باضطراب الأجواء، إذ كان الحزب قد قرر بمعية النقابة (الاتحاد العام للنقابات الكونفدرالية) شن إضراب عام. الأمر الذي استغله الجنرال غيوم لاتهام حزب الاستقلال بالمؤامرة ضد سلامة الدولة، واستعمال العنف مع أن الإضراب كان سلميا. مررت عند صديق لي بالدار البيضاء في الثامن من دجنبر ثم قفلت عائدا إلى قريتي لأتعرض للاعتقال صحبة مسؤولين آخرين من حزب الاستقلال بالمنطقة، وذلك في إطار حملة الاعتقالات التي استهدفت كل أطر الحزب على الصعيد الوطني.

أول سؤال واجهت به الحاكم العام كان عن سبب اعتقالي، فجاءني الرد من القائد الذي كان أميا، أن الأمر يتعلق بإشرافي على تنظيم احتفالات عيد العرش، فتساءلت باستغراب إن كان ذلك ممنوعا قانونيا، وذكرته بأن العيد هو عيد رسمي وكل المغاربة يحتفلون به، ولما لم يجد جوابا تدخل الحاكم وقال لي "على أيّ، أنتم الثلاثة ستنزلون ضيوفا عندنا مدة من الوقت". هكذا قضى رفيقاي عشرة أيام فيما احتفظت بي سلطات الحماية لسبعين يوما رهن الأسر بدون تهمة ولا محاكمة.

جاء هذا في سياق منع حزب الاستقلال والحزب الشيوعي المغربي من النشاط، وإيقاف صدور جرائدهما ومنشوراتهما الإعلامية، مع التضييق على أحزاب أخرى وكبح تحركاتها، وفي المقابل عمدت قوة الحماية إلى إنشاء أحزاب أخرى مصنوعة، وإصدار جرائد تطبل للحماية وأتباعها تمهيدا لعزل محمد بن يوسف عن عرشه.

في هذه الفترة، بعد أن انفرطت خيوط الاتصال مع قيادة الحزب، وبدا أن اعتقالي ليس سوى مسألة أيام فحسب، حاولت أن أعرف ما يجري في البلاد اعتمادا على ثلاثة وسائل، هي إذاعة صوت العرب وإذاعة لندن، ثم جريدة "السعادة "الحكومية التي كانت تصل إلى عمي الشيخ، بموجب اشتراك فرض عليه بالرغم من أنه يجهل القراءة، وكانت جريدة "السعادة "مختصة في نشر الأنشطة الرسمية للباشاوات وسلطات الحماية والمقيم العام.

إن سياسة القمع الصارمة، التي اعتمدها الجنرال غيوم ضد الحركة الاستقلالية والنقابية والشيوعيين المغاربة، كانت علامة دالة على الانتقال إلى مرحلة أخرى لخلق بديل جديد على الساحة الوطنية السياسية، يستهدف عزل الملك محمد بن يوسف، الذي تنعته سلطات الحماية برأس الحربة. وهذه الوضعية أثارت نقاشا واسعا في قواعد الحركة الوطنية والاجتماعية، وخاصة منها في صفوف حزب الاستقلال، الذي ينهج سياسة النضال السلمي تمتينا لتحالفه مع القصر الملكي الممثل الشرعي للسيادة المغربية.

لم ترد في أبجديات حزب الاستقلال اختيارات، توحي بميل للعنف من أجل تحقيق الاستقلال، بيد أن سياسة العنف التي اعتمدها اللوبي الاستعماري بقيادة الجنرالين جوان وغيوم - في مجزرة 1947 بكريان سنترال، والقمع الشرس ضد الحركة الإضرابية السلمية المغربية، تضامنا مع الحركة الوطنية التونسية، (هذه السياسة) لم تعد مقبولة لدى شرائح عريضة من العمال والحرفيين والتجار الصغار والمتوسطين، المعبرة عن قواعد الحركة الاستقلالية.

في هذه اللحظة التاريخية طغت في قواعد حزب الاستقلال، نقاشات وردود فعل مختلفة اتجاه القمع الاستعماري الذي وضع حدا للحياة السياسية وللهامش من الليبرالية بالمغرب بين من يدعو إلى التريث انتظارا لقرارات جديدة من قيادة الحزب، وبين من وصل إلى قناعات بعدم جدوى الانتظار لِما قد لا يأتي...

وقد شهدت العديد من المدن المغربية تكوين خلايا من أجل العمل "الجدي" في طليعتها "المنظمة السرية" بقيادة الشهيد محمد الزرقطوني، وكانت تضم مجموعة من الأطر الفاعلة في اللجان التنظيمية، بحيث كان لها دور متميز في المقاومة المسلحة في أنحاء مختلفة من البلاد.

كان للمنظمة السرية بالذات ارتباط بأحد الأطر القيادية لحزب الاستقلال، هو عبد الكبير الفاسي، عضو اللجنة التنفيذية المؤقتة، وحسب ما وصلني من رفاقي المقاومين، فلعبد الكبير الفاسي الفضل في فتح قنوات جديدة للمقاومة مع الخارج، عند التحاقه بمدينة طنجة، حيث فتح اتصالات بمختلف الأطر القيادية لحزب الاستقلال بشمال المغرب؛ في البداية مع لجنة التنسيق بطنجة، ثم في ما بعد مع الأمين العام للحزب أحمد بلافريج وبالزعيم علال الفاسي، وأطلع الجميع على الحالة الجديدة المعتملة بالدار البيضاء، كما أخبرهم بوجود شباب من الحزب يتهيأ لتنظيم المقاومة المسلحة، وهم في حاجة إلى دعم سياسي ومادي وعسكري، وقد قام المقاوم الكبير الفاسي بدور بارز لصالح حركة التحرير في المقاومة وجيش التحرير،

يستحق عليه كل التقدير، إلى جانب رفاق له من أطر الحزب المثقفة، أمثال عبد اللطيف بنجلون وأحمد زياد وعبد الرحمان اليوسفي والغالي العراقي والزعيم علال الفاسي، مع فصيل من قادة "المنظمة السرية" بشمال المغرب.

نفي محمد الخامس
وانطلاق الكفاح المسلح

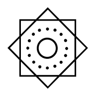
عام 1953 سافرت إلى الرباط قصد معاودة الاتصال بالقيادة المؤقتة لحزب الاستقلال. كانت في جعبتي مجموعة من الأسئلة حول سبل العمل في وقت منع فيه الحزب وأوقفت جرائده، واستهدف كل نشاط سياسي كيفما كان نوعه، بالإضافة إلى تهديد الملك بنفيه. التقيت بعبد الرحمان بادو- والد وزيرة الصحة السابقة- وبأحمد زياد (الصحافي المعروف بجريدة العلم). كان تقدير القيادة المؤقتة أنه يستحيل إبعاد الملك عن عرشه، وأن قادة الحزب بالخارج يقومون بدور فعال فيما يخص القضية المغربية، غير أن العكس هو الذي سيقع، إذ قبل يوم من نفيه استقبل محمد الخامس بالقصر الملكي عبد الكبير الفاسي، وأخبره بان الإقامة العامة أخذت قرارها بعزله عن العرش ونفيه وأسرته، وبذلك تسنى للفاسي بأن يوصل النبأ إلى لجنة التنسيق بطنجة.

بالنسبة لي، لم يدفعني لقائي بالقيادة المؤقتة لحزب الاستقلال، سوى للحسم في اختياري، فقد أدركت أنه لا بد من إيجاد طريق آخر يتجاوز حالة الانتظار. وبالفعل فتحت نقاشا مع رفاقي بأكادير ومع زملاء الدراسة، الذين انتقلوا إلى الدار البيضاء وانخرطوا في الأنوية الأولى للمقاومة، وكان الجواب قد نضج بما فيه الكفاية، والفكرة اختمرت في أذهان كثير من الوطنيين، واتضحت أكثر ورسمت معالم طريق الكفاح المسلح.

كانت تونس، قبل المغرب، قد انخرطت في الكفاح المسلح، بعد أن فشل العمل السياسي في تحقيق أهدافه، وتعرضت الزعامات التونسية للاعتقال، وبذلك أعطت تونس إشـارة قوية للحركـة الوطنيـة المغربيـة، لطرق هذا الأفق كخيـار لا منـاص منه لتحصيل الاستقلال. والحقيقة أن ما كان يجري في المغرب كان يدفع في هذا الاتجاه، إضافة إلى أن التنسيق بين الحركتين الاستقلاليتين كانت له تأثيراته.

ومن أهم الأحداث التي فرضت على قواعد الحركة الاستقلالية اختيار المقاومة المسلحة، ما عرف في مستهل الخمسينيات بقضية أحمد الحنصالي؛ فعلى إثر اصطدام له مع إدارة الحماية، حمل السلاح في مبادرة شخصية وبدأ يغتال الفرنسيين، مروعا الأطلس المتوسط كله، فقامت إدارة جوان بتوجيه جيش يتكون من عشرة آلاف جندي إلى المنطقة، وطوقوا الجبال المحيطة ببني ملال، بعد تصفية الحنصالي لسبعة أوربيين. هذا الحدث ألهب حماس المغاربة، الذين رأوا في وقوف شخص واحد في وجه جيش مجهز بأعتى وسائل القتال رمزا للبطولة والتحدي.

قبل قضية أحمد الحنصالي، كانت ثمة عملية كريان سنطرال عام 1947، وقد جاءت في سياق زيارة محمد بن يوسف لطنجة وإلقائه خطابا تاريخيا، وهي الزيارة التي لم تكن سلطات الحماية موافقة عليها، لما تحمله من رمزية ودلالات سياسية، منها أن الملك بهذه الخطوة، أثبت وحدة المغرب بين شماله وجنوبه، وكسر طوق العزلة الدولية التي فرضها الاستعمار الفرنسي على البلاد، واستطاع تمرير رسائل سياسية إلى المنتظم الدولي، مفادها رغبة المغرب في إعادة النظر في وثيقة الحماية، بعد أن أخلفت فرنسا كل وعودها في الإصلاح.



[6]

إنشاء قاعدة خلفية للمنظمة السرية
بآيت باعمران
وتشكيل خلايا موازية



محمد بنسعيد مع بوراس محمد الفيكيكي بمدينة فرانكفورت بألمانيا الغربية
في مهام خاصة عندما كان بوراس لاجئا في يوغسلافيا

كَانَتْ لدي قنوات أخرى للاتصال بالدار البيضاء، مثل صديق يدعى إبراهيم الشيفور وهو سائق يعمل عند رجل أعمال وصديق للعائلة بكلميم وله محل بالبيضاء. كان إبراهيم منخرطا في المنظمة السرية للمقاومة في الدار البيضاء. أيضا كان شخص معروف ببولحية، وهو مناضل استقلالي، همزة وصل بين معتقلي الحركة الوطنية عام 1952 وعوائلهم في الجنوب المغربي، ونظرا لعلاقة الصداقة التي كان ينسجها مع بعض المخازنية والحراس، فقد لعب دورا مهما في استقطابهم للتنظيم الموازي صحبة عبد السلام الجبلي.

بعد خروجي من السجن فكرت في الاتصال بالقيادة المؤقتة لحزب الاستقلال، وقد نظم لي الصديق عبد الله مصدق لقاء بعبد الرحمان بادو، وبأحمد زياد. كان اللقاء مفيدا. وعند عودتي إلى المنطقة شرعت أنا ومجموعة من المناضلين في البحث عن مخرج. وعن طريق الصديقين إبراهيم الشيفور ومحمد بولحية واللقاء المفاجئ مع رفيق الدراسة (الجبلي)في زيارتين له لمنطقة أكادير، من أجل مهمتين محددتين،

الأولى اغتيال باشا أكادير المدني بن حيون، والثانية الشروع في تنظيم خلايا موازية رفقة بولحية.

لماذا تنظيم خلايا موازية؟

كان الهدف من خلق الخلايا الموازية التهييء لإنشاء جيش التحرير، لأنه لم يكن ممكنا أن تستمر المقاومة المسلحة إلى ما لا نهاية وهي تنشط تحت غطاء السرية. بعد لقائي مع عبد السلام الجبلي اضطلعت بالمسؤولية في المنطقة، لفترة قصيرة لكوني كنت وجها معروفا سرعان ما تم كشفه في المنطقة، بالإضافة إلى أن معرفتي بالعمل المسلح كانت محدودة ولا أجيد استعمال الأسلحة، فكان علي أن أنتقل في أبريل عام 1954 إلى سيدي إيفني. هناك بآيت باعمران، وصحبة عناصر أخرى، تمكنا من خلق قاعدة خلفية للمنظمة السرية.

عملت هذه القاعدة أو المركز الخلفي، على اقتناء الأسلحة من الجيش الاسباني الموجود بالمنطقة ومد المنطقة بها، ثم استقبال الأسماء "المحروقة" من المقاومين الذين تم كشفهم من طرف البوليس السري الفرنسي، واستطعنا في هذا الإطار تكوين شبكة اتصال بين سيدي إيفني والدار البيضاء ومراكش. والحقيقة أننا وجدنا دعما ماديا ومعنويا كبيرا من أبناء آيت باعمران، في الوقت الذي عرفت فيه المنطقة في هذه الآونة دينامكية سياسية وانفتاحا للسكان الجنوبيين على إخوتهم من مغاربة المناطق الأخرى.

بالاتفاق مع أعيان في إيفني، قمنا بإنشاء مدرسة ابتدائية لتعليم العربية باعتبار أن المدينة كانت تفتقر إلى مدرسة من هذا القبيل، وكان أساتذتها أنفسهم من اللاجئين. وقد التحق بها أبناء الجنود المغاربة بالجيش الاسباني. ونظرا لأن الأناشيد الوطنية كانت من ضمن المواد التي تلقن للتلاميذ، فقد أثار هذا الأمر حفيظة المحتل

الاسباني الذي قام بتوقيف معلمين. لكننا حافظنا على استمرارية المدرسة، ولم ترتح السلطات الاسبانية في سيدي إيفني لأنشطة المقاومين اللاجئين، فعمدت إلى ترحيلهم نحو الداخلة ظنا منها أن ذلك سيعزلهم ويحد من تأثيرهم على الأهالي، غير أن ما وقع هو العكس، إذ تضامن سكان المنطقة معهم واحتضنوهم، ونقلوا معهم إشعاعهم من سيدي إيفني إلى الداخلة.

اكتشاف العديد
من قياديي خلايا التنظيم الموازي

في مطلع 1955 تعرض تنظيم الخلايا الموازية للانكشاف بعد اعتقال أحد قادته في مكناس، واعترافه تحت ضغط التعذيب بأفراد شبكة بأكملها من زملائه. كانت هذه الشبكة تمتد عبر تازة وتافيلالت وورزازات ومناطق من الجنوب، وكان دورها حيويا في مد المقاومة بمعلومات استخباراتية عن أنشطة وتحركات سلطات الحماية وقواها الأمنية والعسكرية، بالإضافة إلى إرشاد المقاومين إلى مخازن السلاح ورصد ما يحيط بها من حراسة، أو القيام بسرقة الذخيرة إن كانت العملية مضمونة.

شكل سقوط هذه الشبكة ضربة للمقاومة، لأنه أدى إلى اعتقال 170 قياديا بها في مجموع التراب الوطني. ولتطويق تداعيات الضربة سارعت المنظمة السرية إلى نقل المسؤولين الذين لم تطلهم يد السلطات الفرنسية إلى سيدي إيفني، كما عمدت، في إجراء احترازي، إلى نقل مركز الخلايا الموازية خارج الدار البيضاء، درءا لانكشافها وبالتالي الوصول إلى القيادة المركزية بالمدينة. وبالفعل قامت المنظمة بإنشاء مركزين لهذه الخلايا أحدهما بتطوان مسؤول عن الشمال، وثانيهما بسيدي إيفني مجال نشاطه الجنوب.

تأسيس جيش التحرير بالشمال عام 1955

عبّد الكفاح المسلح الطريق لإنشاء جيش التحرير الأول بالشمال في 2 أكتوبر عام 1955. بالطبع جرى التحضير له قبل هذا التاريخ، ولم ألتحق به إلا أواخر تلك السنة، غير أني تابعت عن كثب كل خطوات تأسيسه، انطلاقا من التنسيق المستمر بين مركزي إيفني وتطوان، وقد كان الشمال هو الآخر منطقة لجوء للمقاومين ضد الاحتلال الفرنسي، فارتأت المنظمة السرية إخراج أحمد زياد لكونه صار متابعا ولأن خطورته على التنظيم ستكون كبيرة في حال تم اعتقاله بسبب معرفته بأسماء القياديين. هكذا اقترح أحدهم تصفيته إن هو رفض اللجوء إلى الشمال، وفي الأخير تكلف إبراهيم الروداني بعملية إخراجه من المنطقة الواقعة تحت نفوذ الحماية الفرنسية.

صار أحمد زياد، باقتراح من عبد الكبير الفاسي، هو المسؤول بتطوان عن استقبال أعضاء المقاومة اللاجئين إلى الشمال، وضمن من استقبل مجموعة "عملية المارشي سنترال" ومجموعة "عملية وادي إيكم" التي استهدفت القطار السريع بين الدار البيضاء والرباط. كانت توجد في هذا الواد ضيعة منحها أحد المناضلين السياسيين لمحمد الزرقطوني وعبد الرحمان الصنهاجي لتستفيد منها المنظمة السرية في خزن الأسلحة واختباء "المحروقين" ريثما يتدبر التنظيم وسيلة لخروجهم. لم يمض وقت طويل حتى انكشف أمر ضيعة "وادي إيكم" بسبب بعض الأخطاء واعتقل صاحب المحل الذي اعترف على عدد من القياديين الذين اعتقلتهم بدورهم سلطات الحماية، مثل محمد منصور ومولاي العربي المعروف بمول الكيران وبوزاليم وغيرهم، ممن خططوا لعملية المارشي سنترال وعملية القطار الرابط بين الدار البيضاء والجزائر. وفي أعقاب هذه الاعتقالات وما تلاها من تعذيب وانتزاع للاعترافات سقط محمد الزرقطوني بين أيدي البوليس الفرنسي.

بالرغم من الإلحاح على الزرقطوني بأن يلجا إلى تطوان إثر انكشافه ليتولى المسؤولية من هناك، فقد رفض الخروج بشكل قاطع، لم يكن مطمئنا بما فيه الكفاية على

استمرارية الكفاح المسلح إن هو ترك الدار البيضاء، عدا أنه كان مسؤولا عن عدد كبير من الفدائيين، ولم يرد التخلي عنهم.

كان عدد اللاجئين إلى الشمال قد ارتفع، وانصب التفكير على صيغة أو تنظيم يكفل لهم مواصلة الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي، وفي هذا الإطار اصطدموا بأحمد زياد الذي لم يستجب لرغبتهم في توسيع دائرة العمل المسلح، واستغلال مدن الشمال حيث تنتفي الرقابة للتواصل مع الخارج بفاعلية أكثر.

كان من اليسير هناك الحصول على ما يكفي من الدعم المادي ومن الأسلحة، بيد أن تعنت زياد ومحدودية المستوى الثقافي لأولئك القياديين، وافتقارهم لبعد النظر أجهض في البداية متابعة العمل المسلح.

وبالاتصال مع بعض قياديي جبهة التحرير الجزائرية (يتزعمهم محمد بوضياف في تطوان) الذين كانوا يلجأون إلى منطقة الريف، بدأ أفق جديد يظهر في مسيرة الكفاح من أجل الاستقلال. هذا الاتصال سبقه لقاء في القاهرة بين علال الفاسي وعبد الكبير الفاسي من جهة وأحمد بن بلة من جهة أخرى، كان الهدف منه توفير الأسلحة وإيصالها إلى المقاومين المغاربة والجزائريين.



تطوان/ 1956. في محاولة لتوحيد صفوف المقاومة وجيش التحرير
في الصورة من اليسار إلى اليمين: التهامي نعمان، عبد العزيز الماسي، بوشعيب الحريري، عبد الكريم الخطيب، الحسين برادة، محمد بنسعيد وحسن البركة

[7]

جيش التحرير بالشمال يتلقى أسلحة من مصر



الزعيم الراحل جمال عبد الناصر

كَانَتْ هذه هي النواة الأولى لجيش التحرير، ولم يتأخر كثيرا وصول السلاح من مصر جمال عبد الناصر مطلع 1955. في هذا الوقت بادرت القيادة إلى إنشاء معسكر بجنان الرهوني نواحي مدينة تطوان، لتدريب الجنود تحت إشراف ضابط عسكري من أصل جزائري وحامل للجنسية الفرنسية يدعى عبد القادر بوزار، كان قد عمل ضابطا للشؤون الأهلية بالدار البيضاء مع سلطات الحماية، ووقع له خلاف معها فهاجر إلى القاهرة قبل أن يلتحق بحركة التحرير بالمغرب، قادما في الباخرة التي جاءت على متنها الأسلحة.

لن تشارك قوات هذا المركز العسكري في أحداث 2 أكتوبر، بناء على فكرة تقضي بمفاجأة الفرنسيين الذين كانت قنصليتهم بتطوان على علم بالمعسكر، وقد ساهم في اتخاذ هذا القرار توتر في العلاقة بين المقاومة والقوات الاسبانية، لأن الاتفاق

الذي انعقد ب"لاسيل سان كلو" بين محمد بن يوسف ووزير الخارجية الفرنسي، للاعتراف باستقلال المغرب وعودة الملك إلى عرشه، كان على حساب اسبانيا التي همشت ولم تستفد من موقفها عندما رفضت عزل محمد الخامس، ومن دعمها الضمني للمقاومة المغربية بالشمال والجنوب.

كان من الممكن أن يستفيد المغرب لو أشرك الملك والوطنيون اسبانيا في مفاوضاتهم مع الفرنسيين، غير أن إهمال مصالحها انعكس سلبا على العلاقات في ما بعد، إلى درجة أن فرانكو أبدى رفضه للاستقلال. غير أن تدخل علال الفاسي الذي كانت تجمعه علاقات طيبة مع الإسبان، ساعد على رأب الصدع ومهد لزيارة محمد الخامس إلى اسبانيا، من أجل إعلان الاستقلال عن الجارة الإيبيرية في الشمال.

في 2 أكتوبر 1955إذن، كانت الانتفاضة الشعبية التي ستخلق شروطا جديدة وتتحول إلى ورقة ضغط في يد المفاوض المغربي اتجاه الحكومة الفرنسية، بحيث عجلت بحل مشكل الشرعية والإقرار بعودة الملك محمد بن يوسف إلى المغرب، ونقل المحادثات إلى مستوى المطالبة بإلغاء معاهدة الحماية والاعتراف بالاستقلال السياسي الكامل للمغرب.

وفي دجنبر من نفس السنة جاءت عملية بوزار الذي خرج بفصيل من المقاتلين من كتامة نزولا عبر بني زروال ومكناس وخنيفرة وبني ملال وصولا إلى مراكش. تمت العملية بدون علم من القيادة المركزية لجيش التحرير، وكان الملك وقتها قد عاد إلى عرشه وتكونت الحكومة الأولى ورسا الوضع على نوع من الاستقرار، وكان هذا الفصيل يستهدف القياد والباشاوات التابعين لسلطات الحماية مما خلق فوضى في البلاد. بدأ بوزار ب 120 جنديا إلا أن العدد ارتفع فيما بعد وتكونت فصائل أخرى انفصلت عنه وعملت لحسابها الخاص.

هذا يعطي صورة مصغرة عن جيش التحرير بالشمال، فهو لم يكن متجانسا ولا خاضعا لقيادة واحدة، خصوصا وأنه كانت ثمة فصائل مختلفة بعضها تابع للمنظمة السرية وبعضها للهلال الأسود وبعضها الآخر تابع لبوزار(..)

التحاقي بجيش التحرير بالشمال للتنسيق ومعالجة تصدع القيادة المركزية

فيما يخصني أنا، كنت قد انتقلت الى الشمال في أواخر ديسمبر 1955 بعد نشوب توتر حاد في قلب القيادة المركزية لجيش التحرير، التي كانت تتكون من الدكتور عبد الكريم الخطيب والغالي العراقي وصفي الدين حسن وسعيد بونعيلات وحسين برادة. كان ثمة أيضا المجلس الوطني المشكل من 27 فردا منهم عبد الرحمان اليوسفي وعبد اللطيف بن جلون.

على إثر ذلك، سيفضل بونعيلات وصفي الدين، ترك القيادة بتطوان والعودة إلى الدار البيضاء لمواصلة العمل في المنظمة السرية، بعد الاصطفافات السياسية الواقعة في أعقاب الاستقلال، وتناسل المنظمات التي فاقت الثلاثين كما هو حال "الهلال الأسود" و"الحسنية". أما الدكتور الخطيب والغالي العراقي فسافرا إلى القاهرة، بهدف البحث عن أسلحة لجيش التحرير.

كانت الرسالة التي وصلتني تدعوني للحضور بشكل عاجل دون أية توضيحات أو شروحات أخرى. أما المهمة التي كانت مطلوبة مني فهي التنسيق وربط الاتصال بين القيادة المركزية بتطوان ومواقع جيش التحرير بالشمال ومراكز أخرى كالدار البيضاء ومدريد وسيدي إيفني.

في الواقع كانت هذه المهمة تفوق حدود إمكانياتي كفرد، لكنني قمت بسد جزء من الفراغ على هذا المستوى، مستفيدا من جهل الإدارة الاسبانية بوجودي في الشمال،

كما كان باديا كثيرا الفراغُ الذي خلفته القيادة وهي تقطع كل اتصال بفصائل الجيش.

هكذا أخذت القيادة المحلية بمركز الناظور، المكونة من عباس المسعدي وعبد الرحمان الصنهاجي والحاج سعيد بن عبد الله، المبادرة وبدأت تتصرف من تلقاء ذاتها ودون العودة للقيادة المركزية، وتعرض الجيش لاختراقات من عناصر كثيرة بعضها كان يسعى للاستفادة من الرأسمال الرمزي، الذي يعنيه الكفاح المسلح بقصد الحصول على مناصب عليا في الدولة، هذه الاختراقات أدت إلى خلق تيارات جديدة داخل الجيش وبالتالي إفقاد قياداته المحلية التجانس والعمل الموحد المبني على رؤية واضحة تجمع الكل وتضبطها أهداف محددة تلزم الجميع.

صار جيش التحرير نهبا لاصطفافات الأحزاب والتشكيلات السياسية؛ فكل الأطراف كانت تراهن عليه كسلطة لتقوية موقعها، بما في ذلك المؤسسة الملكية نفسها. وقد ساهم في هذا الأمر غياب قيادة موحدة وخضوع كل فصيل لجهة سياسية معينة.

ومن جملة المحاولات التي قمنا بها لتوحيد الجيش تحت قيادة مركزية وأهداف واضحة، لقاء دعا إليه علال الفاسي بمدريد يجمع بين قيادات المقاومة وجيش التحرير وبعض ممثلي حزب الاستقلال. وقد تكلفتُ بمهمة إخراج الفقيه البصري وحسن صفي الدين وسعيد بونعيلات من الدار البيضاء بما في ذلك تهييء جوازات سفر خاصة وتعيين الطائرة التي سيغادرون على متنها إلى مدريد...

لقاء مدريد بين قيادة المقاومة وجيش التحرير
وزعماء حزب الاستقلال

كان اللقاء في العاصمة الاسبانية بدار الكبير الفاسي، بحضور المهدي بن بركة وعلال الفاسي والدكتور الخطيب والحسين برادة وعباس لمسعدي وآخرين من بينهم كاتب هذه السطور.

كان المقصود من الاجتماع تقييم الأوضاع السياسية والعسكرية واستشراف الآفاق المستقبلية المطروحة أمام المغرب، مع التنسيق بين قيادة حزب الاستقلال وجيش التحرير.

كانت الخريطة السياسية قد طرأت عليها عدة تغييرات بعد عودة الملك؛ فإلى جانب ما يمثله هو من وزن على الساحة، برزت طموحات عدد من السياسيين وبعض قياديي الجيش.

وقد شكلت المفاوضات مع الفرنسيين مبعث خوف وقلق عند إخوتنا الجزائريين، خصوصا وأن تونس نهجت من قبل نفس النهج لتحصيل استقلالها، لذلك سعت جبهة التحرير الجزائرية من خلال ممثليها في الناضور ضمن لجنة التنسيق بينها وبين قيادة جيش التحرير إلى استمالة هذا الأخير ودفعه لفك ارتباطه مع السياسيين وتحديدا مع حزب الاستقلال. وقد استطاع محمد بوضياف والعربي المهيدي عضو الجبهة بلجنة التنسيق المذكورة (اغتيل وقتها بوهران) أن يؤثرا على عباس المسعدي عندما أقنعاه بالطرح المشترك لجبهة التحرير والجانب المصري.

لذلك كان طبيعيا أن يسعى المسعدي في لقاء مدريد إلى عرقلة أي تفاهم ممكن بين حزب الاستقلال وقيادة المقاومة وجيش التحرير، وأول شيء فعله هو أنه طلب من المهدي بن بركة والكبير الفاسي أن يتركا قاعة الاجتماع، بدعوى أنهما لا ينتميان إلى المقاومة، متناسيا أن الكبير الفاسي كان همزة الوصل بين المقاومة المغربية

المسلحة والزعماء السياسيين بالخارج، وهو من أخذ بيد المسعدي نفسه وفتح له سبيل الاتصال بمصر، بعدما كان مجرد مقاوم عادي. وبتدخل من علال الفاسي انسحب المهدي والكبير حتى لا ينفجر اللقاء.

تمخض الاجتماع عن مجموعة من الاتفاقات صادقنا عليها بالإجماع، منها عدم تجريد جيش التحرير من سلاحه، مع جعله النواة الأولى للجيش الوطني في وقت لم يكن فيه الجيش الملكي قد رأى النور بعد، ومحاكمة الخونة الذين تعاملوا مع سلطات الاحتلال، واستمرار الكفاح المسلح حتى جلاء آخر مستعمر عن الأراضي المغربية، بيد أن كل هذه الاتفاقات ظلت مجرد حبر على ورق.

في سياق هذه الترتيبات، تفاجأنا بكون عبد القادر بوزار اتصل بوزير الداخلية لحسن اليوسي، واتفق معه على تسليمه سلاح جيش التحرير. لم تكن هذه الحركة منتظرة، وعلى الفور كُلّف الدكتور الخطيب بعزل بوزار باعتبار أنه هو من نصبه على رأس إحدى الفصائل. كان الاتفاق قائما على تبليغ الملك بضرورة استمرار جيش التحرير على أساس أن الجيش الفرنسي لم يخرج بعد من البلاد، والسلطات الفرنسية لم تقدم ما يكفي من ضمانات يمكن الوثوق بها، لكن ما وقع أن الدكتور الخطيب لم يوقف بوزار، بل جاء بفصيل من الجيش وقدم البيعة لمحمد بن يوسف بدون علم من رفاقه في القيادة.

[8]

حلّ جيش التحرير بالشمال وتحوله نحو الجنوب



المتوكل الهاشمي(اليمين)، مسؤول المخابرات في المنظمة السرية مع إبراهيم الروداني، وصديق له- لا صلة له بالموضوع-
ثم محمد بنسعيد



الوقت الذي كانت الأحداث تتسارع والاصطفافات السياسية على أشدها بالمغرب، قررت الأجهزة المصرية بمعية الجزائريين عقد لقاء بالقاهرة في فبراير 1956 يجمع قيادات جيش التحرير بالمغرب العربي. وفعلا حضر من المغرب كل من الدكتور الخطيب والمهدي بنعبود وعباس المسعدي، ومثل الجزائر أحمد بنبلة في حين مثل مقاومة الفلاكة من تونس الطاهر الأسود والبشير الصباح.

ورفع ممثلو قيادات التحرير المغاربي بتنسيق مع جهاز الأمن المصري مذكرة إلى جمال عبد الناصر يلتزمون فيها بعدم وضع السلاح ومواصلة الكفاح المسلح حتى تحقيق الاستقلال التام للدول المغاربية الثلاث. وعدم قبول الاتفاقات السياسية للأحزاب... لكن بعد اغتيال عباس المسعدي سيتم استدعاء الدكتور الخطيب وتكليفه بحل جيش التحرير، وهو بالفعل ممن قاموا بهذه المهمة بمعية ولي العهد

آنذاك. في المقابل، بادرنا على إثر فشل لقاء مدريد، إلى عقد لقاءات بين قيادات المقاومة والجيش بكل من الدار البيضاء والخميسات تمخض عنها إنشاء ثلاث لجن مهمتها مراقبة مواقع الجيش وإحصاء عدد أفراده والإشراف العام على سيره عبر لجنة ترأسها بوشعيب الحريري(الدكالي)، وأخرى ترأسها شخص يؤدعى بن حمدون، ولجنة ثالثة كنت أنا على رأسها.

في هذا السياق أسسنا مركزا قياديا وقمنا بجولات في المناطق التي كانت تضم مواقع لجيش التحرير مثل تيزي ويسلي وبني زروال وجنان الرهوني. غير أن توصيات التقرير الذي أنجزناه في هذا الصدد بقيت هي الأخرى حبرا على ورق.

جرت محاولات أخرى بين سنتي 1956و1957 قام بها إبراهيم الروداني، ورامت توحيد فصائل المقاومة بين المنظمة السرية التي كانت تابعة لحزب الاستقلال والاتحاد المغربي للشغل وبين منظمة الهلال الأسود المرتبطة بحزب الشورى والاستقلال. إلا أن مسعاه باء بالفشل. وإلى جانب هاتين القوتين السياسيتين الأساسيتين في الساحة، كانت هناك المؤسسة الملكية التي أخذت تتحول مع مرور الوقت إلى طرف في الصراع السياسي بعد الاستقلال.

كان رهان الدولة تجريد فصائل الجيش من الأسلحة وبالفعل قامت المنظمة السرية بتسليمي ذخيرة منها باعتباري المسؤول بمكتب الدار البيضاء عن إدماج المقاومين وأفراد الجيش في أسلاك الدولة. من جانبي حولت هذه الأسلحة إلى جيش التحرير بالجنوب على إثر موافقة محمد الخامس على مواصلة الكفاح المسلح لتحرير كل الأراضي المغربية الواقعة تحت نير الاستعماريين الفرنسي والاسباني بالصحراء المغربية بالطبع. لم تأت هذه الموافقة من فراغ، بل كان الهدف منها امتصاص الغضب الشعبي وردود الفعل التي خلفتها عملية حل جيش التحرير بالشمال وتجريد المقاومة المغربية من سلاحها.

هذه حقيقة علاقة المحجوبي أحرضان
بجيش التحرير

في شتنبر 1956 عقدنا مؤتمرا للمقاومة وجيش التحرير بضيعة الهاشمي المتوكل بالدار البيضاء وباستثناء المسعدي الذي كان قد اغتيل، فقد حضره كل القياديين، كما حضره المحجوبي أحرضان بتزكية من الدكتور الخطيب.

وللتاريخ فقط، فأحرضان لم يسبق له أن انتمى يوما إلى جيش التحرير، وكل ما هنالك أن اسمه أعْطِيَ في وقت من الأوقات لقيادة الجيش بتطوان على أساس الاتصال به من طرف الفقيه الفكيكي وسعيد المنوزي هنا بالبيضاء بإحدى مقاهي عين الذئاب. وكان الغرض أن يلحق بالجيش باعتباره ضابطا. فطلب معاودة الاتصال به من بعد. واتُّفِق على إشارة خاصة للتواصل معه عبر الجريدة، على العادة التي كان معمولا به في تلك الفترة من الكفاح الوطني. غير أنه سافر إلى فرنسا وانقطع الاتصال به. بعد الاستقلال، وفي الوقت الذي طلب فيه الملك من الدكتور الخطيب حل جيش التحرير قام أحرضان بصفته عاملا على الرباط بالسفر إلى طنجة والمجيء بالخطيب على متن سيارته المرقمة بعلامة الدولة عابرا به مجموعة من الحدود الفرنسية والاسبانية دون خضوع للتفتيش، بالإضافة إلى أن داره شكلت في مناسبات قليلة جدا، مركزا للاتصالات. هذا كل ما ربطه حقيقة بالمقاومة وجيش التحرير.

أسباب التحاقي
بقيادة جيش التحرير بالجنوب

تحول مركز قيادة الجيش بالدار البيضاء إلى مكتب خاص بتسوية مشاكل المقاومين ممن عادوا من منفاهم أو خرجوا من السجن، وذلك في غياب وزارة تضطلع بهذا

الأمر. وقد تكلفت بمعية بوشعيب الدكالي بالإشراف عليه بعد اتفاق بين المنظمة السرية والملك محمد الخامس ووزير الداخلية آنذاك إدريس المحمدي. وفعلا قمنا بتوظيف عدد مهم منهم بالقوات المساعدة والجيش الملكي ووزارة الداخلية، ومنح البعض الآخر مأذونيات(كريمات). وأسجل في هذا الإطار أن بعض القياديين في الجيش والمقاومة كانوا يتجاوزوننا ويتصلون بالعامل مباشرة ليعطوا مأذونيات لأشخاص لا يستحقونها، وكنا لا نسكت عن هذه التجاوزات بل نستنكرها بشدة.

لقد حاولنا وضع حد لهذه السلوكات إلا أن ذلك كان يتجاوزنا. وقد حصل لي شخصيا اصطدام حاد مع عبد الرحمان التناني الذي كان يستقوى بالفقيه البصري، ويفعل ما يشاء. والأكيد أن قصور الوعي وغياب النزاهة كانا من أسباب هذه التصرفات. وقد دفعني كل ذلك، رفقة مجموعة من المقاومين إلى الانسحاب واختيار الالتحاق بقيادة جيش التحرير بالجنوب.

أحسست أنني لم أعد أقوم بعملي كما يجب وأنا محاصر بطغيان النزعة المصلحية. فكل ما فعلناه،كنا نفعله خدمة للناس جميعا، ومن أجل تحصيل المواطنين لحقوقهم بعيدا عن منطق الزبونية واستغلال النفوذ للاستفراد بخيرات البلاد والحصول على امتيازات بغير وجه حق. ولكن هذا المنطق، لم يكن هو ما يحكم سلوك بعض قياديي جيش التحرير الذين سطوا على أملاك المتعاونين مع سلطات الحماية. واغتنوا منها بعد أن حولوها لصالحهم الشخصي، مما ترك أثرا سيئا لدى الناس الذين دعموا ماديا ومعنويا الجيش وسهلوا له عمله باستمرار.

كان هذان السببان حاسمين في خروجي من الدار البيضاء والتحاقي بجيش التحرير الذي بدأت تطغى عليه هو الآخر نزعة المصالح، فيما دوره الأساسي، يكمن في تحرير باقي الأراضي المغربية الواقعة تحت يد المستعمرين.

جيش التحرير بالجنوب
يستجيب لنداء الموريتانيين

في الشهور الاولى من عام 1956 وصل إلى المغرب الزعيم الموريتاني حرمة ولد بابانا النائب البرلماني في الجمعية الوطنية الفرنسية وعضو المجلس الأعلى لإفريقيا الغربية، والذي سيسقطه الفرنسيون في الانتخابات عندما لمسوا فيه تهديدا حقيقيا لهم بسبب ما يحمل من أفكار وطنية داعية للتحرر.

كما التحق بالمغرب الأمير زكرياء بن خينو الكاتب العام للحركة الوطنية لتحرير موريتانيا، وهو من أمراء السكان السود بجنوب موريتانيا. ولم يقتصر الأمر على هذين الزعيمين، بل تعداه إلى وصول مجموعة من قادة حزب النهضة الموريتاني، يتقدمهم محمد ولد جدو وأحمد بابا مسكي وأحمد بازيد وماء العينين ولد النور، بالإضافة طبعا للصحفي المغربي المشهور، باهي محمد حرمة، الذي وصل من إذاعة داكار، حيث كان يعمل، إلى قيادة جيش التحرير بكلميم.

كان الهدف من هذه الزيارة واضحا لا التفاف فيه، وهو طلب الدعم من الملك محمد الخامس، لتحرير موريتانيا من الاستعمار الفرنسي والتحاقها بالوطن الأم، المغرب.

أصدر الملك أمره بضرورة تحرك الجيش جنوبا لمؤازرة الموريتانيين ضد الاستعمار الفرنسي...وبالفعل انطلق في أكتوبر 1956 من كلميم فصيل من جيش التحرير قاطعا الصحراء في ظروف صعبة دون أن يتوفر على تغطية تحميه أو مراكز عسكرية يأوي إليها أو خريطة للمنطقة تدله على مواقع تمركز الفرنسيين، ومعتمدا فقط على الإبل والدعم المادي للأهالي. وقد أمضى في طريقة إلى الحدود الشمالية مع موريتانيا أربعة أشهر بحيث لم يبلغها إلا في يناير 1957.

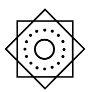
الهزيمة ضد الفرنسيين
في معركة أدرار

سيخوض هذا الفصيل معركة أدرار ضد القوات الفرنسية في شروط سلبية للغاية. فكان من الطبيعي أن يهزم في مواجهة غير متكافئة ومباشرة له مع الجيش الفرنسي الذي لم يتفاجأ بالعملية. كان الفصيل محروما من أية خلفية تؤمنه، وبعيدا عن مركز انطلاقه بمسافة 1500كلم كلها عبارة عن صحراء. وقد زاد من صعوبة مسؤوليته عدم صحة الأخبار التي زوده بها الوفد الموريتاني الذي أكد له دعم ومساندة المواطنين له، وتعويلهم عليه. وفي غياب أدلاء يهدونه إلى مراكز الفرنسيين بموريتانيا ودعم مادي ومعنوي من الأهالي لم يبق أمام هذا الفصيل سوى مواجهة الاحتمالات الأكثر سوءا. ولا يستبعد أن يكون الاسبان قد أمدوا الطرف الفرنسي بمعلومات عن تحرك جيش التحرير على طول الصحراء التي تحتلها اسبانيا، فقد أخذ الفصيل المغربي على حين غرة، ووجد نفسه حتى قبل أن يلتقط أنفاسه ويستخبر عن المنطقة، تحت رحمة نيران طائرات القوات الفرنسية.

امتدت معركة أدرار على مدى ثلاثة أسابيع تشتت فيها فصيل جيش التحرير في فيافي منطقة لا يعرف عن جغرافيتها الكثير إن لم يكن يجهل عنها كل شيء. ومنذ البدء، اتسمت المعركة بالقسوة. لم يكن الجيش المغربي بالهدف السهل للفرنسيين، بالرغم من تفوقهم في العدة والعدد واستعدادهم التام. وقد تمخضت المعارك عن سقوط حوالي 190 قتيلا من جانب القوات الفرنسية بالإضافة لثلاث طائرات. أما من جيش التحرير، فقد استشهد ستون(60) مقاتلا واعتقل سبعة وأربعون(47) من أعضائه. وأمام قنبلة الفرنسيين لقافلة إمدادات ومؤن جيش التحرير وقتلها أغلب الجمال التي كان يعتمد عليها في تحركه، فقد كانت عودة الناجين تمثل بالفعل مخاطرة كبيرة جدا في ظل صعوبة الطريق وغياب ما يكفي من مؤونة. وفي طريق

الإياب سيتعرض أفراد الجيش الاسباني لمن تبقى من الفصيل المغربي وسيجردونهم من أسلحتهم بدعوى مصلحة البلاد والمس بالعلاقات الدولية(..)





[9]

جيش التحرير
يثأر من الفرنسيين
في معركة بير موكرين



وفد من المقاومة وجيش التحرير في لقاء مع الاسبان بجزر كناريا،
في محاولة لتحييدهم في الحرب مع فرنسا (1957).
في الصورة من اليمين إلى اليسار: عمر الفرشي، إدريس بن بوبكر، محمد بن حمو،
أجار محمد(سعيد بونعيلات)، محمد بنسعيد آيت إيدر، المرحوم محمد بن علي
بولحية[اختطف]، عمرو الحريزي(المدعو الفيلسوف)،
وبوزكري(جيش التحرير)



ظل هذه الظروف، التحقت بجيش التحرير بالجنوب. كان المسار حافلا بالمعارك؛ من معارك الدار البيضاء ضد الانتهازية والزبونية وضد العنف الذي طبع سلوك بعض المقاومين، إلى معارك الجنوب ضد من حاولوا الاغتناء على حساب جيش التحرير ضاربين بالمصلحة العامة عرض الحائط، أو ضد من سعوا لنسفه من الداخل، خدمة لجهات معادية له بالمغرب وخارجه...

والحقيقة أن التحاقي بقيادة جيش التحرير مباشرة إثر هزيمته في معركة أدرار شكل محكا صعبا لي؛ فقد كان لابد من عمل ما يمحو الآثار السلبية التي تركها الإخفاق على نفسية أبناء الصحراء المغربية. ولم تكن ثمة آفاق واضحة أمامنا لغياب أية خرائط للمنطقة تتيح لنا تبين مواقع الجيش الفرنسي والتخطيط لعمليات مدروسة ضده. لذلك اعتمدنا على أدلاء من المنطقة وخططنا لأول معركة في 14 فبراير 1957

قرب جبل رغيوة ببير موكرين. لم يكن مضى على هزيمتنا ضد الفرنسيين سوى شهر واحد عندما فاجأ فصيلٌ من جيش التحرير كتائبَ من الجيش الفرنسي العائد من تيندوف، وتمكن من قتل ما يقرب من 150 جنديا وأسر ضابط كورسيكي يدعى غارسيكا غيرل، سيعيده الملك محمد الخامس فيما بعد إلى وطنه الام حين قام بزيارة لمنفاه السابق بمدغشقر.

نقطة التحول في العلاقة مع الاسبان

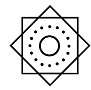
هذه العملية المهمة كانت الفيصل في تحول العلاقة مع الاسبان؛ فقد أثارت حفيظتهم ودفعتهم إلى تغيير سياستهم اتجاه جيش التحرير، خصوصا أن المغرب في تفاوضه مع فرنسا على الاستقلال تجاهل مصالح الاسبان وموقفهم الرافض لإزاحة محمد بن يوسف من على عرشه، بالإضافة إلى دعمهم الضمني للمقاومة المغربية في الشمال والجنوب والحال أن فرنسا، كانت هي المستفيد الأكبر من التفاوض على الاستقلال، فيما خرجت اسبانيا خاوية الوفاض. وكان الأولى بالمغرب أن يراعي المصالح الاسبانية وأن يستغل الخلاف الكامن بين الدولتين الاستعماريتين ليقوي من موقفه التفاوضي ويكسب نقطا أكثر. وبغض النظر عما خلفته معركة بير موكرين عند الطرف الاسباني من قلق لم تعمل الأيام إلا على تغذيته، إزاء ما يتمتع به جيش التحرير من قوة وحماس بالرغم من تواضع إمكانياته المادية، قياسا بقوة امبريالية في حجم فرنسا، فإن الموقف الاسباني المنقلب إلى عداء لا يمكن إلا أن يكون موقفا مفهوما كما هو منتظر.

كان المسؤولون الاسبان بالجنوب يتوسلون دائما لدى قيادة جيش التحرير من أجل تهدئة السكان الصحراويين بإيفني وآيت باعمران المنتفضين باستمرار، والتواقين هم أيضا للتحرر. وبالفعل، كان مسعى القيادة ينجح، بالنظر لما يتمتع به الجيش من نفوذ معنوي بالمنطقة، بالرغم من الحرج الذي يسببه هذا الأمر على اعتبار أنه يؤجل

انعتاق الجنوبيين من ربقة الاستعمار شأن مواطنيهم في الشمال. إلا أن حسابات جيش التحرير كانت تقضي بمواجهة الفرنسيين أولا ثم الوصول مع الاسبان إلى حل.

كان سكان الصحراء المغربية بعد الاستقلال قد صاروا أكثر اعتمادا على أنفسهم في إدارة شؤونهم المحلية، ولم يعودوا يلجؤون إلى المصالح الإدارية للسلطات الاسبانية، وإنما إلى مكاتب حزب الاستقلال المتواجدة في مناطقهم. وفعلا تطورت الأمور في هذا الاتجاه على أرض الواقع، حتى إن الحاكم العسكري الاسباني بمدينة إيفني الكومندان تشاس طلب من عامل إقليم أكادير عام 1956 أن يعين ممثلا عن الحكومة المغربية للإشراف على تسيير شؤون المواطنين المغاربة في إيفني وآيت باعمران ريثما تتم الإجراءات الدبلوماسية بين المغرب واسبانيا. غير أن رفض هذا العرض من قبل عامل الإقليم المذكور منح السلطات الاسبانية فرصة مراجعة موقفها وتغيير سياستها تجاه "الأهالي"، كما بدأت تتحين الفرص لإعادة هيمنتها على مقاليد الأمور.

وقد شرعت شيئا فشيئا في التدخل في شؤون السكان حتى تمكنت من فرض سيطرتها على جل مرافق الحياة من جديد. وتطورت الحالة العامة عندما عمدت السلطات الاسبانية إلى استنطاق المواطنين والتحقيق معهم في ماقاموا به من نشاط سياسي وكانت هذه من الأسباب التي عجلت بالتوتر بين الطرفين. ولم يكتف الإسبان بهذه الإجراءات التعسفية، بل قررت السلطات العسكرية إعادة فرض الحراسة على الحدود الفاصلة بين المنطقة الشمالية المستقلة والجنوبية الخاضعة للاحتلال الاسباني ثم فرضت الرقابة على البريد وعادت إلى العمل على جباية الضرائب ومنع الخروج من منطقة إلى أخرى بدون رخصة يسلمها الحاكم العسكري بالمنطقة، قبل أن تقدم في الأخير على حملة اعتقالات في حق مسيري مكاتب الأحزاب السياسية وبعض الشخصيات البارزة.



[10]

انتصارات جيش التحرير
على اسبانيا في الصحراء المغربية



مجموعة من المقاومين في إحدى مناسبات 20 غشت
يمكن أن نميز في الصورة من اليمين إلى اليسار:
المختار الزنفاري والغالي العراقي ومحمد بنسعيد وعبد الوهاب بنمنصور
ومصطفى الكتيري وأجار محمد (سعيد بونعيلات)
وامبارك الورداني وادريس بن بوبكر ثم الحسين سرحان

أوّلُ

ما قام به جيش التحرير لمواجهة تحالف الجيشين الاستعماريين الاسباني والفرنسي هو القيام بتعزيزات عسكرية لمواقعه ومقاطعاته الخمس عشرة بالصحراء وعلى الحدود الفاصلة بين الجنوب المحتل والشمال المستقل. كان ثمة متطوعون جدد من أبناء الصحراء يلتحقون بمراكز التدريب، تغمرهم جميعا الحماسة من أجل تحرير ما تبقى من تراب الوطن.

في هذه الظروف ستوفد القيادة المركزية بكلميم الضابط بن ابراهيم بصفة سرية إلى موريتانيا قصد معاودة الاتصال بالوطنيين والبحث عن سبل للتنسيق. وتضمنت المهمة أيضا استدعاء شيوخ قبائل أولاد الدليم والرقيبات القاطنين بصحراء وادي الذهب.

موازاة مع هذه المهمة أصدرنا أمرا إلى قائد الرحى محمد بن الجيلالي المرابط بوادي الساقية الحمراء، تحديدا بالمركز المعروف ب"تافودارت"، بأن ينتقل بجنـــــوده إلى"الكلتة" ليكون قريبا من منطقة وادي الذهب ويربط اتصالا مستمرا

مع الضابط ابن إبراهيم. فرغم هزيمة جيش التحرير في معركة أدرار لم يسقط جيشُ التحرير موريتانيا من حساباته، وإنما تقوى وتجدد عزمه على تحرير كل شبر من جغرافية المغرب كما جاء رسم حدودها في الخريطة التي وضعها الزعيم علال الفاسي حين كان المغرب يتفاوض مع فرنسا على استقلاله.

على الجبهة الغربية للصحراء المغربية

في غشت 1957 أفلح جيش التحرير في الإيقاع بجاسوس مغربي بعثته السلطات الفرنسية من تيندوف لتزويدها بمعلومات عن مراكز الجيش وتحركاته. وفي الوقت نفسه عاد المسؤولان علال بن عمر وبن ابراهيم من مهمتهما بالصحراء المغربية وأخبرا القيادة بأن الحالة هناك هادئة والطريق سالكة مع أن العكس هو الذي كان حاصلا. بيد أن هذه الإفادة المغلوطة لم تؤثر كثيرا على سير الأحداث إذ سرعان ما سيحرر جيش التحرير مدينة السمارة ثم بعدها طانطان.

وقد بدا للفرنسيين أن الإسبان تخلوا عنهم وهم يخلون مواقعهم بالجهة الغربية من الصحراء المغربية. ولم يفطنوا إلى أن تحرك جيش التحرير دفع الإسبان إلى التراجع والتنازل عن مراكزهم كرها، وترحيل كل الأطر الأوروبية العاملة بمراكز الحدود مع الإبقاء على الجنود المغاربة في الجيش الاسباني. كما أن الاسبانيين تعمدوا ألا يخبروا الفرنسيين بما يقع لهم على أرض الواقع حتى لا يظهروا أمامهم في صورة العاجزين عن حماية مواقعهم أمام جيش التحرير.

بدأ الأمر باختراق في الجبهة الاسبانية، عندما عمدت المقاطعة الثامنة بجيش التحرير إلى الاتصال بالجنود المغاربة الصحراويين العاملين بالجيش الاسباني في مركز العركوب وأوسرد، وعقدت معهم اتفاقا على احتلال المراكز المحيطة بمدينة

الداخلة وحصلت تجمعات حضرها أعيان وشيوخ من قبائل الرقيبات وأولاد الدليم تناولوا فيها إمكانيات العمل لتحرير المنطقة من الاستعمار الاسباني. ولما علمت السلطات العسكرية الاسبانية بهذه التحركات من قبل بعض عملائها قررت مغادرة هذه المراكز والفرار إلى الكويرة على الحدود مع موريتانيا.

لقد لعبت القبائل دورا مهما في إجلاء الإسبان، إذ إلى جانب الرغبة في التخلص من الاستعمار وترجمة ذلك إلى سلوك وطني عبر عنه الجنود الصحراويون المنضوون تحت لواء الجيش الاسباني بانشقاقهم عنه استجابة لدعوة من بعض قيادات جيش التحرير بالمنطقة، كان للدعاية دورها في تخويف الإسبان فقد خاطر قائد المقاطعة الثامنة ناضل الهاشمي بحياته وهو يبادر، من دون أن يُعلم قيادة الجيش في كلميم، بترك مركزه بالسمارة والانتقال إلى وادي الذهب على متن جيب صغيرة مصحوبا فقط بثلاثة من معاونيه ومستقدما معه مدفعا من عيار24 ومجموعة بنادق خفيفة.

احتفل به زعماء المنطقة والتف حوله الجنود المغاربة في الجيش الإسباني، وجرى الاتفاق على التعبئة العامة، بعد أن جمع السكان كل ما يملكون من بنادق الصيد ومن أسلحة كانوا أخذوها من معسكرات الجيش الإسباني. لاذ الإسبان بالفرار إلى الكويرة بعد أن بلغهم أن قوات كبيرة من جيش التحرير مجهزة بمدافع كبيرة تتقدم جهة الداخلة. والحقيقة أنه لم يكن ثمة سوى قائد، لا تنقصه الشجاعة وحسن المغامرة، وفي حوزته مدفع وبضعة بنادق.

كان في نية قيادة جيش التحرير أن توجه توبيخا إلى القائد ناضل الهاشمي على سلوكه المغامر، إلا أنها أمام النتائج الايجابية وغير المتوقعة لما أقدم عليه، أحجمت عما كانت قد قررته بشأنه، وستستقبله مرفقا بشيوخ وزعماء قبائل الرقيبات الساحل وأولاد الدليم وتزودهم بالأسلحة والذخيرة على الرغم من أنها لم تكن كافية لهم اعتبارا لإمكانيات الجيش الضعيفة. لقد كانت لحظة حاسمة بحق في بداية المعركة

مع الإسبان دفعتهم إلى إخلاء مراكزهم البعيدة عن المدن والتحصن بكل من العيون والداخلة وطرفاية.

هذا النصر أتاح لجيش التحرير كامل الحرية في التحرك عبر ربوع الصحراء، وأبعد من هذا، أعطاه إمكانية قطع خطوط المواصلات عن الجيش الاسباني والذهاب إلى حد فرض حصار شديد عليه بطرفاية والعيون والداخلة. إذ لم يعد باستطاعة هذا الجيش الاستعماري الاتصال بالسلطات والرعايا الإسبان في هذه المدن الثلاث سوى عبر الجو لتزويدها بما تحتاجه من ضروريات واعتمد جيش التحرير في الحصار على مجموعة من الفرق المتنقلة والسريعة؛ فالمقاطعة التاسعة حاصرت العيون شمالا وغربا بينما المقاطعة الثامنة حاصرتها من الشرق وأكملت إحكام الطوق على الداخلة إثر فراغها من احتلال مركزيْ أوسرد والعركوب.

معركة تافودارت

عزز جيش التحرير مواقعه في تافودارت بضواحي مدينة العيون حيث مقر المقاطعة التاسعة بقيادة صالح بن عسو. كان الدعم مرة أخرى ذا أهمية كبرى من قبائل "تكنة" و "الرقيبات" التي تقطن بالمنطقة وساهم الحصار على المدينة في قطعها عن طرفاية والداخلة مما سمح للجيش بمراقبة شواطئ العيون على امتداد يصل إلى بوجدور حيث وقع هجوم على مركز عسكري واعتقال خمسة ضباط من الجيش الاسباني. ونظمت المقاطعة التاسعة معارك في الدشيرة والمسيد وهجوما على العيون تكبد فيها كلها الجيش الاسباني خسائر مهمة في الأرواح والعتاد.

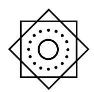
إلا أن معركة تافودارت كانت الأشد على الإسبان، بحيث فقدوا فيها فرقة عسكرية بأكملها تتكون من 800جندي ضمنهم ثلاثة ضباط برتبة قبطان.

كان الجيش الإسباني هو المبادر بالهجوم، عازما على فك الحصار عن المدينة. وعلمت قيادة المقاطعة بالعملية عن طريق مخبريها من السكان بالعيون فاستعدت وأعدت العدة ووزعت فرقها على المواقع التي تسمح لها بتطويق قوات العدو.

انطلقت المعركة صبيحة الأول من فبراير 1958ولم تنته إلا في ليلة اليوم الثالث منه. ترك جيش التحرير قوات الجيش الاسباني تتقدم حتى بلغت أماكن يتعذر عليها فيها التراجع فكان الانقضاض وإطلاق النار الذي جعل من المعركة ملحمة حقيقية تذكر بمعركة "أنوال" وما تلاها من معارك حرب الريف.

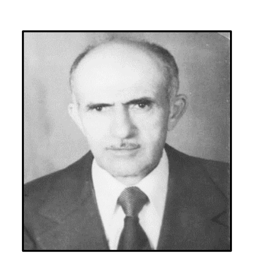
بلغت شدة جيش التحرير على الجنود الإسبان مبلغا جعل هؤلاء الأخيرين يهتفون بحياة محمد الخامس حتى يتم كف النار عنهم. وقد طلب قائد المائة بنيبة الحسني من بعض جنوده تهيئ براد من الشاي له ولرفاقه والمعركة على أشدها. كان ذلك نخب الانتصار!

وحتى أبين المعنويات العالية للمحاربين المغاربة، أورد هذه الحادثة الطريفة والفريدة، كان البطل فيها هو ضابط المائة حسا ولد السملالي، من قبيلة أولاد الدليم الذي كان على رأس فرقة صغيرة من الجيش الاسباني لا تتجاوز الأربعين جنديا، فترك موقعه في بئر إنزاران والتحق بجيش التحرير. ولم يكتف بهذا بل أوهم قيادة الجيش الاسباني المسؤولة عنه، بأنه محاصر من طرف جيش التحرير صحبة جنوده، طالبا إغاثته وإمداده بالأسلحة ومواد التموين. وبالفعل زوده سلاح الطيران الاسباني بما يحتاج إليه من إمدادات وزعت على قوات جيش التحرير المتمركزة بأكونيت وتشالا وبير كندوز، وكانوا في حاجة ماسة إليها لضعف إمكانيات جيش التحرير وصعوبة الاتصال بهم والتواصل معهم في تلك المراكز البعيدة المقامة على حدود مشتعلة مع الخطر.

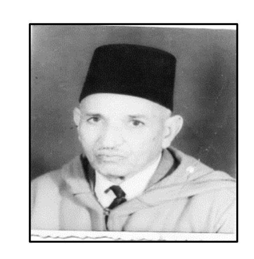


[11]

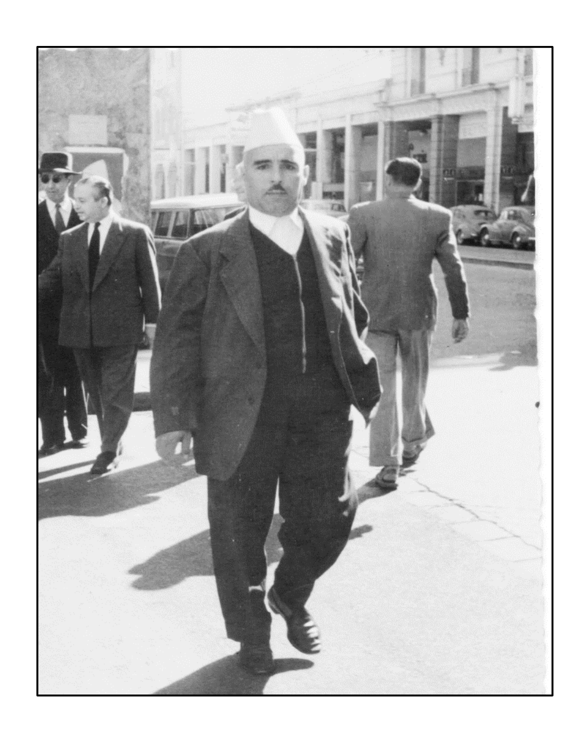
انتصارات جيش التحرير على اسبانيا
في الصحراء المغربية (2)
ثورة آيت باعمران 23نونبر1957

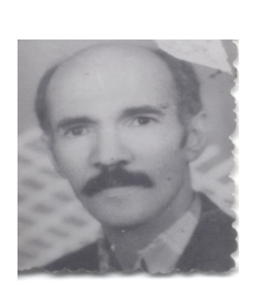


محمد بن موسى الرِّضا
أحد المتابعين في قضية قنبلة المارشي
سنطرال(الدار البيضاء)
مكلف بموضوع اللاجئين مع الطرف الاسباني
في إيفني



محمد مروان قائد بويزاكارن
من المنظمة السرية
مكلف بالشؤون المالية في مركز إيفني





حسن الساحلي
المسؤول عن كتابة قياجة جيش التحرير
بمدينة كلميم

الفقيه محمد بن الحسن الباعمراني
المسؤول في المنظمة السرية عن الاتصالات
بين مركز إيفني والدار البيضاء

لمْ تكن الظروف التي انطلقت في ظلها ثورة آيت باعمران سهلة ولا مواتية. غير أنها كانت أقل قسوة من الشروط التي حارب فيها جيش التحرير قوات الجيش الاسباني في الجبهة الغربية من الصحراء المغربية. والحقيقة الثابتة أن الحرب مع الإسبان فرضت علينا فرضا من دون أن نكون قد استعددنا لها ولا مالكين لوسائل كسبها. لذلك كان الرهان ينصب أساسا على كيفية إدارتها بنجاعة. وكان التعويل على حماسة السكان الصحراويين ورغبتهم الجامحة في التحرر من نير الاستعمار.

كان الهدف الكبير في منطقة آيت باعمران هو السيطرة على مدينة إيفني. ولتحقيق ذلك ارتأت قيادة الجيش التحرير أن تعتمد على عنصر المفاجأة. فمباغتة القوات الاسبانية في معاقلها هو الحل الوحيد للانتصار عليها خصوصا أن عددها كان يفوق بكثير عدد قوات جيش التحرير، وتجهيزها أفضل من تجهيزه بما لا يفسح مجالا

حتى للمقارنة، وهي على توقع دائم للحرب مند أن بادرت بمعاداتنا حيث انتهى ذلك بالاصطدام العسكري معها في الصحراء المغربية.

حاولت قيادة جيش التحرير التهيؤ لهذه المعركة وفق ما أتيح لها من إمكانيات بالمنطقة إذ وفرت بعض الشروط الضرورية واتصلت بالجنود المغاربة العاملين في صفوف الجيش الاسباني ونسقت معهم تحت غطاء من السرية التامة. كانت الخطة تقضي بأن يدعم هؤلاء، من مواقعهم في المعسكرات الاسبانية، المحاربين المغاربة أثناء هجومهم وأن يستولوا على الأسلحة والذخيرة التي يقومون على حراستها غير أن الأمور ستأخذ منحى آخر لم يكن في الحسبان.

فقبل موعد الهجوم على مدينة إيفني والمراكز العسكرية والإدارية التابعة لها ولمنطقة آيت باعمران، كان الخبر قد تسرب من بعض العملاء إلى الجيش الاسباني ودفعه للتيقظ وتعزيز قواته. ولذلك لم يؤد عنصر المفاجأة إلى ما خطط له من سيطرة على إيفني، والأسوأ من ذلك وجد الجنود المغاربة في الجيش الاسباني أنفسهم قيد الحصار بيد أنهم تمكنوا من الانفلات منه بقتاليتهم وحسن تدبيرهم.

وحدها مدينة إيفني كانت قد استعصت على قوات جيش التحرير، أما أغلب المراكز فإنها سقطت بين أيدي قواته وفي أجواء ملحمية تم تحرير أغلب أراضي منطقة أيت باعمران. واضطررنا لفرض حصار على إيفني لأكثر من أربعة أشهر لم يتوقف فيها القتال –ولو أنه بقي على شكل مناوشات– إلى أن وقعت معركة "ايكوفيون" التي تحالف فيها الجيشان الاسباني والفرنسي بدعم ضمني من الأمريكان والحلف الأطلسي لضرب جيش التحرير.

جرى الأمر على هذه الشاكلة: في ساعة متأخرة من ليلة 23 نونبر1957، انطلقت ثورة آيت باعمران بالهجوم في توقيت واحد على مدينة إيفني ومركز تيغزا وثلاثاء ايصبويـا وتابركوكت وإثنين آيت اتيسيمور ومعسكر تالوين وغيرها من المراكز التي تم الاستيلاء عليها من قبل الوطنيين وقوات جيش التحرير. وبعد أسبوع من المعارك

الشرسة تمكن جيشنا من أسر 36 من ضباط وجنود الحاميات العسكرية بهذه المراكز وغنم كمية كبيرة من الأسلحة والذخيرة

كان مركز تالوين عبارة عن قاعدة عسكرية وجوية من الأهمية بمكان يقع في الحدود الفاصلة بين دائرة كلميم ومنطقة آيت باعمران، لذلك وجدنا صعوبات بالغة في الاستيلاء عليه، فهو يقع وسط سهل واسع ولا يمكن الهجوم عليه إلا في جنح الليل. وعلى مدار أسبوع من الحصار الشديد المفروض عليه من طرف قواتنا قبل أن تصل إليه أية إعانة ودعم، نجحنا في اقتحامه والسيطرة عليه عنوة.

جابهنا الصعوبة نفسها ونحن نسعى لبسط هيمنتنا على مركزي تيغزا وتابركوكت، معارك ضارية استشهد فيها العديد من الوطنيين المعروفين في آيت باعمران وقد استعمل الجيش الاسباني طيرانه الحربي ودباباته المصفحة. وفي ما يتعلق بمدينة إيفني استخدم كل قواته الجوية والبحرية والبرية في الدفاع عنها، بل إن تقارير سرية ظهرت فيما بعد تحدثت عن مشاركة طائرات أميركية في الحرب على جيش التحرير بالمنطقة.

كانت نتيجة الثورة الباعمرانية التي خاضها جيش التحرير مدعوما بعدد مهم من الوطنيين وأبناء المنطقة تحرير سبعة مراكز رئيسية في بحر أسبوعين. وكان الدعم مرة أخرى سخيا من سكان الجنوب الذين وقفوا بشجاعة في وجه طائرات العدو الذي لم يتورع عن قصف القرى الآهلة بالمدنيين في محاولة لإبادتهم عقابا لهم على مساندتهم لجيش التحرير.

والحقيقة أن التحضير للهجوم على إيفني لم يكن في مستوى الحدث ربما لضيق الوقت وقلة الإمكانيات وسوء تقدير ما تحتاجه المعركة من استعداد كبير. وكان

على القيادة أن تكتشف عدة ثغرات بعد أسبوع واحد من المعارك العنيفة. فالقوة التي هاجمت بها قليلة جدا إذا ما قورنت بالجيش الاسباني المقدر بالآلاف والمجهز بشكل جيد بمساعدة كبيرة من الجيش الفرنسي.

140فردا هو قوام الفرقة العسكرية التي ركبت مغامرة السيطرة على مدينة في حجم وأهمية إيفني. وكانت الخطة تقضي بأن ينضم إليهم أثناء الهجوم حوالي 200جندي مغربي يعملون في الجيش الاسباني.

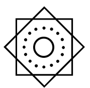
ولم تكن القوات التي هاجمت المراكز الأخرى أحسن حالا ولا في وضع أريح لأداء مهمتها؛ ف 80جنديا فقط كان عليهم الهجوم على مركز تيغزا، و120 على معسكر تالوين، و40 على إيصبويا، و25 على إثنين أملو، ومثل هذا العدد للهجوم على مركز تابركوكت، ثم 15 على مركز أفاند عيسى. وكان التقدير أن ينضم للمعارك ما يقرب من 600جندي من الذين قامت قيادة جيش التحرير بتدريبهم استعدادا لمثل هذه المعارك ضد الاستعمار الاسباني.

في ظروف صعبة للغاية كهذه، تحملت القوات التي قامت بالهجمات الأولى عبء المعارك لأكثر من أسبوع، الأمر الذي أرهق الجنود وهم يواجهون عمليات عسكرية تكاد لا تتوقف دون أن يكون في مستطاع قيادة جيش التحرير تعويضهم بقوات أخرى تريحهم حتى يلتقطوا أنفاسهم. وإذا كان جيش التحرير قد نجح في اقتحام أغلب المراكز في الليلة الأولى من الهجوم فقد كانت السيطرة على هذه المراكز المحررة أصعب شيء في ظل وجود جيوب مقاومة وإنزال الجيش الاسباني لقوات من المظليين خصوصا في مركز تالوين مستغلا في كل مرة تعب الجنود المغاربة.

كان على قيادة جيش التحرير أن تعالج كل الثغرات وتدعم الانتصارات التي حققتها على القوات الاسبانية بجهد كبير وخسائر لا يمكن نكرانها، لذلك عمدت إلى نقل عدة فرق عسكرية كانت ترابط بالصحراء الشرقية والجنوبية إلى آيت باعمران لتعزيـز

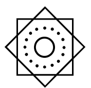
جبهتها الحربية المشتعلة. ولدعم ساحة المعركة أنشأت في ظرف وجيز ثلاث مقاطعات وضع على رأس كل واحدة منها ضابط من الضباط الثلاثة بالجيش الملكي الذين بعث بهم محمد الخامس تلبية لطلب القيادة، وهم محمد بن المختار وإدريس الحارثي وفاضي ملال. وبفضل هذه التدابير عززنا المواقع المحررة وصفينا كل جيوب المقاومة بها وأخذنا بزمام المبادرة في ساحة المعركة.

لم يقف الأمر عند هذا الحد بل قامت قيادة جيش التحرير بحملة تجنيد واسعة في المنطقة وفتحت مراكز للتدريب. وكم كان التجاوب كبيرا. وبالرغم من أننا تلقينا دعما من طرف المسؤولين الإداريين والقياد الوطنيين بالمناطق المجاورة لآيت باعمران، وكذا مساعدات من قيادة الجيش الملكي بتلك الجهة التي زودتنا بمدافع الهاون في حصارنا لبعض المراكز، فإن جيش التحرير ظل يعاني من نقص في الأسلحة والذخيرة والتموين واللباس وكذا من سلبيات سلوك بعض الجنود والضباط. ولكن مع كل هذا فإن المعارك كانت في صالحنا. ولم تكن هجمات الجيش الاسباني ضدنا إلا من أجل فك الحصار عليه أو رغبة في استعادة مراكزه، كما أن تحديه لخطوط الخطر التي رسمها له جيش التحرير كان ينتهي دوما بخسائر فادحة لم يستثنن منها ضباط كبار في صفوفه.



[12]

كيف نجوت من محاولة لاغتيالي...



سَرَدْتُ بعض فصول الانتصارات التي حققها جيش التحرير بالجنوب بعدما التحقت بقيادته وهو يعاني ما يعاني من تبعات هزيمته ضد الفرنسيين في معركة أدرار بموريتانيا.

وكان ما حققناه كفيلا بتطويق تداعيات الهزيمة وإثارة حفيظة الإسبان، ودفع الفرنسيين للبحث عن تحالف مع الجيش الإسباني للقضاء على جيشنا الذي صار يشكل تهديدا لمصالحهم في موريتانيا وتيندوف، بل وأصبح يشكل خطرا على الوجود الفرنسي برمته في المنطقة في ظل الحرب المفتوحة مع جبهة التحرير الوطني الجزائرية.

والحقيقة أن التسرع في خوض معركة "أدرار" دون أخذ كل ما يلزم من حسابات، كان سبب الهزيمة، وكاد يلغي ما حصّله جيش التحرير من انتصارات سابقة مهمة.

لقد تشكلت في البدء ثلاثة فصائل من جيش التحرير والجنود الذين يتطلعون لمواصلة الكفاح من أجل تحرير كل جزء من التراب الوطني؛ فصيل أول اتجه نحو الشرق بتافيلالت تحت إمرأة الضابط إبراهيم المانوزي، وفصيل ثان كانت وجهته فكيك بقيادة أحمد بن الحاج بوبو، فيما الفصيل الثالث اتجه جهة الجنوب وعلى رأسه محمد بن حمو.

فور التحاقها بالأقاليم الصحراوية بدأت قواتنا هجماتها على القوات الفرنسية المتمركزة في قواعد عسكرية بالقرب من تيندوف. تم أول هجوم في السادس من يوليوز1956 على معسكر يسمى فم الأعشار. وشارك فيه جنود من آيت أسا والرقيبات وعناصر أخرى من شمال المغرب. كانت معركة شرسة دامت ليلة كاملة خسر فيها الجيش الفرنسي25 من جنوده بمن فيهم ضابط الحامية. وأصيب فيها 100 آخرون بجروح متفاوتة الخطورة، فيما استشهد جندي واحد من جيش التحرير وجرح ستة.

وتوالت الهجمات شهرا بعد ذلك، باستهداف قواتنا لمعسكر مركالة موقعة 87 قتيلا مع إسقاط طائرة للعدو، فيما كانت الإصابات في صفوفنا 13 جريحا. وكانت تلك حصيلة ثقيلة في صفوف الفرنسيين.

وفي السادس من شهر ديسمبر من السنة ذاتها ستهاجم قوة من جيش التحرير معسكر محاميد الغزلان حاصدة32 قتيلا ومدمرة ثلاث سيارات مع سقوط شهيد واحد من قواتنا.

ولم تتوقف العمليات عند هذا الحد؛ ففي أواخر الشهر الأخير من 1956 سيهاجم جيش التحرير في وقت واحد معسكري السويحات والزمول، مصيبا في الأول أربعة جنود ومدمرا عددا من المصفحات، وفي الثاني اثنين من حراس المركز. وكانت قواتنا قد هاجمت في أكتوبر من نفس السنة هذا المركز وقتلت 15 جنديا من أفراد الجيش الفرنسي.

هذه كلها كانت معارك سبقت الهزيمة في موقعه أدرار وأديرت بذكاء دون أن تنقص الجنود الحماسة والنجاعة في القتال وأبلت فيها فصائل جيشنا بلاء حسنا واستطاعت السيطرة على عدد من المعسكرات والمقار التي كان يستعملها ضباط الجيش الفرنسي بكل من قيادة أقا وطاطا وبويزكارن وورززات.

وقد ارتأيت أن أثبت لمحة عنها حتى يتبين المسار التصاعدي الذي كان يتبعه جيش التحرير قبل أن تتحرك ضده أكثر من قوة معادية رغبة ومحاولة منها في إيقاف حركة التحرير والقضاء عليه، ومن تلك المحاولات ما سمي ب "مؤامرة بويزكارن".

مؤامرة بويزاكارن

في أعقاب هزيمة جيش التحرير بمعركة أدرار بموريتانيا والتحاقي بالقيادة في الجنوب انتهجنا خطة عمل جديدة. كنا مقتنعين بضرورة الاشتغال وفق النهج الفدائي مع اعتماد السرية. لذلك جهزنا ثلاث فرق عسكرية للقيام بعمليات محددة على الحدود الشرقية والجنوبية لموريتانيا، الأولى تتوجه إلى ارغيوة والكلتة لتباغت الجيش الفرنسي في بير موكراين، والثانية إلى الكلات ودونان لمهاجمة المركز الجديد بفوركورو، أما الفرقة الثالثة فكان عليها أن تتحرك نحو حاسي زوك بأدرار لربط الاتصال بين نواديبو و أطار.

كانت خطة محكمة تستهدف المصالح الفرنسية في العمق بيد أنها ستبوء بالفشل. وقد كان الخطأ هذه المرة يتمثل في طبيعة الأشخاص الذين أَوكَلَت إليهم القيادة أمرَ التدبير الميداني للخطة؛ إذ لم يكن ليدور في خلد أي منا أن الخيانة يمكن أن تأتي من قياديين في الجيش. لكن ذلك ما وقع فعلا؛ فقد عهدنا إلى قائدي الرحى ابن إبراهيم وعلال بن عمر الرحموني الذي كان المسؤول القيادي عن الفصيل الذي انهزم في معركة "أدرار" بمهام التنفيذ غير أنهما لم ينضبطا للتوجيهات وأخلفا

التزاماتهما، إذ عوض أن يقود بن عمر العملية المقررة في وقتها سافر في يوليوز 1957 إلى العاصمة الرباط، واتصل بمسؤولين إداريين وقادة سياسيين منهم المحجوبي أحرضان الذي كان عاملا للرباط ويشتغل معه على رأس الكتابة العامة أخ علال بن عمر الرحموني. فهناك تلقى قائد الرحى توجيهات أخرى تخالف ما كلفته به قيادة جيش التحرير. والأخطر من هذا، أنه سيعود بمخطط كامل يروم نسف الجيش من الداخل؛ حيث سعى لتأليب السكان الصحراويين ضد القيادة، وتزعم ببويزكارن تمردا عسكريا جند له عددا من الضباط و30فردا من أتباعه. وصار بهذا جزءا من مخطط كبير كان يستهدف القضاء على جيشنا ووقف حركة التحرير بالجنوب.

عالجنا بصعوبة كبيرة هذه المؤامرة التي كادت تشتت الصفوف وكان من نتائجها إلحاق أذى كبير بالصورة الخارجية لجيش التحرير لدى الساكنة الصحراوية التي دعمت قواته ماديا ومعنويا في جميع فصول كفاحه بالجنوب. كما لم تسلم وحدته الداخلية ولا تماسكه القوي الذي كان يتمتع به، إذ فرّ من صفوفه عدد من الجنود ليلتحقوا بالجيشين الاسباني والفرنسي ويمدوهما بمعلومات مهمة عن جيش التحرير ومراكزه سيتم استغلالها للنيل منه في معركة "إيكوفيون".

كان ثمن الخيانة هو منح منصب مهم بالعاصمة لعلال بن عمر الذي أبدى فيما بعد صحبة ضباط آخرين سايروه، ندما عما قام به، ولكن جاء ذلك مع الأسف بعد فوات الأوان.
لقد استغلت بساطة المتمردين وغياب أي وعي سياسي لديهم بمن فيهم من قادوهم. ومن جهتنا اكتفينا بتجريدهم من السلاح وإطلاق سراحهم بل أخبرناهم بأن أبواب مصالح الجيش (جيش التحرير) مفتوحة في وجوههم وقتما احتاجوا هم أو عوائلهم أي نوع من المساعدات، خصوصا على المستوى الاجتماعي، الواجهة الاخرى لنشاط جيش التحرير المغربي بالأقاليم الصحراوية.

وكان طبيعيا أن نبعد كل العناصر القيادية المتورطة في المؤامرة ولم تكن قليلة مع الأسف، كما عمدنا إلى إحداث تغييرات في قيادة جيش التحرير استعدادا لاستكمال الكفاح من أجل استقلال مناطق الجنوب المغربي، إلا أن مسلسل المؤامرات لن يتوقف... فهو بالكاد كان قد بدأ.

لم ينته كل شيء بإخماد تمرد فصيل علال بن عمر الرحموني، قائد الرحى هذا الذي كانوا بحثوا معه خطتين لتفتيت وحدة جيش التحرير؛ تقضي الأولى بالانقلاب على القيادة، وتقوم الثانية على التمرد، أكثر من ذلك، هم زودوه أيضا بتعليمات لاغتيالي...

كل ذلك لكبح جماح حركة التحرير بعد أن تشابكت فور الاستقلال مصالح أطراف كثيرة، داخلية وخارجية لتقف ضدها. وكان بديهيا في هذا السياق أن يكون جيش التحرير أيضا مستهدفا كوجود وكقيادة.

هكذا سأتعرض لمحاولة تصفية جسدية عام1957 مباشرة بعد إحباط التمرد. ولست أدري إلى اليوم كيف نجوت منها.

كنت ضيفا على مائدة العشاء عند صديق يدعى مايوحل بلقاسم(رجل اعمال) يقع بيته بضواحي مدينة كلميم، أعقد لقاء سريا، مع عناصرمتعاطفة ومتعاونة مع المقاومة وجيش التحرير، تعمل في جهاز البوليس، من بينهم الحسين بوغابة ومحمد الأخصاصي لمتابعة آخر ما وصلهم من معلومات جديدة في قيادة البوليس، عن شبكات التآمر ضد جيش التحرير. كان حاضرا في ذلك الاجتماع كريم محمد بن ابراهيم الباعمراني ومحمد بورحيم(بنسعيد الصغير). كنت قد تواصلت في الموضوع مع المنظمة السرية للاستعانة بها في مواجهةعناصر التخريب.

ولما غادرت منزل مايوحل، رفقة بنسعيد الصغير، فوجئنا بعناصر تشهر في وجهي أسلحتها الرشاشة، وتعلن مهددة أنها أتت لتصفيتي. في لمح البصر، كان بنسعيد

الصغير قد صوب نحوهم سلاحه الرشاش وهو يصيح فيهم بأن يلزموا أماكنهم. أما أنا، فقد تجاهلت تهديدهم...تركتهم، ومضيت أمامهم لا ألوي على شيء متجها لدار القائد الممتاز عبد الرحمان الزيات، الذي سارع للاتصال بوزير الداخلية لفضح تحركات العصابة المسخرة ضد حركة التحرير.

لست أدري ما كان منعهم عني... وكل ما أعرف أني لم أكن أحمل سلاحا كعادتي ، وأهتم فقط بدوري كمسؤول في قيادة جيش التحرير.



بلقاسم مايوحل

[13]

معركة "ايكوفيون"... الهجوم الأخير بالصحراء؛ الاستعداد للمعركة، وبطلان أطروحة المفاجأة...



محمد بنسعيد و محمد بورحيم(بنسعيد الصغير)



عائلتا آيت إيدر محمد بنسعيد ومحمد بورحيم

كُلّ المؤشرات كانت تشير إلى أن معركة كبرى وحاسمة وشيكة الحصول، فانتصارات جيش التحرير على قوتين عسكريتين عالميتين ...والحشود المتواصلة لهاتين الأخيرتين في وجه جيش التحرير قليل العديد والعدة...واتفاقهما وتعاونهما العسكري المشترك، كانت كلها علامات على ذلك...أضف إلى ذلك ما كانت مصادرنا تمدنا به من معلومات عن تحركات واستعدادات الجيشين لشن هجوم كبير على مناطق مختلفة في الصحراء المغربية المحتلة.

فالإسبان يسعون، بدعم فرنسي، إلى فك طوق الحصار المضروب على مدينة إيفني، وتسلموا قبل معركة "ايكوفيون" 70طائرة حربية و 25 من حاملات القنابل نوع (ب17)و(ب29) و40طائرة من نوع (ب15) وخمس طائرات من نوع Vautour(نسور) 2500 و 20 مطاردة من نوع Morane (موران).

هذه الطائرات ستلتحق بكل من مطارات كناريا وإيفني والصحراء الغربية. كما أفادت مصادرنا أن عددا من التجار اليهود والفرنسيين والاسبانيين قد قاموا في الفترة نفسها في داكار بتزويد القوات الاسبانية المتواجدة بإيفني بالمواد الغذائية من علب اللحم والدقيق وكذا بالسجائر والخمور بواسطة الطيران العسكري الفرنسي أو بواسطة بواخر الصيد الاسباني. كما كان لأكادير دور في نقل المواد إلى حيث يجري تحشيد القوات الاسبانية.

لم يقتصر الاستعداد على الطائرات الحربية والمواد الغذائية، بل شمل أيضا عددا مهما من الأسلحة والذخيرة الحربية ووسائل الاتصال اللاسلكي وحوالي ألف كيلو من الأدوية تم جلبها على متن طائرة 707من مطار مدينة مراكش. أما عن الجنوب، فقد حشد الإسبان لمعركتهم الحاسمة بإيفني والساقية الحمراء ووادي الذهب جيشا يبلغ تعداده 70ألف جنديا مجهزين بأفضل الأسلحة تحت إمرة ثلاثة جنرالات. في حين تلقى الجيش الفرنسي المتمركز بفم الحصن وتيندوف وبير موكراين، دعما وإمدادات كبيرة من معسكراته في أكادير ومراكش.

لكل ذلك، لا مجال هنا للانقياد وراء ما روجت له سلطات العدو، من أن معركة "ايكوفيون" قد تم التحضير لها في سرية تامة، لم يتمكن جيش التحرير بموجبها من فتح عينيه إلا وقوات الجيشين تداهمه على حين غرة في مراكزه. أبدا، لقد توفرت لنا كل المعلومات التي تفيد باستعداد العدو، وراسلنا بها أعضاء من القيادة بمركز الدار البيضاء، غير أن التوقيت الذي اختاره الجيشان الاستعماريان كان صعبا ودقيقا في حساسيته على جيش التحرير.

استطاعت أجهزة الاستعلامات التابعة للجيش الفرنسي والاسباني، أن تخترق صفوف جيش التحرير بالمقاطعات المرابطة بالصحراء عن طريق بعض الجنود، وعلينا ألا ننسى كيف ترك البعض منهم الجيش ولجأ إلى العدو في حمأة معارك آيت باعمران.

أما "مؤامرة بويزكارن" فكانت لها آثار سلبية للغاية على التماسك الداخلي لقواتنا التي كانت تعاني باستمرار من نقص كبير في الأسلحة والذخيرة، حاولنا معالجته بصفقة من تاجر أسلحة ألماني، إلا أن الحمولة الآتية من ألمانيا نحو ميناء الدار البيضاء، صودرت بسوريا ورغم مساعي الوساطة التي بذلناها في هذا السياق، فإنها عرفت تعقيدات جمة آلت فيها الأسلحة في الأخير لجبهة التحرير الوطني الجزائرية.

في يونيو 1957، عينت الحكومة الإسبانية حاكما عاما جديدا لإفريقيا الغربية، هو الجنرال سمالو. وبمجرد تسلمه لمهامه بالمنطقة، انعقد لقاء بينه وبين القائد العام للجيوش الفرنسية الجنرال بوركونت في 12 يوليوز بمدينة الداخلة، ثم كان لقاء آخر في 20 شتنبر بداكار على مستوى القيادة العامة. وفي هذا اللقاء توصل الطرفان إلى اتفاق شبه نهائي، يهم التحضير لعملية عسكرية شاملة، أطلقا عليها اسم "إيكوفيون" وتعني المكنسة، وكان الاتفاق يستعجل الهجوم لاعتبارات مناخية تخص طبيعة الصحراء، قد تحول دونه وتؤجله إلى وقت يكون فيه جيش التحرير قد استعد بما فيه الكفاية للمواجهة.

والحقيقة أن التوقيت الذي انطلقت فيه المعركة لم يكن فيه جيشنا مستعدا لا ماديا ولا معنويا، كما لم يكن في مقدوره مواجهة قوتين استعماريتين في حجم فرنسا واسبانيا.

الهجوم الأخير بالصحراء

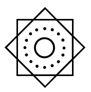
لا أجد ما هو أكثر دلالة من هذا الجزء من التقرير الذي حررته عن معركة "إيكوفيون" في 26فبراير 1958، أي بعد أسبوعين فقط من انطلاق المعركة، وأنا هنا أورده بلغته التي حرر بها في ذلك الوقت، وكنت قد اخترت له كعنوان "الهجوم الأخير بالصحراء"

"كان من نتائج الاستعدادات المنسقة بين الإسبان والفرنسيين، زحفهم الكبير على قواتنا من جميع الجهات في العاشر من شهر فبراير 1958 بقوة تناهز 40 ألف جنديا مجهزا بالسلاح الجوي والبري بجميع أنواعه. وشارك فيها أزيد من سبعة آلاف من رجال المظلات وعدد كبير من السيارات المصفحة والدبابات والطائرات المقنبلة والمقاتلة. وقد وقع الهجوم في وقت واحد على الأماكن الآتية: العركوب، أكركر بناحية الداخلة، الكلتة، الروضة، الرغيوة وتفاريتي من بير موكراين، وتافودارت من العيون وطرفايا ومن إيفني، على القوات المحاصرة له، وقد حاصر جميع الطرق الرئيسية التي تتوصل منها قواتنا بالإمدادات الحربية والغذائية. وقد اشتبكت معهم قواتنا في معارك عنيفة دامت أربعة أيام، تكبد فيها العدو خسائر فادحة وأحرقت له أربع دبابات بالروضة، وقد طغت قوات العدو الكبيرة على قواتنا في حملة لا تطاق. وقد أمرنا المقاطعات التي تمكنا من الاتصال بها بالانسحاب، لما تيقنا مما لا مناص منه وإلا فستتعرض كلها للإبادة أو أخذها باليد بعد أن ينتهي كل ما بيدها من الذخيرة. وقد تم انسحابها في عدد من المراكز، بينما في بقية المراكز الأخرى، حال العدو دون الاتصال بها. ولبعد المسافة ولكون الاتصال بقي مستحيلا إلا عن طريق الجمال، لم نتصل بها لحد الساعة، اللهم ما كان من برقيات العدو بتلك الناحية والتي تشير إلى استمرار حوادث عنيفة هناك في 1958/02/24. وقد أصاب جنودنا عياء شديد بالنظر للمشاق التي قاسوها في هذه المعارك وبعد المسافة التي قطعوها أثناء الانسحاب على أرجلهم، لأن المراكب قتلها طيران العدو عن آخرها وطرق التنقلات محاصرة كما سبق.

أما في إيفني فقد تمكنت قواتنا من رد العدو على أعقابه كما كبدته خسائر جسيمة في بيجاريفن وسيدي محمد بن داود والركنت. وقد تعرض سكان النواحي التي انسحب منها الجيش لفظائع شنيعة من القوات الفرنسية والاسبانية؛ ففي تافودارت والروضة أعدموا عددا كبيرا من الذين ظنوا أنهم يتعاونون مع الجيش، وأحرقوا مراكز الإسعافات بالروضة وبتافودارت، وأبادوا أزيد من 600 نسمة من النساء والأطفال

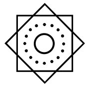
والعجزة وعددا كبيرا من المواشي وكل ما وجدوه أمامهم. وقد استعانوا في هذه الحملة ببعض الخونة الذين كانوا باعوا ضمائرهم منذ زمن، وكذا ببعض الجنود الذين فروا من الجيش. وقد تحملنا جراء هذه العمليات خسارة كبيرة في الجنود وعدد من المواد الغذائية التي أحرقها جنودنا أثناء الانسحاب، وخمس سيارات شحن أحرقت عن آخرها قبل أن يصل إليها العدو. كما قتل طيران الإسبان والفرنسيين ما يزيد عن ثلاثمائة من الجمال كنا نستعملها في تنقلاتنا في أوقات الخطر، زيادة على الجنود الذين لا زالوا محاصرين في نواحي وادي الذهب والتي تبعد عنا بحوالي بأزيد من ألف كلم"





[14]

تداعيات معركة "ايكوفيون" على حرب التحرير بالصحراء المغربية... وأعباء الهزيمة في هذه المعركة





عدد المعارك التي خاضها جيش التحرير المغربي بآيت باعمران 50 معركة، خسر فيها الجيش الاسباني أكثر من 600 قتيل وأزيد من 1000 جريح. أما معارك الصحراء المغربية فلم تتجاوز 15 معركة، فقد فيها الإسبان أكثر من 1000 قتيل، والرقم نفسه على مستوى الجرحى، ووقع بين أيدينا من الأسرى الإسبان 41 عنصرا بين ضباط وجنود، في حين وصل عدد شهداء جيش التحرير 158 شهيدا و49 مفقودا، ووصل عدد أسرانا بيد السلطات الإسبانية 170 وطنيا. وبدون ريب، كانت أكبر الخسائر في معركة "ايكوفيون".

أورد هذه الأرقام الإحصائية المستقاة من تقارير جيش التحرير، وأنا أعلم أن عدد قواتنا المنتشرة عبر مقاطعات الصحراء المغربية كان في حدود 600 بأسلحة خفيفة، وهو ما يعني أننا كنا نخوض الحرب بمعنوياتنا وبالدعم غير المشروط من الصحراويين أنفسهم، أكثر من أي شيء آخر.

ما إن انتهت المعركة حتى وقعت على قيادة جيش التحرير أثقال لم يكن في قدرته النهوض بها لوحده دون مساعدة من الحكومة المغربية، فقد وجد نفسه أمام أفواج من الجنود المنسحبين من مراكز جيش التحرير ومن المعارك التي نشبت بالسمارة وتافودارت والترس ووادي الذهب، كما وجد نفسه أمام أعباء لا قبل له بها تهم اللاجئين الهاربين من جحيم الحرب الدائرة رحاها بأقاصي الصحراء الغربية والشرقية ناحية تيندوف، يضاف إلى هؤلاء وأولئك، من شردوا وفقدوا بيوتهم بآيت باعمران ومناطق أخرى من الصحراء المغربية. واستجابة منها لنداء القيادة، أرسلت الحكومة المغربية أواخر فبراير 1958، إلى كلميم حيث المقر المركزي لقيادة جيش التحرير، وفدا وزاريا يتكون من وزيري المالية والدفاع، وأطلعناهما على الحاجيات الأولية للاجئين، وفي الوقت ذاته فتحنا نقاشا مع الأميرة عائشة لدى زيارتها كلميم بصفتها رئيسة التعاون الوطني في تلك الفترة.

وبحكم علاقة جيش التحرير بحزب الاستقلال فقد عرضت القيادة عليه الموضوع، فلعب الشهيد المهدي بن بركة دورا محوريا في اقتراح بعض الحلول، وقام ببعث مجموعة من بناة الاستقلال ممن شاركوا في تشييد طريق الوحدة، التي ربطت بين شمال المغرب وجنوبه المحررين، وعهد برئاسة المجموعة للمناضل والمقاوم المعروف عبد السلام بناني، وجرى الاتفاق على تنظيم مخيمات للاجئين يسهل تطبيق البرنامج الذي تقرر لصالحهم. ومما أحتفظ به في هذا الصدد رسالة من بن بركة هذا نصها:

حزب الاستقلال

اللجنة التنفيذية

سانية العوفير- باب الحد

الرباط

الأخ العزيز محمد بنسعيد

تحية طيبة خالصة

وبعد، فتأكيدا لما أخبركم به الأخ الفقيه، الغرض من إيفاد هذه المجموعة من بناة الاستقلال، هو أن تضع نفسها رهن إشارتكم من أجل مساعدتكم على التنظيم المادي للاجئين، لما لأفرادها من خبرة في موضوع حياة المخيمات بطريق التوحيد، وسيتفقون معكم في البرنامج الأدبي الذي يمكن وضعه للاستفادة من هذا التجمع وخلق جو مناسب وفق ما ترونه مناسبا ومفيدا

ونحن سائرون في الطريق مؤملين أن تجني بلادنا ثمرة التطورات الدولية لتعزيز الاستقلال والسير قدما نحو الأمام،

والله ولي التوفيق.

أخوك المهدي

التقاط الأنفاس وتجميع القوة

كانت معركة قاسية علينا ذقنا فيها طعم الهزيمة العسكرية، لكن دون أن تنسحب نتائجها على الوجه السياسي لحركة التحرير. وكان علينا أن نستعيد توازننا في أقل مدة ممكنة ونعيد تنظيم أنفسنا. لذلك بعد أن وصل جنودنا إلى وادي درعة، أخذنا كقيادة قرار احتلال مراكز جديدة بالقرب من الوادي، وعمدنا إلى السيطرة على الخط الذي يربط البحر غربا إلى حدود منطقة تيندوف، ولم ننس أن نحتل أيضا الممرات الواصلة بين الصحراء والأراضي المستقلة. كانت الرغبة في مزيد من التحصين وتعزيز المواقع الخلفية، حيث نقلت مقاطعات الصحراء إلى طانطان وتافينيديات وتالمزونت والزاك وأسا.

بهذا المدار، أنشأنا ثلاث مقاطعات في انتظار عودة جميع الجنود الباقين في أقاصي الصحراء، وكذا لمنح الذين وصلوا منهم فترة كافية لاستعادة الأنفاس بعد الأهوال التي قاسوها، وهم ينسحبون من المراكز البعيدة. وبعثنا انطلاقا من هذه المقاطعات رُسلنا إلى الصحراء للاتصال بالأهالي من جديد، وقصد الاطلاع على الحالة الأمنية هناك، وتعيين المواضع التي تمركز بها العدو ومقدار القوة التي احتفظ بها في الأماكن التي أعاد احتلالها...

كانت هذه الإجراءات نوعا من الاحتياط الضروري الدال على رغبتنا في مواصلة الكفاح، لكن بطرق أخرى جديدة. بموازاة ذلك، تحركت قيادة جيش التحرير على خط آخر، هو الخط الإعلامي، فقد كان لازما أن نتصدى للدعاية الاستعمارية الرامية لتفريق الصفوف بين القبائل الصحراوية، وتشويه صورة جيش التحرير، وخضنا في هذا الصدد حملة إعلامية كبيرة، فضحنا فيها ألاعيب المستعمرين وأهدافهم البعيدة، وتجاوب معنا أبناء الصحراء.

وكان من النتائج المباشرة للمعركة، اعتراف الحكومة الاسبانية باستقلال طرفاية، ولم تكن هذه الخطوة في حقيقتها إلا إقرارا بالأمر الواقع، ذلك أن جيش التحرير كان قد حرر الإقليم في مواجهاته السابقة مع الجيش الإسباني في الصحراء الغربية، وفرض حصارا خانقا على المدينة.

انسحاب وطنيي موريتانيا
من حكومة ولد دادة

كان من نتائج معركة "ايكوفيون" المباشرة، انسحاب أغلب الوطنيين الموريتانيين من حكومة ولد دادة الصورية، التي كان نصبها الاستعمار الفرنسي برئاسة المندوب الفرنسي العام بموريتانيا، ووضع نائبا له المختار ولد دادة. ويضم هذا الوفد كل من الأمير محمد فال ولد عمير أمير الترارزة وعضو المجلس الأعلى لإفريقيا والداي ولد سيدي بابا وزير التجارة والصناعة، ومحمد مختار ولد باه وزير التربية الوطنية وإسماعيل ولد عبيدنا وزير الشبيبة والرياضة، والشيخ احمادّو أخ الأمير فال ولد عمير.

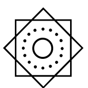
إن عودة هؤلاء الرموز الوطنيين للمغرب بعد انسحابهم من الحكومة الصورية التي وضعها الاستعمار، كان ضربة قوية لمصداقية السياسة الفرنسية في موريتانيا، وهي ضربة ضاعف من مفعولها أنها جاءت مباشرة بعد هزيمة جيش التحرير في معركة "ايكوفيون"، والفرنسيون في أوج انتشائهم بالنصر الذي حققوه فيها، وكان لها صدى واسع لارتباطها بهذا الحدث. وقد اتصل الوفد الموريتاني بقيادة جيش التحرير في مقرها المركزي بمدينة كلميم، وانعقد الاتفاق على التعاون المشترك، كما أجرى اتصالاته بقيادة حزب الاستقلال، حيث عرضوا على الشهيد المهدي بن بركة وعلى قيادة المقاومة المغربية برنامجهم السياسي والعسكري، ووافقت الأخيرة على

الجانب العسكري منه، فيما أبدى المهدي بن بركة موافقته المبدئية، طالبا منهم أن يمهلوه وقتا حتى يعرض الأمر على اللجنتين السياسية والتنفيذية للحزب.

كانت قيادة جيش التحرير تعي ماذا تعني عودة تشكيلة وزارية موريتانية، في أهمية الوطنيين الذين يمثلونها، إلى المغرب، وقد أحسنت التقاط الإشارة في الظرف الحرج الذي تلا الهزيمة، وبدا الأمر كأنه إيذان بمواصلة طريق التحرير إلى نهايته. وارتأينا إدماج هؤلاء الزعماء في العمل وإيجاد مهام لهم يقومون بها، هكذا اقترحنا على الحكومة المغربية أن توفد محمد المختار ولد باه والسيد احمادو إلى موريتانيا من أجل تنظيم حزب النهضة الموريتاني، والسلوك به سياسة تقضي بالتحاق موريتانيا بالوطن الأم المغرب. أما الداي ولد سيدي بابا فطالبنا بإلحاقه بوزارة الخارجية، متابعا لشؤون الصحراء المغربية، كما طالبنا بتعيين محمد فال ولد عمير مسؤولا عن الصحراء بالرباط... لكن شيئا من ذلك لم تتم الاستجابة له، فضاعت مرة أخرى فرصة تاريخية لا تعوض.

[15]

مؤتمرا بوخشيبة والرباط
وقضية الوحدة الترابية المغربية



شَكّلت معركة "ايكوفيون" نهاية توقفت على إثرها كل المعارك، ووضعت الحرب أوزارها. وبالرغم من استمرار جيش التحرير متحفزا بالمنطقة إلى غاية 1959، إلا انه لم تقع أية مواجهة تذكر، لا مع الجيش الإسباني ولا مع نظيره الفرنسي. لقد أثرت المعركة على حركة التحرير، ما من شك في ذلك، لكن المخاض السياسي والاصطفافات التي كان يعيشها المغرب، ناهيك عما عاناه جيش التحرير من مشاكل داخلية، كان لها دورها الحاسم في التأثير على مسار هذا الأخير.

والحقيقة أن توقف الحرب أثر بالسلب على معنويات الجنود، خصوصا في ظل الخصاص الكبير في خزينة جيش التحرير، وقد أرهقه أيما إرهاق بقاؤه في حال انتظار لا تنتهي، مرابطا بآيت باعمران ومنطقة طرفاية وعلى امتداد الحدود شهورا يحرس فيافي شاسعة من الصحراء، وما أقسى أن يلبث الجنود في الخنادق في مقاساة

يومية ليس لها حد، تجلدهم شمس الصيف اللاهبة وسياط البرد القاسي في فصل الشتاء، وهم يكبتون شكواهم لإيمانهم بعدالة قضيتهم وجدوى ما يقومون به، في حين لا أحد يلتفت لهذا البذل ونكران الذات اللذين قل نظيرهما.

هؤلاء الأبطال، لم تكن لهم أية أطماع أو مآرب شخصية. لم يكونوا يطلبون غير قليل من التموين واللباس والسلاح، دون أن يجدوا من يقدّر ما يقومون به من تضحيات أسطورية.

مؤتمر بوخشيبة

سبق لي أن قلت بإن الهزيمة في معركة "ايكوفيون" كانت عسكرية ولم تكن سياسية؛ فإلى جانب الانشقاق الذي أحدثته في حكومة ولد دادة، كانت حافزا على تنظيم مؤتمر "بوخشيبة"، أهم حدث سياسي تلا المعركة. وقد عقده في 12 مارس 1958 رؤساء القبائل الصحراوية بمكان يحمل الاسم نفسه على الحدود التي تفصل إقليم طرفاية عن منطقة العيون وبقية الصحراء الغربية. وكانت قيادة جيش التحرير وراء تهييئه، و تميز بمشاركة ممثلي قبائل الساقية الحمراء كتكنة وأزرقيين وآيت لحسن وأولاد ويكوت وأولاد تيدرارين، وقبائل الرقيبات من الشرق والساحل وآل الشيخ ماء العينين، وأولاد الدليم ولعروسيين ، كما شاركت فيه من موريتانيا قبائل تشمشبة وأولاد غيلان وتجاكانت والراكنة الحوط.

وحضر هذا المؤتمر أيضا ولي العهد آنذاك نيابة عن والده المرحوم محمد الخامس.

أصدر المؤتمر عدة توصيات كان أهمها "تأييد الخطاب الملكي الذي ألقاه جلالة الملك محمد الخامس في قرية المحاميد بتاريخ 26 فبراير 1958 ، والذي وعد فيه بمواصلة كفاحه المعهود لاسترجاع امتدادات المغرب الطبيعية والتاريخية والبشرية، ورأى ممثلو الصحراء أن ذلك الخطاب المولوي كان فاتحة لعهد جديد في تاريخ نضال الصحراء المغربية من أجل عودتها إلى حضيرة الوطن العزيز. لقد أزال جلالة

الملك بخطابه التاريخي القيم كل التباس في موضوع هذه النواحي المغربية الصميمة، ولم يبق هناك شك في أن المغرب المستقل سيسعى لتخليص البلاد من ربقة الاستعمارين الفرنسي والإسباني. كما نصت التوصيات على إدانة الأعمال الوحشية التي اقترفها الجيشان الاستعماريان في حق الساكنة الصحراوية عقابا لها على وقوفها إلى جانب جيش التحرير، مثلما خرج المؤتمر بتوصية تفيد الوقوف في وجه أي فصل استعماري تعسفي للمناطق الصحراوية وموريتانيا عن أرض الوطن، وتفنيد الدعاية الاستعمارية المنشورة عبر صحافتها، وعدم الاعتراف سوى بملك واحد هو محمد الخامس ووطن واحد هو المغرب وحكومة واحدة هي الحكومة المغربية.

مؤتمر ثان بالعاصمة الرباط

بين المؤتمر الأول ببوخشيبة والمؤتمر الثاني بالرباط مسافة عام. ففي الوقت الذي كانت المفاوضات مع الحكومة الإسبانية مفتوحة، هيأنا في مارس 1959 لمؤتمر بالعاصمة الرباط بتنسيق مع ممثلي القبائل، وحضره 138 مؤتمرا، يمثلون كل قبائل الصحراء وموريتانيا وآيت باعمران. وكان ضمن جدول أعماله تدارس الحالة التي كانت قائمة في موريتانيا والصحراء، واتخاذ التدابير اللازمة لتحريرهما، ثم تحديد موقف من تطور السياسة التحريرية بالمغرب العربي وإفريقيا السوداء. وقد افتتح المؤتمر جلسته الأولى بخطاب ملكي تلاه ولي العهد نيابة عن والده محمد الخامس، ثم كانت بعده كلمة حرمة ولد بابانا وكلمة محمد الإمام بن ماء العينين وعبد السلام بن محمد الباعمراني، وانتهت الجلسة بالتصويت على محمد فال ولد عمير أمير الترارزة الموريتاني رئيسا للمؤتمر وعلى حرمة ولد بابانا والعبادلة بن الشيخ محمد

الأغضف نائبين له. وعلى العموم فقد خرج المؤتمر الثاني بنفس توصيات نظيره الأول، إلا أن واقع الحياة السياسية بالمغرب كان يتحرك في اتجاه آخر.

جيش التحرير بالجنوب ...
التنظيم الإداري والعسكري

كثيرون يطرحون السؤال حول تنظيم جيش التحرير بالجنوب المغربي وخطط مواجهته لقوتين استعماريتين في عتو فرنسا واسبانيا. والحال أن ما كان سائدا في أغلب المواجهات هو أسلوب حرب العصابات، ومن هنا الصعوبات التي لاقاها؛ إذ لم يكن مجديا ولا ناجعا البتة اعتماد هذا النوع من الحرب في أماكن صحراوية مكشوفة لا توجد بها تحصينات كالجبال، وفوق هذا تفتقر للمياه. وكان ضروريا أخذ هذا المعطى بعين الاعتبار ومعه قلة الموارد والأسلحة، والتعويض عن كل ذلك بالتنظيم المحكم. هكذا تحمل الضباط مسؤوليات قواد فرق الرحى، إلى جانبهم نواب يلعبون نفس الدور الذي يقوم به القواد، وتحت إمرتهم ضباط آخرون كقواد المائة وقواد الثلاثين ورؤساء الطلائع ونوابهم وضباط آخرون يقومون بمهام نواب الاتصال...

فور حلولنا بقيادة جيش التحرير اكتشفنا أنه لا يخضع لضوابط قانونية محددة، ولا لتنظيم عسكري وسياسي ومالي، وهو ما يبرر سوء التصرف المسجل في هذه الجوانب قبل التحاقنا به. أضف إليه أن مسيرة الجيش في البداية اتسمت بالعفوية، وكان من نتائج ذلك هزيمته في معركة أدرار بموريتانيا. أما على مستوى القيادة فالقرار كان محصورا في القائد الأعلى ونائبه، مع إمكانية أن يستغل هذا الأخير بساطة رئيسه ويستفرد بمهام القيادة...

هكذا كان دورنا في البداية تنظيم القيادة من جديد؛ فأنشأنا قسما عسكريا حددنا مهامه في الإشراف على مراكز التدريب ومخازن الأسلحة والذخيرة، وتلبية حاجيات المقاطعات الخمس عشرة في المجال العسكري.
وأسسنا قسما سياسيا عهدنا إليه بمهام النشر والتوجيه وتنظيم المؤتمرات واللقاءات والتجمعات مع شيوخ القبائل وزعمائها إلى جانب تنظيم الاستعلامات والاهتمام بالمعتقلين وعوائلهم، وكان قسم الاتصالات اللاسلكية مكلفا بالاتصال عن طريق هذه الوسيلة وتقنياتها بكل المقاطعات بربوع الصحراء وبالدار البيضاء. وكنا فتحنا دورات تدريب على هذا النوع من الاتصالات برعاية ضباط مغاربة كانوا في الجيش الاسباني قبل أن يلتحقوا بجيش التحرير. كما أنشأنا قسما للتخطيط جعلنا وظيفته في التخطيط للعمليات العسكرية واستعمال الخرائط وإعداد المعارك.

وارتأت القيادة خلق قسم خاص بوسائل النقل يقوم بنقل التموينات والأسلحة والجنود، وقد قمنا في هذا الصدد باقتناء سيارات شحن كبيرة تم تهريبها من القواعد الجوية الأمريكية، وأردفنا هذا القسم بآخر خاص بالمالية والتمويل كان هو المسؤول عن كل المصاريف العامة للجيش وكذا عن الإسعافات التي كنا نقدمها للأهالي واللاجئين، ثم قسم للصحة كان يشرف عليه ممرض خبير، يستعين كلما دعت إلى ذلك الحاجة بأطباء من المستشفيات الموجودة بإقليم أكادير. ولأن الشيء بالشيء يذكر، أشير إلى أنه في معركة "ايكوفيون" الحاسمة، تطوع عدد كبير من الأطباء المغاربة بكل من الدارالبيضاء والرباط لإسعاف المصابين، وكان ذلك دليلا قويا على وطنية المغاربة في ذلك الوقت، حيث كان الشعب المغربي يفيض بالحماس والعطاء، يتطلع ويعمل بكل جوارحه لبناء مغرب جديد.

في قلب كل هذه الأقسام الحيوية، التي أدت أدوارها كما يجب، أسست قيادة جيش التحرير قسما إداريا كان هو المكلف بتنظيم هذه المرافق، ومن باب الاحتراس جعلنا مقره سريا بقرية "تكانت" بضواحي بويزاكارن. وكان طبيعيا أن نعهد إلى محمد باهي بمهام الصحافة والإعلام، لتجربته الغنية وأدواره المتميزة في هذا الميدان. ولا

يفوتني وأنا أتحدث عن تنظيم جيش التحرير بالجنوب المغربي، الإشارة إلى أهمية جنود من اللفيف الأجنبي التحقوا بصفوفه فارين من الجيش الفرنسي، منهم ألمان وهولنديون وبلاجكة، وقد أمدوا جيش التحرير بخبرتهم العسكرية، التي كانت مفيدة بكل تأكيد في عدد من المحطات.



[16]

واجهات عمل جيش التحرير بالجنوب المغربي السياسية والاجتماعية



إحدى مناسبات إحياء ذكرى 20غشت

من اليمين إلى اليسار: محمد بنحمو، إدريس بن بوبكر،

ناضل الهاشمي، الغالي العراقي، محمد بنسعيد

والحسين سرحان

تَمَخّضَ مؤتمر "بوخشيبة" عن إنشاء مجلس سياسي في الصحراء المغربية، ونظرا لأن أشغال هذا المؤتمر قد ضمت ممثلين عن القبائل الصحراوية في موريتانيا والصحراء الغربية والشرقية فقد انعكس ذلك أيضا على تركيبة المجلس السياسي المنبثق عنه. إذ سنجد ضمن أهم أعضائه الفاعلين أسماء في قيمة كل من حرمة ولد بابانا والداي ولد سيدي بابا والقائد الحبيب ولد البلال.

كما توازى مع إنشائه خلق مجلس عسكري يتكون من قواد "الرحى" الممثلين لمجمل القبائل الصحراوية وأسندت قيادة هذا المجلس للموريتاني محمد فال ولد عمير أمير الترارزة.

كانت كل هذه الترتيبات والمساعي التنظيمية الجديدة تروم تجاوز تداعيات معركة "ايكوفويون" ومواصلة طريق الكفاح من أجل التحرير بنفس جديد وبتركيبة بشرية جامعة لكل الصحراويين الطامحين لإعادة ربط مناطقهم بأرض الوطن.

بيد أن مخططات الاستعمار الفرنسي كانت تلتقي موضوعيا بالتوجهات السياسية على الساحة المغربية، الأمر الذي أعاق كثيرا عمل قيادة جيش التحرير ومجهود الوطنيين من أبناء الصحراء.

كان ما حققناه سياسيا في الصحراء المغربية كثيرا قياسا بالإنجازات والإخفاقات العسكرية معا. وما المجلس السياسي سوى حلقة ضن حلقات أخرى. فأن تصل إلى بث وعي سياسي يتجاوز الأفق القبلي بين أبناء القبائل الصحراوية، فهذا الأمر كان يحتاج إلى مراس ومعايشة وتخطيط ورجال وإلى ما يكفي من الزمن المديد. وقد لعب المجلس السياسي دورا مهما وحيويا في خلق تقليد جديد في العلاقة التي تجمع بين قيادة جيش التحرير وبين الصحراويين ألا وهو التشاور مع رؤساء القبائل في القضايا التي تهم الصحراء وفك ارتباطها بالاستعماريين الفرنسي والاسباني.

وبالرغم من الخصاص الكبير الذي كانت تعاني منه على مستوى الخزينة المالية للجيش، ارتأت قيادة جيش التحرير أن تخصص راتبا شهريا دائما لكل شيخ قبيلة على حدة أو زعيم صحراوي أو رئيس ديني. وذهبت أبعد من ذلك متحدية إمكانيات الجيش عندما قامت بتوزيع أسلحة خفيفة على القبائل بهدف الدفاع عن النفس تماشيا مع عادة ألفها الصحراويون واحترمها الاستعمار من قبل في الحدود التي لم تكن تهدد استقراره.

هكذا ستلعب مجموعة من الوطنيين والزعماء الصحراويين دورا مركزيا في نشر الوعي الوطني بين الناس والتعريف بما قامت به الحركة الوطنية والسلطان محمد الخامس على مستوى مقاومة الاستعمار وتحرير البلاد، والمحنة التي تعرض لها ملك البلاد والشهداء الذين ضحوا بأرواحهم لجلاء المحتل. ودأبت القيادة على توزيع

مناشير دورية على الصحراويين وإلقاء محاضرات وتوجيهات لنشر الحقائق التاريخية لوطنهم وتعريفهم بهوية المغرب العربية الإسلامية الممتدة عبر التاريخ والجغرافيا والتي فعل الاستعمار ما فعل من أجل طمسها وتشويهها لكن من دون جدوى في الأخير.

ولعل الإنجاز الأهم في هذا الإطار كان توحيد القبائل الصحراوية من الرقيبات وأولاد الدليم ومجموعة تكنة وذلك بعد أن نجح الاستعمار من قبل في زرع الفرقة بينها متبعا سياسة "فرق تسد". وفطن الصحراويون إلى نوايا الاستعمار الخبيثة الذي لم يكن يهمه شيء سوى استغلال ما تزخر به الصحراء المغربية من ثروات طبيعية. وفي المقابل استفاد جيش التحرير من الصحراويين في معرفته بطبيعة الصحراء وبثقافة وعادات أهلها الأمر الذي جعله يجيد التعامل معهم ويجعل من قضية الصحراء المغربية قضيتهم التي يدافعون عنها بكل ما أوتوا من إيمان ومن قوة.

والجدير بالذكر في هذا الإطار أن المجلس السياسي الذي أنشأه جيش التحرير تعزز بإنشاء مدرسة للتكوين السياسي تزامنا معه، سيتولى إدارتها واحد من أبرز قادة المقاومة هو عبد السلام الجبلي وكان الهدف من ورائها الرفع من مستوى الوعي السياسي في صفوف جيش التحرير وخلق إدراك لديهم بأن المعركة التي يخوضون غمارها هي معركة شعب بكامله يحاول تحرير نفسه من السيطرة الخارجية عسكريا وسياسيا.

غير أن المناخ السياسي الذي سيهيمن على المغرب ابتداء من العام 1959 لن يسمح لجيش التحرير بالذهاب بعيدا في ترجمة برنامجه كاملا على أرض الواقع.

هذا عن الواجهة السياسية، أما في ما خص الواجهة الاجتماعية فقد سبق أن أشرت إلى أن قيادة جيش التحرير كانت قد وضعت كل إمكانياتها الإسعافية ووسائل الإنجاد في خدمة الساكنة الصحراوية واهتمت بتقديم خدمات اجتماعية للصحراويين حتى قبل تشكيل جيش التحرير بالجنوب.

وبادرت المقاومة المغربية إلى إنشاء مدرسة لتعليم أبناء تلك المناطق اللغة ودروس الوطنية الحقة، ولعبت دورا حيويا في العناية بعوائل المعتقلين ومد يد العون لأسرهم وذويهم، بل إن القيادة لم تتردد في عرض خدماتها حتى على من استعملوا في مؤامرة "بويزكارن"، وتركت باب التدخل الإنساني مفتوحا في وجه الجميع.

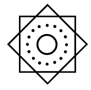
في الشهور الأولى من 1957 تلقت القيادة معلومات متواترة تفيد بوقوع كوارث قاسية بسبب موجة الجفاف التي ضربت عدة مناطق من الصحراء وألحقت كبير الأضرار بالسكان، وكان من نتائجها القضاء على مواشيهم ومحاصيلهم الزراعية. وقد سارعنا إلى فتح مراكز للإسعاف وتقديم المساعدات بكل من السمارة والكلتة والمسيد وتافراوت وطانطان وامريكلي ومدينة طرفاية والعيون والروضة. ولم تقتصر الاستفادة من هذه المراكز على سكان المناطق التي أقيمت فيها ولكنها شملت أيضا المتضررين الموريتانيين وأبناء الصحراء الشرقية. وشملت بالطبع عائلات الشهداء والمعطوبين والأسرى. وتم تخصيص رواتب شهرية لعائلاتهم إضافة إلى استفادتهم من العلاج ومن توزيع الأدوية. وتيسيرا للعمليات الإسعافية جرى إنشاء مستشفيات لإيواء المرضى بإيفني وكلميم والصحراء.

استمر عمل هذه المراكز طوال سنتين كاملتين (1957-1958)، وبفضلها تمكن جيش التحرير من إنقاذ المئات من الأرواح من موت كان يبدو محققا نظرا لحجم المصاب وقسوة الطبيعة الصحراوية التي كشرت عن أنيابها. وفي هذا السياق لعبت مؤسسة التعاون الوطني تحت إشراف الأميرة عائشة دورا لا يستهان به في هذا العمل حينما دخلت على الخط كشريك أساسي لجيش التحرير.

وعطفا على هذه الأدوار الاجتماعية والإنسانية قامت قيادة جيش التحرير بمجهود مهم فيما يخص الجانب التربوي ذلك أنها حملت على عاتقها المساهمة في تعليم أبناء القبائل الصحراوية، فدشنت حملة تسجيل لمن يرغب في إلحاق أبنائه بمدارس الشمال وتفاعل مع هذه المبادرة بالإيجاب أولياء أمور الأطفال الصحراويين. ونقلت

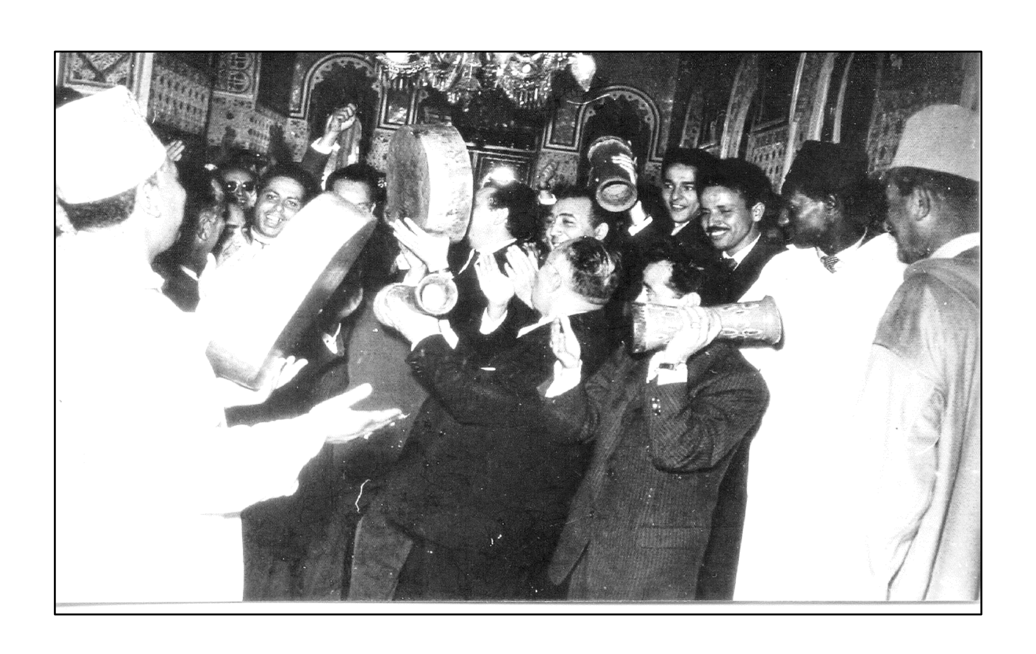
أكثر من 380 طفلا إلى مركز القيادة بمدينة كلميم على أساس توزيعهم على المناطق التي تتوفر فيها شروط الاستقبال بكل من بويزاكارن (فيما يخص أبناء الشهداء) والدار البيضاء وأكادير وتافراوت وقيادة انزي.

إن أغلب مؤسسي ما يسمى بالبوليساريو استفادوا من هذه المبادرة التربوية عندما كانوا صغارا ومراهقين وشبابا قبل أن يغرر بهم خصوم الوحدة الترابية. فبفضل قيادة جيش التحرير تلقوا تعليمهم الابتدائي والثانوي في عدد من مدارس الدار البيضاء. وتمكنوا من الالتحاق بالجامعة المغربية فتفتح وعيهم الوطني بين أحضانها مما دفعهم في البداية إلى البحث عن الوسائل الضرورية لتحرير المناطق التي ينحدرون منها. وقد انتهى إلى علمي أن عددا منهم اتصلوا بقادة الحركة الوطنية في أواخر الستينات وبداية السبعينيات وفتحوا معهم حوارا في هذا الشأن وانخرطوا في أنشطة سياسية وحزبية وفي المنظمات الطلابية يحدوهم أمل في أن يواصلوا الكفاح لتحرير الصحراء المغربية من ربقة الاستعمار. إلا أن انسداد الأبواب في وجههم، والمناخ السياسي الذي كان سائدا وقتذاك، دفعهم للبحث عن حلول أخرى كان من نتائجها بروز فكرة الانفصال وسقوطهم بين أيدي خصوم الوحدة الترابية للمغرب.



[17]

حكومتا البكاي الأولى والثانية
فرص مهدورة، وأخطاء قاتلة



استقبال محمد الخامس، تطوان 1956
يظهر في الصورة محمد بنسعيد(الثالث من اليمين)
وإلى جانبه المرحوم الأمير المولى عبد الله.

مارَسَ الملك محمد الخامس بحرية مطلقة دور الحكم في تشكيل حكومة مبارك البكاي الائتلافية في 7 دجنبر 1955 بعد الوصول إلى تسوية مقبولة من قبل كل الأحزاب السياسية والحكومة الفرنسية. فقد نالت إجماع كل القوى المشاركة فيها، ولن تبدأ بوادر المعارضة لها إلا بعد حين. فحزب الاستقلال، القوة السياسية الأولى في الصف الوطني، والحليف التقليدي للقصر، يصرح، بعد فوات الأوان، بلسان عبد الرحيم بوعبيد وعلال الفاسي، بأنه قبل المشاركة في حكومة البكاي على مضض، وفي ظروف غير عادية. وكانت تلك المشاركة من الأخطاء القاتلة التي ستُساءَل عليها الحركة الوطنية.

كان الملك قد حدد مهام الحكومة الائتلافية تلك في خطابه بمناسبة عيد العرش، يوم 18 نونبر 1958، كما يلي:

1- تسيير الشؤون العامة للبلاد؛
2- إنشاء مؤسسات دستورية ديمقراطية مبنية على فصل السلط في إطار ملكية دستورية وتنظيم انتخابات حرة؛
3- فتح مفاوضات مع الحكومة الفرنسية لتحديد إطار وفحوى الاستقلال بما يحافظ على التعاون المتميز مع الشعب الفرنسي (الاستقلال في إطار علاقة الارتباط = الأنترديباندانس . (Interdependance

ولقد تجنب القصر الملكي الدعوة في بداية الاستقلال إلى إنشاء مؤسسات ديمقراطية كما سبق أن وعد بذلك، واكتفى بتعيين مجلس وطني استشاري يقوم، إلى أجل غير مسمى، مقام مؤسسة دستورية، باتفاق ضمني مع الحركة الوطنية، بل سيعطي الملك الأسبقية لبناء أجهزة الدولة من إدارة وداخلية وبوليس وجيش...تم اختيار أطرها السياسية بذكاء وبدون أن يكون لقادة الأحزاب الوطنية دور ما في هذا البناء.

ويمكن للباحث ملاحظة ذلك في لائحة الستة عشر، من الفوج الأول لعمال المملكة، الذين نصبوا بظهير ملكي على المناطق الأساسية بالمغرب في 17 دجنبر 1955، بعد تشكيل الحكومة الائتلافية الأولى؛ فالوحيد من جيل الحركة الوطنية الذي ورد اسمه في تلك اللائحة هو عبد الحميد الزموري كعامل على إقليم الشاوية. أما الأغلبية فقد تم اختيارها من ضمن ضباط سابقين في الجيش الفرنسي أو من العناصر التقليدية من أعوان المخزن، وكان ضمنهم عمال من عهد بن عرفة احتفظ بهم في مناصبهم.

ولئن ضمت اللائحة بعض القياد الذين سبق لسلطات الإقامة العامة الفرنسية أن عزلتهم على خلفية موقفهم الوطني الرافض لعزل الملك الشرعي للبلاد... فما يثير التساؤل هو أن يكافأوا على تضحيات بسيطة، هي فوق ذلك واجب وطني، وهم الذين لم يكونوا يتوفرون على أية كفاءة إدارية أو علمية تستجيب لتطلبات بناء دولة حديثة وعصرية حقا وفعلا...أكثر من ذلك، كان ضمن اللائحة رجال محافظون أميون حاملون لعقليات بدائية ومتخلفة ماتزال عهود السيبة شديدة الرسوخ في صدورهم وضمائرهم. ولذلك، لن نستغرب مثلا تصرف القائد لحسن اليوسي، عندما سيحرض

عامل تافيلالت عدي أوبيهي على الرفض القاطع لتنصيب موظفين للحكومة في وزارات مختلفة من صحة وبريد وداخلية وعدل...إلخ، وينتقل من العصيان، وهو الذي لم يمر على تعيينه سوى بضعة أشهر، إلى التمرد على الحكومة في بداية يناير 1957، كما سنرى لاحقا. كما لن نستغرب تعرض الزعيم علال الفاسي لمحاولة اغتيال يوم 24 شتنبر 1956 أثناء قيامه بزيارة حزبية لبولمان من طرف أربعة أشخاص أطلقوا الرصاص في اتجاه موكبه ولاذوا بالفرار. ورغم خطورة هذه الأحداث، ستلزم الحكومة الصمت. وحتى الإذاعة كانت قد سكتت عن حدث محاولة اغتيال الزعيم علال الفاسي. والطريف أن مدير الإذاعة لم يكن سوى واحد من قادة الاستقلال وهو قاسم الزهيري، فأين موقف الدولة وأين موقف الحكومة أمام تلك الأحداث التي كان من شأنها إغراق البلاد في اضطرابات ومتاهات لا قبل لها بتحملها؟

لقد أعتبرتُ دائما أن تلك الأحداث كانت حلقات في سلسلة من المؤامرات والدسائس غايتها عرقلة مسيرة القوى التحررية للشعب المغربي وحرفها عن أهدافها. وأنا أجدد هنا دعوتي للمؤرخين والباحثين للانكباب على دراسة هذه الفترة المفصلية في تاريخ بلادنا المعاصر لإماطة اللثام عن الفاعلين الحقيقين من وراء الأدوات الظاهرة والمسخرة، خصوصا وأن تلك الأحداث لم تكن عادية، وحصلت في فترة كانت المفاوضات بين الدولتين في بدايتها ولم تكتمل شروطها، كما تورط فيها حتى ضباط كبار في الجيش الفرنسي بالمغرب تجاوزوا دولتهم نفسها...

ولكل ذلك، ما من عاقل ونبيه يقبل أن يتم حصر ما حدث في مستوى أشخاص القائد اليوسي وعدي أوبيهي أو حتى حلفائهما كالمحجوبي أحرضان والدكتور عبد الكريم الخطيب.

ولكن، رغم أن في اعترافات العامل عدي أوبيهي نفسه، وكذا في انسحاب القائد اليوسي إلى الخارج ما يكفي من مغازي ومعاني، لم نسمع من يدين ويفضح بصراحة

جرائم المتآمرين الحقيقيين الذين حرفوا مسيرة التحرير وقادوها نحو المجهول ضدا على مصالح البلاد ومصالح الشعب المغربي.

ولقد كان من نتائج ذلك، أن تمكنت فئات من خارج الصف الوطني الذي قاد معركة النضال من أجل الاستقلال من أن تصبح بقدرة قادر، بعد فترة من ذلك الاستقلال العمود الفقري لبناء مؤسسات وأجهزة النظام الجديد؛ فالصلاحيات التي منحها الملك لنفسه، والإجماع الشعبي حوله سيسمحان له بإصدار عفو شامل على خصمه اللذوذ التهامي الكلاوي، رغم كل تاريخ هذا الأخير الحافل بالمكائد والمؤامرات ضد وطنه وضد حركة التحرير من بداية الحماية حتى آخر فترة من حياته، وهو القرار الذي لم يكن ليستقبل برضى خصوصا من قبل ضحاياه بمراكش، وطرح تساؤلات، ستتكلف التطورات اللاحقة بتقديم أجوبة واضحة بصددها بشكل عملي... إنما بعد فوات الأوان.

بعد انتظار طويل لإقدام الحكومة على التجاوب مع مطلب المقاومة وجيش التحرير بفتح ملفات الخونة، كما رفعت الصوت بذلك هيئات المقاومين أكثر من مرة دون أن تجد أذنا صاغية، بادر جيش التحرير باعتقال أبناء التهامي الكلاوي وحجز قصوره. وقد قيل حينها بأن القصر لا يعارض في أمر حجز أملاك الكلاوي، ولكن أعقب ذلك تدخل الملك مباشرة لإيقاف كل المسلسل بإطلاق سراح أبناء الباشا وتسليم أملاكه للقصر الملكي ووضع هذا الملف على الرف.

وعلى كل حال، لم تمثل هذه الخطوة أي شذوذ عن السياسة العامة لسلوك دولة الاستقلال، وخصوصا لنهج القصر الملكي وحكومته الائتلافية في الحفاظ على الهياكل الإدارية الموروثة عن أجهزة الحماية الأجنبية، والفرنسية منها على وجه التحديد، بكل ما يعنيه ذلك من تصميم على إعاقة ومنع كل إرادة وطنية مخلصة وحريصة على التغيير والتحرر الشامل من مختلف التأثيرات والتوجيهات الاستعمارية والاستعمارية الجديدة.

والسؤال هنا طبعا هو: كيف حصل أن وقعت فصائل الحركة الوطنية، السياسية والنقابية في الفخ الاستعماري، فقبلت بأنصاف حلول كانت دائما تتحول، بعد المعركة أو حتى قبلها، إلى هزائم مذلة؟ لقد سبق أن عبر الشهيد المهدي بنبركة، في اعترافاته، بأن الحركة الاستقلالية انزلقت نحو "أخطاء قاتلة"، وهو نفسه يفسر قبولها المشاركة في حكومة البكاي الأولى بهذه العبارات: "كنا مضطرين للأخذ بها، ويرجع ذلك إلى سوء تقديرنا لأنصاف الحلول، ومرور بعض معاركنا بمعزل عن مشاركة الجماهير وعدم الوضوح في هويتنا الإيديولوجية".

كان قبول الحركة الوطنية الاستقلالية لشروط مشاركتها في حكومة البكاي الائتلافية الأولى، التي تشكلت باتفاق مع الحكومة الفرنسية بداية لأزمة مستحكمة غير معلنة ولمأزق سياسي سيلازمها منذئذ. فبعض قادة حزب الاستقلال سيبررون تلك المشاركة بالقول إنها اختيار مرحلي بالنظر لظروف الحزب وللوضع الذي كانت تجتازه البلاد، وبعضهم الآخر (عبد الرحيم بوعبيد وعلال الفاسي) سيقولون بأنهم"قبلوا [تلك] المشاركة على مضض" .

كانت الحركة الوطنية قد ضيعت مرة أخرى للأسف فرصة ثمينة، إذ لم تستثمر فترة الانفراج التي أعقبت تنحية الحكومة الفرنسية للجنرال غيوم، عقب الهزيمة المرة للوبي الاستعماري الذي كان اعتمد نهج القوة والعنف لضرب التحالف الضمني بين الملك محمد الخامس والحركة الاستقلالية، وتسبب في مأزق للحكومة الفرنسية، خصوصا والجمهورية الرابعة كانت تمر من فترة اضطراب واهتزاز، بعد هزيمتها في ديان بيان فو في الفيتنام، وكذا بعد انتصارات عسكرية ذات مغزى كانت تحققها المقاومة المغربية المسلحة...

ففي الوقت الذي كانت فيه أوساط المقاومة في الدار البيضاء وتطوان وإيفني تمنّي النفس ـ وهي تستقبل قادة الحركة الاستقلالية السياسيين والنقابيين المفرج عنهم والعائدين من المعتقلات والمنافي ـ وتتطلع إلى أن يستأنف هؤلاء القادة نضالهم

في الشروط المواتية المستجدة، وذلك بالتحاقهم بالمقاومة لتأطير الأشكال النضالية الجديدة (الكفاح المسلح) التي كانت تقدم عمليا في الميدان أقوى برهان على جدواها ونجاعتها...في هذا الوقت، سيسيطر على هؤلاء القادة جو من التردد، بل وسيختارون الهروب إلى المفاوضات مع الجمهورية الرابعة، وبذلك أداروا الظهر لحرب تحرير شاملة كانت شروطها قائمة، تقودها حركات المقاومة في البلدان الثلاث المغرب والجزائر وتونس، متحالفة على برنامج تحرري، كان سيغير أشياء كثيرة في مصير المغارب كلها،وليس في مصيرالمغرب فقط.

حزب الاستقلال
وحزب الشورى والاستقلال

في ذات هذا السياق، سياق القصور والأخطاء القاتلة وإهدار الفرص، أرى من المفيد أن أقدم إضاءة تتعلق بمسيرة هذين الحزبين الوطنيين، حزب الاستقلال وجزب الشورى والاستقلال، وبتاريخهما المشترك في تأسيس الأنوية الأولى لحركتيهما منذ الثلاثينات من القرن الماضي، وبالاصطدامات التي حدثت بينهما وبتحالفاتهما غير القارة، وكذا ببعض الأعمال التي قاما بها بشكل موحد، نادرا بإرادة ذاتية منهما، وغالبا بتدخل طرف ثالث كبعض الأحزاب المغاربية أو أعضاء من الجامعة العربية من أجل تحقيق التوافق بينهما في معركة مواجهة الاستعمار، خاصة سنة 1951، عندما احتد الصراع بين القصر والجنرال جوان، وكان الحزبان يعيشان مرحلة خلافات حادة. حدث هذا مثلا عندما تدخلت الجامعة العربية في مسعى حميد لتشجيع الحزبين، ومعهما أيضا حزب الإصلاح وحزب الوحدة، على توقيع ميثاق يوحدهم في وجه الضغوط التي كان كان يمارسها الجنرال جوان على الملك محمد بن يوسف.

لن أناقش الحزبين بخصوص موقفهما من المقاومة المسلحة فهذا، بالنسبة لي، حديث ذو شجون ليس هنا موقعه المناسب. ولكني لا أرى ما يدعوني لكي لا أطرح مثلا مشكلة عدم توحيد موقفهما خلال محادثات إيكس – ليبان من أجل الاستقلال وعودة الملك الشرعي إلى الوطن.

فما زلت إلى اليوم أعتقد أن تلك المناسبة كانت فرصة ثمينة للاتفاق على برنامج يجمع ويؤلف بين الموقفين في آن: أي انتزاع الاستقلال الكامل(حزب الاستقلال) وبناء دولة المؤسسات(حزب الشورى والاستقلال)، خصوصا وأن الحزبين كانا قد ذهبا في وفد مشترك لزيارة الملك في منفاه، في مناخ بعيد عن الضغوط الخارجية لإبرام تحالف برنامجي مع الملك الذي استقبلهما بحماس وكان ينتظر منهما جديدا يخرجه من حالة الحصار.

لو تم هذا العمل الوحدوي لكان قطع الطريق على كل الأطراف التي لم تكن تعتاش وتنتعش سوى في أجواء الخلافات والانقسامات، وكان ربما أعطى توجيها آخر وآفاقا آخرى لتلك المفاوضات، وحدّ من التنازلات التي اضطر لها الوفد المغربي المفاوض إزاء فرنسا والقوى المغربية العميلة لها.

كما أعتبر أن الحزبين يتحملان نصيبا كبيرا من المسؤولية عما تردت فيه الوضعية السياسية للبلاد بعد ذلك، لأنهما لم يكونا متسلحين بالوعي الديمقراطي الكافي، أو غير مدركيْن تمام الإدراك لما كان يتطلبه الوضع السياسي وقتئذ من تركيز في تحالفهما مع الملك محمد بن يوسف على برنامج وطني ديمقراطي يجنب البلاد المصير الذي سيقت إليه خدمة لمصالح أعداء حركة التحرر المستندين لدعم أطراف وازنة في حاشية القصر والاستعمار الجديد.

كان ذلك التحالف البرنامجي مع الملك في تلك الفترة الحرجة، سيمكن الحزبين بشكل خاص من لجم الطموحات الفردية اللامحدودة لولي العهد آنذاك وضغوطاته التي كان لها تأثير كبير على والده محمد الخامس، والساعية لوقف التحالف الضمني

بين الملك والحركة الوطنية الذي صمد لحقبة تاريخية من النضال الوطني، عندما اختارت الكتلة الوطنية أن تلعب ورقة السلطان، الذي قام هو الآخر بدور مشرف في أهم الفترات العصيبة، وخاصة أثناء التوتر الحاد مع الجنرالين جوان و غيوم اللذين لم يوفرا وسيلة للضغط عليه من أجل التبرؤ من الحركة الاستقلالية وتوقيع مراسيم الإصلاحات المفروض عليه توقيعها...

ولقد أدى غياب مثل هذا التحالف الثلاثي بين حزب الاستقلال وحزب الشورى والاستقلال والملك محمد الخامس في إطار دولة مؤسسات، دولة حق وقانون ودولة حريات وتعددية فكرية وسياسية إلى الانزلاق نحو هاوية معارك أخرى زجت بالبلاد في دوامة من المواجهات والصدامات وحملات القمع المنهجية ...وكان من الثمار الأولى المُرّة والسامة لذلك الانحراف تمردات عامل إقليم تافيلالت وأحداث تازة والخميسات وكذا صدامات الريف...

ولئن كنت أثمن عددا من رؤى ومواقف الأستاذ بلحسن الوزاني، وأتفهم مواقف أخرى لحزب الشورى والاستقلال، فإني لا أملك إلا أن أستغرب قيام حزب الشورى والاستقلال بمساندة تمردات عدي أوبيهي وانتفاضة الريف....وتورطه في تحالفات مع قوى سياسية مصنوعة من أجل ضرب حركة التحرر الوطني خدمة للاستعمار الجديد...كما أستغرب بنفس القدر لوجود عدد من القادة التاريخيين لحزب الاستقلال مع ذات الأحزاب المصنوعة.

من حكومة البكاي الأولى
إلى حكومة البكاي الثانية

بتأسيس حكومة البكاي الأولى، بدأ التعاقد الضمني والرمزي بين الملك محمد الخامس والقوى الوطنية والاستقلالية يفقد مضمونه التحرري، فوُضِع مطلب بناء

دولة المؤسسات على الرف من قبل أغلب الوطنيين الذين كان بإمكانهم تجنيب الصف الوطني الانبطاح لأطروحات الاستعمار الجديد، وكان بإمكانهم عدم تسهيل تخلي القصر عن دور الحكم، وكان بإمكانهم عدم تسهيل إرساء الحكم الفردي على قاعدة دستور ممنوح على عهد الحسن الثاني عام 1962. ولكنهم لم يأتوا شيئا يجعل الرياح تجري ولو قليلا بما كانت تشتهي سفنهم. فالأمور كانت قد أخذت مسارات أخرى خطيرة ولا تخطر على بال، كانت إحدى علاماتها المبكرة البالغة الدلالة اختطاف الزعماء الخمسة لجبهة التحرير الجزائرية في أكتوبر 1956 من طرف اللوبي الاستعماري، بعد أن كانوا في ضيافة محمد الخامس، وهو ما ولد ردود فعل شديدة استهدفت العناصر الاستعمارية الفرنسية مما اضطر معه الملك لتعيين حاكم عسكري بمدينة مكناس وفرض أحكام عرفية لاستتباب الأمن في المدينة.

كان هذا الاختطاف قد وضع الحكومة الائتلافية أمام تحديات مباغتة وغير مسبوقة وهي التي لا تملك لا الحصانة الكافية لمواجهة عدوانية اللوبي الاستعماري الفرنسي ولا القدرة على فرض استتباب الأمن إضافة لتعرضها للانتقاد من مختلف الشرائح الوطنية وعلى رأسها تلك الرافضة للحلول الوسطى والتي تم إقصاؤها عنها بسبب مواقفها من اتفاقية لاسيل سان كلو ومن المساومة التي أنتجت تلك الحكومة الائتلافية.

في هذه الشروط المحرجة، سيقْدم الملك محمد الخامس على القيام بتعديل حكومي تمخضت عنه حكومة بكاي ثانية، سيحصل حزب الاستقلال فيها على مقاعد مهمة تلبية لمطالبته المتكررة بحكومة منسجمة، وسيتم إبعاد حزب الشورى والاستقلال منها، كماسيقال وزير الداخلية القائد لحسن اليوسي لعجزه عن تدبير وزارة كان يراد منها أن تمثل أم الوزارات، ويتم تعويضه بالقيادي في حزب الاستقلال، ادريس المحمدي.

لكن كل تلك التغييرات لن تخفف من الأزمة، بل ستصبح هي نفسها من البواعث الإضافية على اصطفافات لليمين والمحافظين ممن سيشكلون لاحقا القوة الثالثة التي ستحظى برعاية ودعم مباشر وغير مباشرمن قبل أطراف فاعلة في القصر الملكي كما أسلفت.

وقد أخذت قوى اليمين هذه تتوسع تحت غطاء المخزن الشريف موجهة نيرانها نحو ما كانت تسميه كذبا "هيمنة الحزب الوحيد"، ومقدمة نفسها في صورة المدافعة عن التعددية الحزبية.

كانت هذه القوى قد أصدرت ما يشبه البيان الذي يعبر عن هويتها وشعاراتها، واستطاعت أن تكسب إلى صفها الوزير الأول البكاي الذي ساند موقفها حين استقبل وفدا يضم كل من حزب الشورى والاستقلال، ونواة ما سيصبح لاحقا الحركة الشعبية، والوحدة والأحرار المستقلين. وكان كل هذا التجمع قد وضع تحت قيادة الصديق الحميم لولي العهد آنذاك رضى اكديرة.

حصل كل ذلك في ظروف كان فيها حزب الاستقلال يعرف نقاشا داخليا واسعا أطره وقاده تنسيق ثلاثي يمثل التوجهات المختلفة المتصارعة داخل الحزب، وكانت البلاد تشهد نهضة على مستويات مختلفة في الإعلام والحركات الاجتماعية وفي تنظيمات المجتمع المدني الشبيبية والطلابية، نهضة تتسع دوائر تأثير خطابها وتطلق شعارات واضحة في تعبيرها عن هويتها وإرادة اختراقها لكل الخطوط الحمر التي كانت مرسومة إلى ذلك الحين.

أمام هذه التطورات، كان لزاما أن يتطور إطار النقاش الدائر في صفوف الحركة الاستقلالية؛ هكذا سيتم إحداث قيادة سميت "اللجنة السياسية" تضم القيادات التاريخية لكل من حزب الاستقلال والاتحاد المغربي للشغل والمنظمة السرية التي قادت العمل المسلح بالمدن، وجيش التحرير بالشمال المغربي.

وقد توصلت هذه اللجنة بعد أشواط من النقاشات إلى اتفاقات أساسية عكسها البيان الذي أصدرته، والذي حدد موقفها من أوضاع الحزب ومن أوضاع البلاد وطرح مشروعا متكاملا يركز توجهات الحزب ورؤيته لحل مشكلة الحكم في البلاد وفي المركز منها شعار المجلس التأسيسي.

وفي أبريل 1958، ستصدر اللجنة السياسية بيانا حددت فيه شروط الحركة الاستقلالية من أجل تأسيس الحكومة الجديدة كما يلي:

1- الحفاظ على نفَس الاستقلال الوطن
2- جلاء القوات الأجنبية عن البلاد؛
3- تقوية العلاقات مع دول المغرب العربي ودعم تحرير الجزائر؛
4- إقامة مؤسسات ديمقراطية؛
5- التنمية الاقتصادية والاجتماعية للبلاد؛
6- حكومة منسجمة؛
7- ضمان الحريات العامة الدائمة؛
8- تحديد تاريخ الانتخابات المحلية؛
9- إقامة ملكية دستورية أو مجلس تأسيسي......

وإن كنت أنسى فلن أنسى ما شهدته المنطقة الشمالية من أحداث مثيرة للقلق ومن بؤر انفلاتات أمنية في مواقع متعددة توجد بها مراكز لجيش التحرير الذي استمر في مراقبة الأمن بها بغير قليل من الحذر. وكانت الدولة قد اهتدت إلى تعيين مسؤولين من قيادته كعمال في مناطق مختلفة، أذكر منهم عبد الله الصنهاجي كعامل على إقليم الناضور، ومحمد منصور على عمالة الحسيمة، ومحمد بن الحاج العتابي على إقليـــم

شفشاون، ومحمد بن علي المكناسي على إقليم العرائش...كل هؤلاء كانوا من قادة المقاومة وجيش التحرير...وقد عُيِّن مقاومون آخرون كقياد بنفس المناطق الشمالية ولكن لم تكن لهم الكفاءة الإدارية، علاوة على أن أصولهم من جنوب المغرب،

وخصوصا، أن سلوكهم في ممارستهم لمهامهم لم يكن ينظر له بعين الرضى من قبل أبناء الشمال، وكان أثار حساسيات عندهم، اكتست أحيانا طابعا جهويا وإقليميا وقبليا.

يمكن أن ندرك بوضوح العوامل التي جعلت القصر يتفق على تلك التعيينات، فقد يكون منها مثلا انتسابهم للمقاومة وجيش التحرير وشرف مشاركتهم في تحرير البلاد وعودة الملك الشرعي وإرادتهم القوية لمواصلة نضالهم من أجل تحقيق الاستقلال الكامل وبناء الوطن وتطهير البلاد من مخلفات الاستعمار... ولكن واقع كونهم من أبناء الجنوب ونصبوا في مناطق تعيش انتفاضات شعبية عريضة بسبب ما تفيض به ذاكرة السكان الجماعية من تاريخ مليء بوقائع التهميش وب"الحكرة" وبمحاولات محو كل تعبير عن اعتزاز أو إباء عندهم، وإقصاء أبناء منطقتهم وأطرها ذات الكفاءة والعارفة بشعاب واحتياجات مجالها، وأيضا بسبب معاناتهم في الريف بالخصوص من تدهور رهيب في شروط عيشهم الاقتصادية والاجتماعية، زاده حدة ومأساوية طرد العديد من عمال المنطقة من ضيعات المعمرين الفرنسيين في الجزائر انتقاما منهم على تضامنهم مع ثورة الشعب الجزائري، أو من الذين ضربهم القمع الاستعماري خلال معارك جيش التحرير البطولية التي كانت قد انطلقت من قراهم... ولذلك قد يكون في خلفية قبول القصر تعيين أولئك المقاومين ، وكلهم من الجنوب بدون استثناء، هدف آخر مبيّت، وهو ضرب عصفورين بحجر واحد؛ أي إخماد الانتفاضات التي اشتعلت بالمنطقة لأسباب اجتماعية مرتبطة بحقوق الناس في العيش الكريم، ومعارضة تطلعاتهم المشروعة، بسلطة مقاومين، مفروض فيهم أن يكونوا مع مطالب الناس.

ولقد انكشف هذا الأمر بعد حين، عندما تمت إقالة أولئك العمال والقياد، في عهد الدستور الممنوح، من قبل وزير داخلية الملك الحسن الثاني، الجنـرال الدموي محمد أوفقير.

وإجمالا، فقد تمثلت الكتل السياسية التي ظهرت واستقرت في معسكر اليمين والمحافظين بالأحزاب التالية:

- **الأحرار المستقلون** بقيادة المحامي "الليبرالي" والصديق الحميم لولي العهد أحمد رضا اكديرة، والذي كان ينعت آنذاك في الأوساط السياسية الوطنية بعميل الاستعمار الجديد ولم يكن يحظى بثقة الوطنيين بمن فيهم الملك محمد الخامس. ومعلوم أن هذا الرجل كان قد فرض على وفد الحركـــة الوطنية في المفاوضات بقيـــادة عبد الرحيم بوعبيد من قبل ولي العهد.

- كتلة أولى يمينية محافظـة تتبنى شعار الدفاع عن العرش، مدعومة من أوساط نافذة في القصر على رأسها ولي العهد آنذاك، تتكون من **حزب الشورى والاستقلال، وحزب الوحدة والاستقلال، الخطيب** و**أحرضان**، الأنوية الأولى لما سيصبح **الحركة الشعبية.**

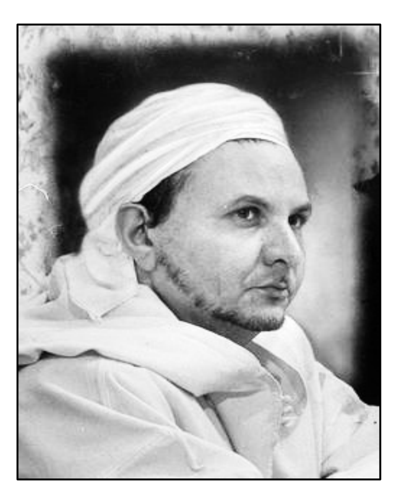
- كتلة ثانية وطنية تقدمية تحررية، تمثلها اللجنة السياسية وهي تنسيق للتيارات الثلاثة في اللجنة التنفيذية **لحزب الاستقلال،** قيادة **الاتحاد المغربي للشغل**، وقيادة **جناح من المقاومة وجيش التحرير** بالجنوب.

ـ أما الكتلة الثالثة ويمثلها الملك محمد الخامس، فكانت قوة الحسم، رغم ما يعتري سلوكها من ترددات ترجع إلى محاولة الملك محمد الخامس الحفاظ على علاقات متوازنة إلى حد ما مع كلتي الكتلتين، رغم ميله المحسوس لحلفائه التقليديين الذين سعى دائما لإشراكهم في الحكم وربطهم بمصير الحكومات الأربع لما بعد الاستقلال، كما تجلى ذلك مثلا في استجابته لمطالب حزب الاستقلال سواء في التعديل الأول لحكومة البكاي أو حكومة بلافريج، أو في تجاوبه مع علال الفاسي بهدف الحفاظ على وحدة الحزب، أو حتى مع حكومة عبد الله إبراهيم نفسها بالهدف نفسه، ورغم خضوعه أحيانا أخرى لضغوط رهيبة من طرف ولي العهد لم يكن يستطيع الفكاك منها سوى بتلبيتها كليا أو جزئيا، وهو الملك ورأس الحكم

الذي لا يمكنه التنصل من مسؤوليته النهائية، والبقاء على الحياد طويلا أمام قوة الأطراف المتصارعة.

في هذا المناخ من اشتداد الصراع بين القوى المتصارعة لتقوية ركائزها في السلطة كما في المنظمات والإطارات الشعبية، انتقلتُ إلى قيادة جيش التحرير بالجنوب حرصا من جهة على الحفاظ على هذه الهيئة لاستكمال تحرير باقي التراب الوطني، وفي نفس الآن، تحسبا واستعدادا لدسائس اليمين والتي كانت مقدماتها بادية للعيان في اختراق بعض أوساط جيش التحرير، الذي كان حينها يواجه ثلاث قوى في آن واحد هي الجيش الفرنسي والجيش الاسباني وكذا قوى وأزلام وأدوات كتلة اليمين ممثلة في الحركة الشعبية ورعاتها في القصر.

وقد حملت معي إلى الجنوب ما لا قدرة لي على حمله من الهموم السياسية والاجتماعية والمادية، مما كنت تطرقت له في كتابيّ "صفحات من ملحمـــة جيش التحريـــر بالجنوب المغـربي" و"وثائق جيش التحريربجنوب المغرب".



علال الفاسي



محمد بلحسن الوزاني



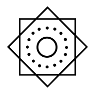
الملك محمد الخامس وولي العهد الأمير الحسن



مبارك البكاي الهبيل

[18]

المواجهات مع الملك
تفضي إلى انشقاق حزب الاستقلال



شَغلتنْي

مهامي بجيش التحرير لثلاثة أعوام. في هذه الفترة كنت أتابع تطورات الوضع السياسي بالبلاد حيث أفرزت الاصطفافات تكتلين أحدهما يقوده حزب الاستقلال وله ارتباطات مع الاتحاد المغربي للشغل والمقاومة المغربية وجيش التحرير، والآخر أملته المصالح، ورأى فيه أصحابه مجرد رد ضد ما أسموه بالخطر الذي يهدد مصالحهم في شخص حزب الاستقلال. هذا التكتل، الذي كنا ندعوه ب"الاستعمار الجديد" بدا هجينا لا برنامج يوحده وهو يجمع، تحت قيادة صديق ولي العهد أحمد رضا اكديرة، كلا من الحركة الشعبية وحزب الوحدة وحزب الشورى والاستقلال.

في هذه الفترة، سوف يترأس البكاي لقاء لهذا التحالف ويصدر بيانا في أواخر 1958، وفيه يتبنى مطالب التكتل، متجاوزا كونه رئيس حكومة ولا انتماء له. وقتها

كان حزب الاستقلال يرغب في الخروج من الحكومة، على اعتبار أنها لم تعد منسجمة ولا تلبي مطامحه، مثلما كان يدعو إلى إنشاء مؤسسات نظام ديمقراطي، يضع المغرب على سكة الحداثة كدولة عصرية، وكان المهدي بن بركة قد بادر إلى خلق لجنة سياسية في أفق التحضير لمؤتمر الحزب في 11 يناير 1959، ولا يخفى أن آمالا عقدت على هذه المحطة لتذويب جليد الخلافات الداخلية.

حيال تصرف البكاي وخروجه عن حياديته، اجتمعت اللجنة السياسية لحزب الاستقلال، واتخذت قرارا باستقالة الحزب من الحكومة، كما أصدرت بيانا بسطت فيه شروط المشاركة في الحكومة المقبلة، ومن هذه الشروط، أن يتولى حزب الاستقلال مسؤولية الحكومة لوحده، أو يتم الشروع في بناء المؤسسات الديمقراطية والاحتكام بالتالي، عبر الانتخابات، إلى الشرعية والإرادة الشعبيتين، غير أن الملك رفض ما جاء في البيان، وقال إنه لم يقبل الشروط من المقيم العام الفرنسي السابق غيوم، حتى يضطر لقبولها معنا.

هنا قدرت القيادة التاريخية لحزب الاستقلال، مجسدة في اللجنة التنفيذية، أن هذا النوع من التصعيد يقود إلى مواجهة مباشرة مع الملك، وهي لم تكن ترغب في فتح هذه الجبهة، بالرغم من أن الملك خرج عن حياديته وعن دوره التحكيمي، وصار طرفا في الصراع السياسي، وبذلك انفرط التحالف الذي جمع حزب الاستقلال وسلطان البلاد، وهو تحالف لم يكن قائما على برنامج سياسي مشترك بقدر ما كان محكوما بالبيعة. والحقيقة أن الاتحاد المغربي للشغل، بقيادة المحجوب بن الصديق، لم يقم بدور إيجابي في هذا الصراع، وكان ممكنا للتحالف الذي يقوده الحزب أن يحافظ على نوع من التوافق يمكنه من فرض رؤيته لمستقبل البلاد، وهي رؤية قوامها بناء مغرب المؤسسات الديمقراطية من برلمان وانتخابات حرة ونزيهة، وتمثيلية حكومية واضحة يكون للشعب فيها كلمته النافذة، ولا يبقى الملك منفردا بتعيين واختيار من يريد.

تطور الخلاف داخل حزب الاستقلال بشكل صعبت معالجته؛ طرف ينادي بضرورة أن تكون الحكومة المقبلة منسجمة، وطرف يقبل بشروط اللعبة كما هي مفروضة من فوق. والحقيقة أن الخلاف كان ظاهريا فقط، أما الأصل فهو المواجهة مع الملك والحكم المطلق، وفي رأيي أن ثمة عاملين تحكما في الخلاف الذي أدى إلى الانشقاق داخل حزب الاستقلال؛ الأول موضوع الملك والثاني الدور السلبي للاتحاد المغربي للشغل، فقد كان الصراع الطبقي مطروحا بحدة، وكان ضروريا بالنسبة لنا بناء المغرب في اتجاه تحقيق العدالة الاجتماعية المأمولة.

كان الرافضون للمواجهة، في الحزب والنقابة متخوفين، ولهم الحق في ذلك، فلم يكن بين القيادة التاريخية وبين الشبيبة انسجام فكري ولا إيديولوجي، وسرعان ما طفا ذلك على السطح حين طرحت القضايا الأساسية التي لم يكن مفر من طرحها، وقادت إلى ما قادت من انشقاق.

وعوض أن ينعقد مؤتمر الحزب في الوقت المقرر له ويتم رأب الصدع، التأمت الجامعات المتحدة، التي كنت واحدا من مؤسسيها في 25 يناير 1959، وكان حزب جديد هو الاتحاد الوطني للقوات الشعبية يخرج من رحم حزب الاستقلال، وقتها بدا أن المستفيد من هذه القطيعة هو الدولة والاستعمار الجديد. أحداث لم تكن مرتقبة ساهمت في تأجيل وضع دستور للبلاد ، إلى أن تغيرت موازين القوى، فتمخضت عام 1962 عن دستور ممنوح.

بن بركة
والوجه الآخر لاغتيال
عباس المسعدي

أسالت قضية اغتيال عباس المسعدي من المداد ما يفوق حجمها، وهو أمر مقصود نظرا للاستغلال الذي ستعرفه مسألة تصفيته. وقد جاء ذلك في فترة احتداد الصراع داخل فئات المقاومين، حيث انتفى كل تفاهم بالخطاب وتقدم السلاح بوصفه لغة الحوار الوحيدة التي هيمنت على الجو السياسي وقتذاك.

لم يكن المسعدي وحده الذي ذهب ضحية ذلك الصراع الدامي، بل عدد كبير من القياديين في صفوف المقاومة المغربية: إبراهيم الروداني، إبراهيم الوزاني، عبد الله الحداوي، وعبد الكريم بنعبد الله من الحزب الشيوعي وآخرون كثر... فلماذا تم تسليط الضوء على المسعدي بمفرده لدرجة أن قضيته غطت على رجالات المقاومة الآخرين؟ من اغتال ثريا الشاوي أول ربان طائرة مغربية؟ ولماذا صفيت ولفت قضيتها بالصمت؟ كان إبراهيم الروداني عميد المقاومين بالدار البيضاء، على يده قام الاتحاد المغربي للشغل كما كان له الفضل في تشغيل عباس المسعدي في شركة "جافيل" وإلحاقه بصفوف المقاومة، ونعرف أن الذي اغتال الروداني ينتمي إلى منظمة الهلال الأسود، وقد ذهب المقاوم الكبير ضحية مسعاه من أجل توحيد صفوف المقاومة المغربية، خصوصا جهوده للتقريب بين المنظمة السرية بقيادة الفقيه البصري ومنظمة الهلال الأسود بقيادة عبد الله الحداوي، وهما المنظمتان الأكثر قوة ونفوذا، الأولى لها ارتباط بحزب الاستقلال فيما الثانية لها صلات بكل من الحزب الشيوعي المغربي وحزب الشورى والاستقلال والقائد لحسن اليوسي، وهي تنظيمات سياسية لم تكن على اتفاق سياسي وإيديولوجي مع حزب الاستقلال. جل منظمات المقاومة، كبيرها وصغيرها، كانت تفتقد لرؤية سياسية واضحة، خصوصا فيما يتعلق بحل المشاكل العالقة بينها، لذلك طغت نزعة الاغتيالات عما عداها من قنوات

ووسائل أخرى للتفاهم والحوار. وكان سيذهب ضحية هذا المنطق زعماء سياسيون، منهم المهدي بن بركة وأحمد بلافريج وعلال الفاسي، الذي أطلق عليه الرصاص وهو داخل سيارته بإحدى مناطق الأطلس، وكان الفاعل من الحركة الشعبية.

هذه الأخيرة، كانت قد قامت على جثة المسعدي؛ فقد ركبت على حدث مصرعه، وتبنته كمنتسب لها، مستغلة في ذلك انتماءه للمنطقة التي ينحدر منها "زعماؤها". والحقيقة أنه لا شيء كان يربط الراحل بالحركة التي كانت عبارة عن خليط من الأعيان وأبناء العملاء، ولا بتوجهات أصحابها، فهي لم تكن غير أداة أنشئت بإيعاز من ولي العهد، يوجهها أينما أراد ويحركها وقت ما شاء.

وقد وُظّف اغتيال عباس المسعدي أيضا في حل جيش التحرير بالشمال وإدماجه في صفوف القوات المسلحة الملكية، ولتجريد المقاومة من السلاح. كما بررت به الدولة تصرفاتها التي كانت أثارت في حينها ردود فعل شعبية غاضبة ومستنكرة.

أما عن رواية الملك الراحل الحسن الثاني، بخصوص علاقة الشهيد بن بركة بتصفية المسعدي، فلذلك خلفية لابد من توضيحها: كان القصد هو تشويه صورة المهدي، فالرجل كان يمثل الوجه الأبرز للحداثة في المغرب غداة الاستقلال، وهو الحامل لمشروع دولة عصرية ديمقراطية محصنة ومستقلة، تنتمي إلى العصر بكل معنى الكلمة. وهو صاحب القوة الاقتراحية التي كانت تميزه عن سواه من السياسيين الآخرين، فالمهدي، من اللحظات الأولى للاستقلال، ربط البلد بالبناء عندما أتي بمشروع ضخم في حجم مشروع طريق الوحدة... كان طاقة ودينامية متحركة تؤثر بقوة في محيطها وتعبئ الموارد البشرية، وكان ذا رؤية مستقبلية يجسدها اقتراحه للمشاريع الكبرى مثل الإصلاح الزراعي وغيره.

ولم ينحصر إشعاع المهدي داخل بلاده، بل امتد إلى جهات العالم الأربع لكونه كان يمتلك رؤية ذات آفاق كونية.

حقيقة، لم يكن ثمة توافق بين المهدي والمسعدي. ولكن الزعم بأن غياب التوافق ذاك، يمكن أن يبلغ حدّ أن يفكر بن بركة في اغتياله، إضافة إلى أنه من المستحيلات، فهو أيضا اتهام لايعادل سخفَه سوى شيطانيتُه.

بن بركة أكبر من ذلك بكثير... أكبر من عباس المسعدي ومن غير عباس المسعدي، ولم يكن يحتاج أبدا لتصفية أي كان، لأن الاغتيال أو القتل بعيد كل البعد عن شخصيته، وله من القوة والذكاء والإرادة ما يجعله يبلغ أهدافه التي لم يحِد أي منها عن القيم الإنسانية الكبرى التي كان يحملها. لكن مع الأسف استغلت الدولة اغتيال المسعدي لمحاولة خدش صورة المهدي وتبرير المؤامرة على حركة التحرير الوطني بالمغرب.



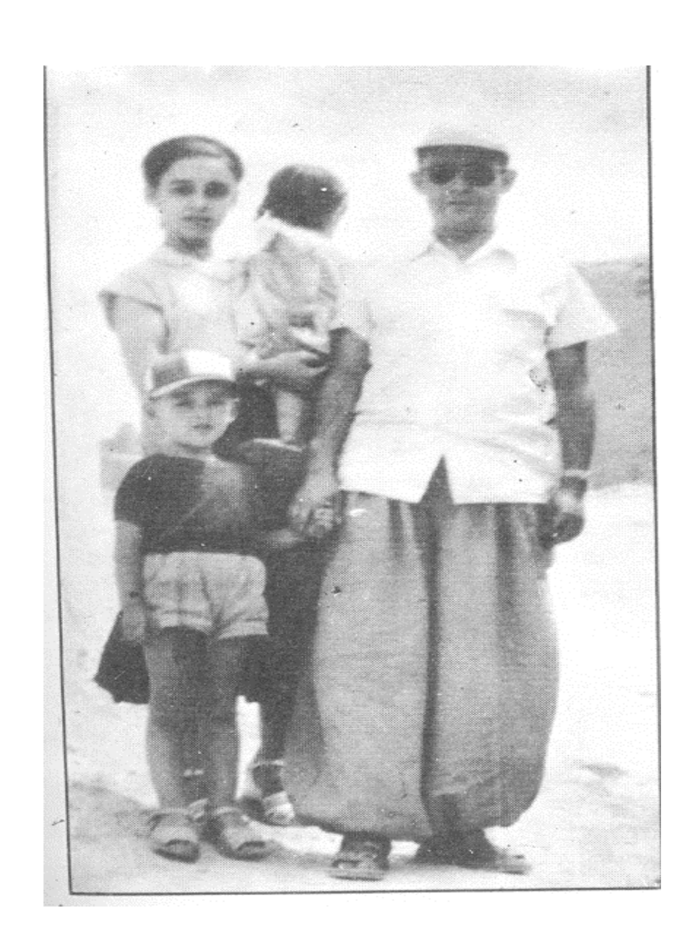
الشهيدة المقاومة ثريا الشاوي
أول ربان طائرة مغربية



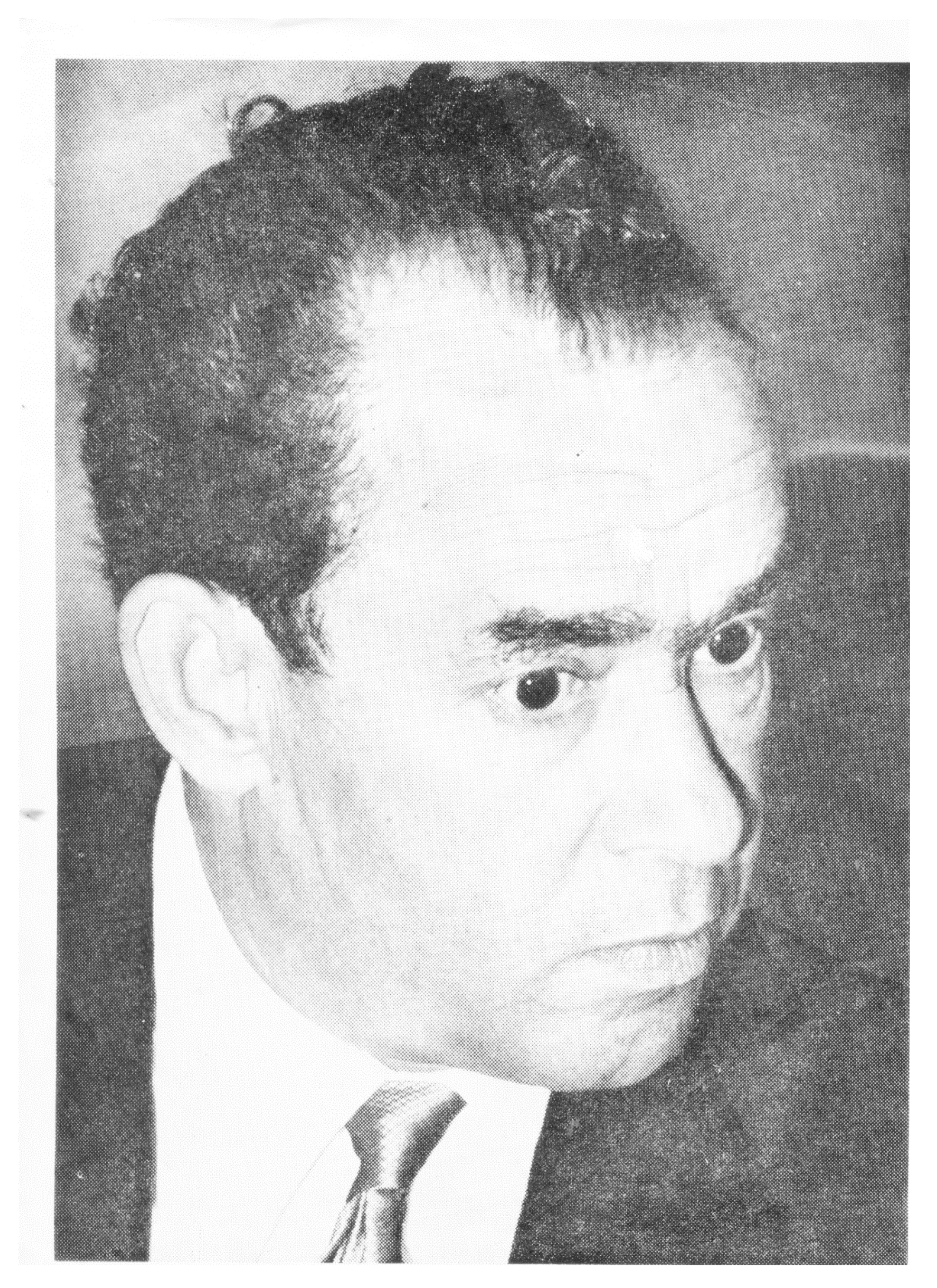
شهيد الحزب الشيوعي المغربي
بنعبد الله عبد الكريم

[19]

"محاولة اغتيال ولي العهد"،
إسقاط حكومة عبد الله إبراهيم،
حل جيش التحرير،
تمرد عدي أوبيهي وأحداث الريف...



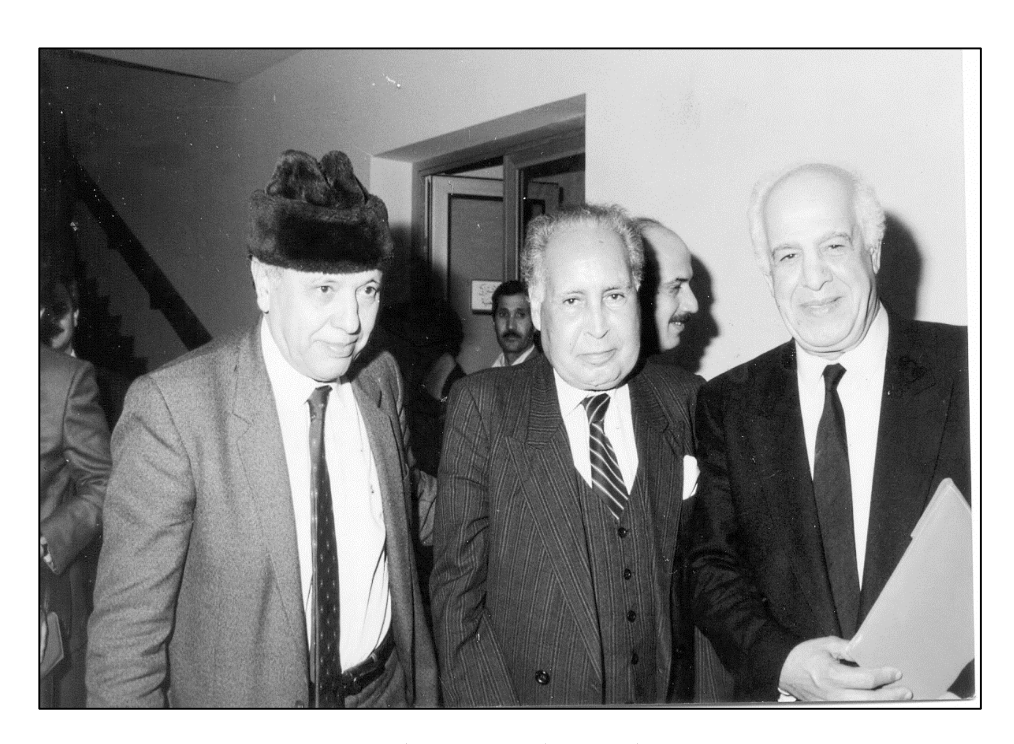
الشهيد المهدي بنبركة رفقة زوجته السيدة غيتة بناني وأبنيه البشير وفوز
(في المعتقل بأغبالو نكردوس)



القائد الشهيد المهدي بنبركة

تَمرّداتٌ عدة وقعت بعد حصول المغرب على استقلاله. ومنها كما أسلفت تلك التي قادها في يناير 1957 عدي أوبيهي عامل تافيلالت ضد الحكومة الاستقلالية، يقف من ورائه كل من لحسن اليوسي واثنان من الجنرالات الفرنسيين. لقد صوروا له أن الاستقلاليين استحوذوا على الحكم، بعد أن استغلوا الفترة التي سافر فيها محمد الخامس إلى إيطاليا للاستراحة مخلفا وراءه ولي عهده، فسلّح(عدي أوبيهي) جماعته ومنع موظفي العدلية والإدارة من أداء مهامهم. أما اليوسي فلاذ بالفرار حين أُخْمِد التمرد، إلا أنه سيعود إلى المغرب بعد أن يعفو عنه الحسن الثاني.

أما أحداث الريف عام 1958 فقد تسبب فيها نقل رفات عباس المسعدي من فاس إلى الحسيمة. وقد تم ذلك بفعل من الحركة الشعبية التي قامت على جثة المسعدي وبدعم من ولي العهد.



محمد بنسعيد مع القائدين الراحلين عبد الله إبراهيم وعلي يعتة

كان كل شيء قد بدأ بالهجوم على حزب الإصلاح وهو جزء من حزب الاستقلال في الوقت الذي كانت الأوامر قد صدرت ليقف الجيش الملكي على الحياد. لكن ما إن بدا أن شرارة التمرد قد تمس الملكية حتى تدخل ولي العهد باعتباره رئيس أركان الجيش والجنرال أوفقير فقمعت القوات المسلحة الملكية التمرد بعنف كبير استخدمت فيه الطائرات ومختلف أنواع الأسلحة. ومن يومها سيهمش الحسن الثاني منطقة الريف ويستثنيها من أي مشروع للتنمية كانت ستستفيد منه كباقي مناطق المغرب الأخرى.

إسقاط حكومة عبد الله إبراهيم

كنت من مؤسسي الجامعات المتحدة التي سينبثق من صلبها حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. والحق أن الهدف من إنشائها في البدء تمثل في الحفاظ على مؤسسات حزب الاستقلال، لا الانشقاق عنه كما وقع. وفي مقابلها أسس أحمد رضا اكديرة تكتلا أخر قدم نفسه على أنه المدافع الرسمي المزعوم عن المؤسسات الدستورية والملكية(الفديك).

في تلك الفترة ستختار الدولة الجناح الآخر من الحزب. وستراهن على حكومة عبد الله إبراهيم بدل حكومة أحمد بلافريج. وفعلا ستطرح الحكومة الجديدة التي تولى فيها عبد الرحيم بوعبيد شؤون الاقتصاد والمالية والمهدي بنبركة شؤون المؤسسات التشريعية وعبد الرحمان اليوسفي شؤون الإعلام، وحظيت بدعم من المقاومة عموما، برامج وطنية رائدة في الميدان الاقتصادي والاجتماعي وعلى مستوى السياسة الخارجية. وسيتحمس لها في البداية الملك محمد الخامس دون أن يبدي أي اعتراض على توجهاتها الكبرى. غير أن المصالح الاستعمارية وأعوانها بالمغرب ستـــرى فيها

تهديدا لها من شأنه أن ينهي في المستقبل كل تبعية مغربية للخارج ويسمح للبلاد ببناء نفسها بالتعويل على إمكانياتها الذاتية...وهكذا بدأ أمسلسل وضع العراقيل أمامها بالجملة.

لم تكن حكومة عبد الله إبراهيم تملك سلطة التصرف الكامل، لكنها نجحت في بلورة مشاريع مهمة في المجال الاقتصادي والمالي، ووضعت التصميم الخماسي الذي بإمكانه أن يحقق للمغرب نقلة نوعية في القطاع الفلاحي. وبموازاة هذه الحكومة، كانت ت حكومة أخرى تعمل، حكومة ظل، يرأسها ولي العهد. وقد سعت هذه الأخيرة بكل الوسائل لإسقاط الحكومة وإنهاء المسار الوطني الذي شقته بالمشاريع والخطط الكبرى.

اعتقال اليوسفي والفقيه البصري

كانت التهمة جاهزة: "المس بسيادة ومقدسات البلاد". جاء ذلك إثر نشر مقال في جريدة التحرير الاتحادية عام 1959.وتم تأويله بناء على تكييف مع التهمة المشار إليها. هكذا ستعتقل السلطات كلا من عبد الرحمان اليوسفي باعتباره رئيسا للتحرير ومحمد الفقيه البصري مدير نشر الصحيفة. من جهتنا بادرنا إلى عقد لقاء عاجل للنظر في هذا التطور الخطير في تعاطي الدولة مع رموز حركة التحرير الوطنية واعتبرنا الأمر ضربا لحرية التعبير.

كان السؤال ينصب على تجاوز السلطة للخطوط المسطرة، فاليوسفي والبصري كأشخاص بالنسبة لنا، هما من أهم رموز المقاومة المغربية وحركة التحرير الوطنية، هما من وقفا في الصفوف الأمامية لحماية المقدسات وسعوا لاستعادة سيادة البلاد

وبالتالي أن توجه إليهم تهمة بهذا الشكل أمر غير مقبول وينطوي على خطة مبيتة للنيل

من حركة التحرير وإقصائها من المساهمة في وضع أسس مغرب الاستقلال المأمول. ولم يطل الانتظار حتى تكشفت لنا هذه الخطة عندما تم اعتقالنا نحن أيضا، لكن هذه المرة، بتهمة أخرى.

"محاولة اغتيال ولي العهد"
والأهداف الخفية

خلف اعتقال اليوسفي والبصري توترا كبيرا في صفوف المقاومين، ثم تصاعد الغضب في 14 فبراير 1960عندما تم اعتقال حوالي 30 مقاوما كنت واحدا منهم. وكان من ضمنهم أيضا مقاوم آخر، هو بن حمو الفاخري، وهو رئيس فريق رياضي بدرب غلف، كان منافسا شديدا لفريق الجيش الملكي. في ذلك الوقت، أعطيت لهذا الأخير إمكانيات كبيرة وحرمت الفرق الشعبية من أي دعم. واتخذت المسألة صورة معركة بين توجهين أحدهما مبني على الامتيازات الزبونية، والآخر يؤمن بالحقوق والمساواة.

وجاء اعتقال بن حمو في إطار هذا الصراع السياسي المقنع، فاتهموه بأنه كان ينوي وضع قنبلة في الملعب الشرفي، حيث سيحضر ولي العهد لمشاهدة إحدى المباريات. لا أدري إن كان هذا الأمر صحيحا أم لا، لكن ما أعرفه أن الذين قدموا شهاداتهم ضدنا، قالوا إن ولي العهد بمعية الغزاوي، هما من أمليا على الشهود ما يجب أن يلفق لنا من تهم. عرفنا هذا فيما بعد. والخطير أن من حاك وفصل تهمة "محاولة اغتيال ولي العهد" وألبسها لنا، استطاع أن يقنع الملك محمـــد الخامس بأننا كنا سنشـــارك فعلا في اغتيال ابنه.

كنت في بويزاكارن في إطار مهامي القيادية بجيش التحرير عندما اعتقلوني. نصبوا سدّا في الطريق، وطلبوا مني أن أرافقهم، لأن الكومسير القباج بتزنيت يريد أن يراني. كانت لي به معرفة سابقة . وقد أفلت مولاي عبد السلام الجبلي لكونهم لم يتعرفوا على هويته. ومن بويزاكارن أخذوني إلى الدار البيضاء وبالتحديد إلى المقاطعة السابعة (الساتيام)بدرب السلطان بالقرب من "مارشي الجمعة". هناك، ألقوا في وجهي بالتهمة وشرعوا في تعذيبي.

استخدموا في استنطاقي كل وسائل التعذيب؛ كانوا يغطسون رأسي في الماء الملوث بأنواع القاذورات إلى أن يغمى علي. وكانوا يسلطون على جسدي العصا والكهرباء لأكثر من 15يوما دون أن يظفروا مني بشيء.

كنت على بينة من أمري. كيف اعترف على تهمة لا أعرف عنها أي شيء؟

بعدها رموا بي في السجن دون محاكمة لمدة شهرين حتى تسنى لهم حل جيش التحرير بالجنوب والانقلاب على حكومة عبد الله إبراهيم.

زج اعتقالنا التعسفي بالبلاد في دوامة من العنف بعد أن قام عدد من المقاومين الغاضبين بسلسلة من الاغتيالات بالدار البيضاء ومراكش. ففي المدينة الحمراء، حمل المقاوم مولاي الشافعي، الذي كان من رفاق الشهيد محمد الزرقطوني السلاح في وجه السلطات وصعد إلى الجبل... نفس الأمر سيفعله بن حمو والبشير وجماعتهم ببني ملال بعد أن قتلوا كوميسيرا مغربيا. وامتد هذا المسلسل ليفضي في الأخير إلى ما سمي بمؤامرة يوليوز 1963.

في تلك الآونة، سيتكشف لنا أن الهدف من فبركة هذه التهم واعتقال قيادات المقاومة وجيش التحرير هو تغيير موازين القوى بالبلاد وإقصاء الأطراف الفاعلة والحاملة لمشروع دولة جديدة. فلم يكن القانون هو الذي يحرك الدولة بقدر ما كانت خطة لحل جيش التحرير بالجنوب بعد أن فشلت كل المحاولات السابقة في

تفكيكه من الداخل والانقلاب عليه، خصوصا وأننا كنا وفرنا ما يكفي من إمكانيات مادية ليستمر الجيش في التواجد بمراكزه ويحافظ على تماسكه.

كما هدفت خطتهم إلى تصفية حكومة عبد الله إبراهيم والإطاحة بمشروعها الوطني الواعد؛ هكذا استطاع القصر، بتحالف مع عدة أطراف أن يغير تدريجيا موازين القوى لصالحه. والحقيقة أنه لم يكن ثمة من ضرورة للزج بالملك في مثل هذه العمليات التي لعب فيها ولي العهد دورا محوريا. وقد بلغنا أن محمد الخامس لم يكن راضيا عما يقع.

هذه محطة مفصلية سيعرفها المغرب، إذ تمت فرملة تطور سياسي واقتصادي مهم كانت البلاد قد دشنته. وعوض أن تبقى الملكية مؤسسة للتحكيم ترعى التعدد السياسي بمعناه الحقيقي، راحت تستفرد هي بالحكم وتقصي القوى الوطنية الحية.

ثم جاء أول دستور عام 1962 ليكرس حكم الفرد ويضع السلطات كلها في يد الملك بمفرده، ويصيب بذلك مسلسل التعددية السياسية بعطب كبير لن يبرأ منه أبداً. ومنذئذ، سيسود الحزب الوحيد، السري، والفعلي، تحت غبار محاربة حزب وحيد مفترض (حزب الاستقلال)، وقناع تعددية مزيفة. وسيستمر هذا الحال عقودا، في زمن تغيرت فيه القيم ونشأت أوضاع جديدة نعيش اليوم نتائجها بشكل مؤلم.

[20]

المؤتمر الثاني للاتحاد الوطني
و"مؤامرة يوليوز"
المؤتمر الثاني والاختيار الثوري



حكومة عبد الله ابراهيم



شيخ الإسلام محمد بلعربي العلوي وهو يترأس المؤتمر:

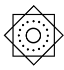
" سيدنا هو خالقنا "



شيخ الإسلام محمد بن العربي العلوي

وَاصَلْتُ نضالي السياسي مع حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية. وانتقلت بعد خروجي من المعتقل من مسؤول إقليمي بالجنوب المغربي إلى مسؤول وطني أهتم بحل المشاكل التنظيمية. في هذه الآونة بداية الستينيات، سد علينا النظام كل المنافذ وحرمنا من ممارسة حقنا في العمل السياسي كما ينبغي. وكان بهذه الطريقة يدفع القوى السياسية الحية بالبلاد إلى نوع من العنف العفوي الذي ينتج كرد فعل على عنف الدولة وتسلطها ضدا على كل قانون.

كانت الاحداث تتوالى بتسارع وتشابك يفرضان تفاعل الحزب معها بمواقف واضحة. هكذا سيعقد المجلس الوطني للاتحاد في أكتوبر 1960 اجتماعا حضره كل من عبد الرحيم بوعبيد وعبد الله ابراهيم وخرج بإعلان يقضي بانطلاقة الحملة



الوطنية من أجل إجلاء الجيوش الاجنبية بالمغرب. ولن يمر وقت طويل حتى خرج الحزب بقرار مقاطعة مجلس الدستور الذي سرعان ما انهار فور تأسيسه بمدة قصيرة.

وبعد وفاة محمد الخامس في 26فبراير1961 بأسبوعين، سيتقدم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بمذكرة إلى الديوان الملكي بهدف التوجه بالبلاد نحو بناء مجتمع مغربي مسؤول في ظل نظام ديمقراطي قائم على المؤسسات. وفي يوليوز 1961 سيتفجر الخلاف بين الجناح السياسي والجناح النقابي داخل الاتحاد على خلفية تدبير إضراب يونيو من نفس السنة.

كان لابد من انتظار المؤتمر الثاني للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، في شهر ماي 1962 للحسم في عدد من القضايا الأساسية المعلقة؛ فتطورات الوضع السياسي بالمغرب كانت تفرض إعلان مواقف واضحة وجذرية من الصراع الذي اشتد أواره. لكن قبل المجيء إلى محطة المؤتمر، تنامت الخلافات في البيت الاتحادي بسبب موقف المحجوب بن الصديق من الصراع السياسي الدائر في البلاد والأدوار الملقاة على الحزب والنقابة من أجل إدارته.

وانجرّ عبد الله إبراهيم عن حسن نية مع موقف المحجوب بن الصديق، فإيمانه بوحدة الطبقة العاملة هو الذي جعله يميل إلى موقف زعيم الاتحاد المغربي للشغل ولم يفطن إلا متأخرا لما ينطوي عليه ذلك الأمر من حقائق مؤلمة .إذ في الوقت الذي كان فيه المهدي بن بركة والشباب الاتحادي يؤمن بضرورة أن تكون النقابة واجهة من واجهات الحزب، كان المحجوب يذهب في الاتجاه المعاكس، ويرى أن الحزب هو الذي عليه أن يكون إحدى واجهات النقابة .والحال أن القضية في العمق كانت تتعلق بشكل أو بآخر بموقفين أو تصورين لأدوار النقابة يجعلانها حسب الحالات تلعب دورا سلبيا في الصراع أو تساهم مساهمة فعالة، بتعاضد مع الحزب،

في فرض موازين قوى وشروط سياسية غير تلك التي عملت الدولة على فرضها بقوة السلطة وبسلطة القوة.

وطفا هذا الخلاف على سطح المؤتمر الاتحادي الثاني الذي حضره شيخ الاسلام الفقيه محمد بن العربي العلوي بصفته رئيسا شرفيا وقال فيه كلمته الشهيرة "سيدنا هو خالقنا "، في رد على الذين يخصون الحسن الثاني بهذه العبارة.

ولم يتم تبني التقرير المذهبي الموسوم ب"الاختيار الثوري" الذي بعث به المهدي بن بركة. واعتمد بدلا عنه التقرير الذي أعده عبد الله إبراهيم، وسطر من خلاله التوجه العام السياسي والاجتماعي والاقتصادي. كما تمخض المؤتمر عن انتخاب كتابة عامة تولت قيادة جماعية للحزب كان من بين أعضائها بن بركة الذي سيتعرض لمحاولة اغتيال في 16 اكتوبر من العام نفسه في الطريق الرابطة بين الدار البيضاء والرباط.

كانت الرسائل تصل تباعا، وفيها كلها سعي لإخراس صوت القوى الوطنية الحية بالبلاد. في نفس الإطار ستتعرض المطبعة التي كانت تصدر صحافة الحزب للتفجير. وإزاء الآليات المتعددة لوضع دستور دجنبر 1962 بادرت اللجنة المركزية للحزب في منتصف نونبر إلى اتخاذ قرارها بمقاطعة التصويت عليه، قبل أن يعلن الاتحاد الوطني للقوات الشعبية عن مقاطعته للاستفتاء، سيرا على نفس الخط مع موقف الزعيم الوطني وبطل ثورة الريف، محمد بن عبد الكريم الخطابي، والشيخ محمد بن العربي العلوي.

مؤامرة يوليوز 1963

أفرزت سياسة الدولة في بداية الستينات ما عرف ب "مؤامرة 16 يوليوز 1963". وتعاطت السلطة مع القضية بتعسف وشطط كبيرين، إذ قامت بحملة اعتقالات

واسعة لم تقتصر على المتهمين وحدهم، وإنما طالت أعدادا كبيرة من المناضلين الاتحاديين في جميع أنحاء المغرب. أغلبهم لم يكن لهم علم لا من بعيد ولا من قريب بما سمي "مؤامرة" ل"قلب النظام". كذلك كان الشأن بالنسبة لقيادات الحزب. والمعلومات المتوفرة لدي تقول إن جماعة صغيرة وقفت خلف هذه العمليات. لكن الدولة انتهزت هذه الفرصة لتصفي حسابها مع الاتحاد ورموز حركة التحرير، فحوكم من حوكم، ونفي من نفي وشرد من شرد.

كانت العملية في الأصل مجرد ردود فعل من مقاومين ضد تصرفات القصر الملكي. غير أن الحسن الثاني استغلها إلى أبعد حد.

لقد تم إقصاؤنا منذ عام 1960 من السلطة ومن تحمل المسؤولية وأُبعِدنا من المشاركة في وضع دستور للبلاد يستجيب لتطلعات قواها السياسية الحية وجماهيرها الشعبية. وكانت النتيجة دستورا ممنوحا يضع كل السلط في يد الملك وحده، مع العلم أننا كنا نحن من دافع عن الشرعية، وخضنا كفاحا شاقا لإعادة الملك إلى عرشه عندما أبعدته سلطات الحماية.

كان جزاؤنا التهميش والدفع بنا إلى الظل، لذلك أرى أن عملية يوليوز 63 التي لم تتم، هي في المحصلة النهائية رد طبيعي على سياسة الدولة اتجاهنا، مما تجلت بعض مظاهره في التمردات المسلحة والاغتيالات التي وقعت في انحاء من المغرب إثر اعتقالنا في فبراير 1960.

ومن وقتها برز التفكير في عمل مسلح ضد النظام لكن من دون أن يملك أفقا استراتيجيا ولا حتى فكرة عن شكل النظام البديل.

بدأ كل شيء بتهييء خلايا وربط علاقات بضباط في الجيش كانت لهم صلة بالمقاومة ورجالاتها. كانت ثمة حالتان على الأقل، سأركز فقط على واحدة منهما

وهي بالتحديد مجموعة شيخ العرب ومومن الديوري اللذين ربطتهما معا رغبة واحدة هي الاطاحة بالنظام.

كان لمومن الديوري تأثير كبير على أحمد بن محمد بن ابراهيم أكوليز المعروف بشيخ العرب، المقاوم وضابط جيش التحرير المنحدر من قبيلة أكوليز بإقليم طاطا.كما كانت له صلات مباشرة بقواعد الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وبالفقيه البصري. ولم يتردد في الاتصال بالمهدي بن بركة إلا أنه لم يصل معه إلى نتيجة تذكر. وفي سبيل تحقيق أهداف المجموعة التي ظلت تعمل بشكل سري وبمنأى عن الجماهير.

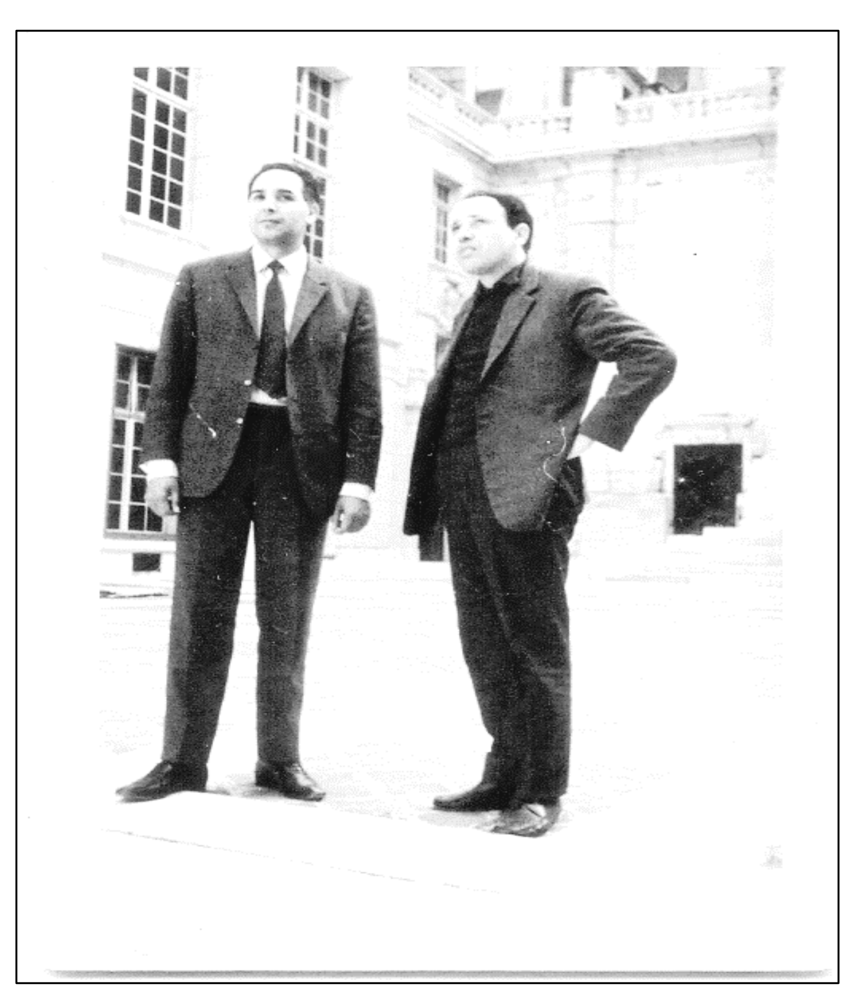
نسج الديوري علاقات مع عدد من المخازنية. كانت ثمة حاجة ملحة للحصول على أسلحة بأي ثمن، لذلك سيفتح الديوري خطّا مع ضباط أمريكيين في قاعدة المهدية العسكرية.

تم الاتفاق على أنواع من الأسلحة المطلوبة، وحدد مع الضباط الأمريكان موعد ومكان التسليم. وعندما حضر حسب الاتفاق، ألقت عليه المصالح الأمنية المغربية القبض. كانت المخابرات المركزية الأمريكية "لاسيا" قد أخبرت المخابرات المغربية بالعملية ككل. واعترف مومن الديوري بمجموعة شيخ العرب وحتى بعلاقاته مع بعض الاتحاديين وفي مقدمتهم الفقيه البصري.

كانت العملية، بالصورة التي انكشفت بها صيدا ثمينا. إذ سيرى فيها الحسن الثاني ملفا مهما قابلا للاستغلال إلى أبعد حد. وعوض تطبيق القانون واحترام مساطره في مثل هذه الوقائع كان القمع الشامل بكل ما حمله معه من تجاوزات.

[21]

"مؤامرة 63 "
والحكم عليّ بالإعدام غيابيا



محمد بنسعيد مع عبد السلام الجبلي في فرنسا
أواخر عام 1969

خَرَجْتُ إلى الجزائر في 8 دجنبر 1962 فارا من مطاردة البوليس المغربي لي. كنت في الدار البيضاء وكان البحث جاريا عني من أجل اختطافي. فالنظام الذي كان يحس بأن شيئا ما يتم تدبيره في الخفاء، ارتأى أن يستبق، وذلك بأن يختطف عددا من قيادات حركة التحرير حتى يعرف من أفواههم ما يهيؤونه في السر تحت وطأة التعذيب والاستنطاق.

لذلك قر قراري على الخروج من المغرب حتى تهدأ الأوضاع فأعود. كما أن الحملة النقدية الشرسة التي واجهنا بها دستور 1962 الممنوح أغضبت نظام الحسن الثاني. فقد كنا نستعمل قاموسا ذا حمولة نقدية قوية، من ذلك مثلا نعتنا للنظام بالفردي والإقطاعي والمستبد.

سافرت سرا من الدار البيضاء إلى وجدة، ثم عبرت إلى وهران وبقيت هناك إلى غاية مارس 1963.

كانت عودتي إلى المغرب بهدف واحد هو المواجهة أو على الأقل الحضور مع رفاقي في الجبهة. وقبل أن يقع ما وقع مما سمي ب"مؤامرة يوليوز 1963" عرفت عبر مصادري الخاصة بقرار الاعتقال.

كان الحسن الثاني سيسافر إلى باريس حين طلب منه الدليمي أن يسمح له بمباشرة الاعتقالات. إلا أن الملك طلب منه إرجاء ذلك حتى يعود من سفره.

أخبرت الفقيه البصري طالبا منه بإلحاح أن يغادر المغرب حتى لا تطاله يد البوليس. لكنه امتنع قائلا لي إن له اتصالات لا يمكنه أن يتركها ويخرج. وفعلا، ما إن عاد الحسن الثاني من فرنسا في السادس عشر من يوليوز حتى أصدر أوامره بشن حملة اعتقالات لم توفر أحدا، من الضالعين في العملية، كما من الأبرياء، وما كان أكثرهم. وقد تم استغلال اليوم الذي اختاره الاتحاد الوطني للقوات الشعبية للقيام بلقاءات وتجمعات في جميع أنحاء المغرب من أجل الدعوة إلى مقاطعة انتخابات المجالس البلدية.

وقع ماكنت أخشاه، إذ تم اعتقال الفقيه البصري وعمر بن جلون وحكم عليهما معا بالإعدام. ونظرا لأني كنت قد خرجت إلى الجزائر مرة ثانية، فقد كان مصيري مثل رفاقي وحكم علي أنا أيضا بالإعدام لكن بشكل غيابي.

لم يكن التنظيم على درجة من الإحكام، إضافة إلى أنه كان يفتقد إلى رؤية استراتيجية تؤمن له سبل تدبير المواجهة. نعم، كانت ثمة رغبة في الإتيان ببديل، أما ما هو هذا البديل... وأما ماهي ملامحه، وماهي وسائل بلوغه... فكانت كلها أمور في حكم الغائبة أو المغيبة.

والحقيقة أن الطريقة التي كُشف بها التنظيم، وما تميز به من تهلهل وعدم نضج دفعاني، وأنا بالجزائر، إلى مراجعات في الطريق الذي كنا نسير فيه...

هذا العنف، حتى لو كانت غاياته في الذهن نبيلة، هل يمكن أن يمثل حلاّ، أي سبيلا إلى بناء حالة مضادة له خاصة، عندما يكون بهذه الطريقة التي تشتغل بها مجموعة صغيرة في إطار من السرية، وبانفصال تام عن الجماهير الشعبية وعن قواعد الحزب وأطره؟

من يضمن ألا تتحول هذه "الوسيلة" إلى "نهج" و"غاية" في حل الخلافات، ليس فقط مع معسكر الأعداء والخصوم، بل أيضا داخل المعسكر الذي يحمل وينشد البديل؟ وهل يمكن أن يفضي كل ما وقع، إلى غير ما أفضى إليه؟

في الجزائر، وجدت نفسي مسؤولا من جديد عن مشاكل اللاجئين المغاربة. كان ثمة معسكر للتدريب على استعمال السلاح. ولم أجد بدّا، رفقة مولاي عبد السلام الجبلي، من تفكيكه. لقد كان صورة للفوضى في التعاطي مع قضايا كبيرة ومصيرية؛ حشد من المغاربة الذين يمارسون التجارة وبعض الأعمال الصغرى بوهران، ومن آخرين استقدموا من تيندوف... وجميعهم لا وعي سياسي لهم وليست لهم دراية بأبجديات الصراع القائم بين حركة التحرير الوطني وبين الاقطاع والاستبداد والتبعية ...هل بمثل هكذا تنظيمات يمكن خوض الصراع؟...

أحداث 23 مارس 1965
وعزلة النظام

كانت مجازر ومذابح مروعة تلك التي ارتكبها النظام في حق المتظاهرين من تلاميذ وطلبة. فقد أدى القمع الشرس والدموي للاحتجاجات إلى وقوع الكثير من الضحايا. هنا سيلعب الشهيد المهدي بن بركة دورا مركزيا في فضح ما وقع في وسائل الإعلام الغربية تبلورت على إثرها العديد من المواقف التي أدانت جرائم الدولة مما جعل

نظام نظام الحسن الثاني يعاني من عزلة كبيرة. وبحثا عن مخرج من هذه الورطة وامتصاص الغضب الشعبي العارم أوفد الملك مبعوثا خاصا إلى المهدي يفاوضه في شروط إمكانية عودته إلى المغرب، وطرح معه فكرة أن يتولى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الحقائب الوزارية الأساسية في الحكومة بما يعني أن يشارك العاهل المغربي في الحكم.

في السياق ذاته سيفتح النظام حوارا مع حزب الاستقلال وسيبدي الحسن الثاني مرونة كبرى وهو يصدر عفوا على المحكومين بالإعدام والمسجونين فيما سمي ب"مؤامرة يوليوز 1963".

وعطفا على هذه التطورات سعينا لإقناع الفقيه البصري بالخروج من المغرب حتى لا يقع مرة أخرى في فخـــاخ البوليس، ويبقى له خيار الدخول إلى البلاد وقتما شاء. وقد اقتنع هذه المرة بالفكرة.

زرت المهدي بن بركة في هذه الفترة في بيته بجنيف صحبة محمد اليازغي. وعبر لنا عن استعداده لقبول مقترحات الحسن الثاني والدخول إلى المغرب. لكن على أساس إحداث تغييرات تصب في اتجاه بناء نظام ديمقراطي تحكمه المؤسسات. كانت رؤية المهدي شاملة. إذ كان يضع نصب عينه الجزائر في أي تغيير محتمل، لذلك لم يقطع كلية مع هواري بومدين لقناعة لم أستطع أنأ أن أبدي اتجاهها غير التحفظ.

انقلاب يونيو 1965 وتبعثر الأوراق

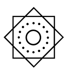
في لقائي بالمهدي بن بركة بجنيف أفصحت له عن موقفي من الانقلاب. إذ رأيت فيه ضربة قاسية لحركة التحرير الوطني بالمنطقة. واستفسرته عن السر في بعثه لهواري بومدين ببرقية تعبر عن علاقات التعاون المشترك. كان واضحا بما يكفي كعادته. فالانقلاب يدخل في سياق دولي يروم تصفية حركات التحرير الوطني بالعالم. لذلك ليس من الحكمة إعطاؤهم الفرصة للانفراد

بالجزائر وجعلها هي الأخرى تابعة للإمبريالية. وفعلا كانت الفوهات كلها موجهة إلى رموز التحرير من المهدي بن بركة إلى جمال عبد الناصر وسوكارنو ونكروما وسيكوتوري وموديبوكيتا وغيرهم ممن كانوا يشكلون كتلة عدم الانحياز أو القوة الثالثة في العالم.

لم أبدل قناعتي بأن الانقلاب في العمق هو ضربة قوية لحركة التحرير، وسرعان ما ستظهر نتائجه على أرض الواقع. لقد كان نظام أحمد بن بلة عقبة أمام النظام المغربي على اعتبار أن هذا الأخير كان مجرد تابع للامبريالية، في الوقت الذي كان فيه النظام الجزائري محسوبا على المعسكر الاشتراكي، وكان يشكل عامل ضغط دائم. غير أن انقضاض بومدين على الحكم عبر انقلاب عسكري غير المعادلة وبعثر الأوراق.

والحال أن هذا الانقلاب سيغطي تماما على أحداث مارس 1965 الدموية ويخفف عن نظام الحسن الثاني ما كان يشعر به من حرج دولي كما سيفك عنه تلك العقدة التي كان يعاني منها حيال نظام بنبلة.

كذلك كان؛ فسرعان ما تغيرت نظرة الحسن الثاني وعاد إلى نفس سياسته القديمة، الأمر الذي جعل السؤال قائما والحذر واجبا، في حال كان فتح باب الحوار مع الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وحزب الاستقلال، وإيفاد مبعوث خاص من الملك للمهدي بن بركة، وكذا ظهور نوع من الانفراج وبوادر مصالحة سياسية...في حال كان كل ذلك مجرد مناورات سياسية من قبل الحسن الثاني.



[22]

عندما قال عبد الرحيم بوعبيد
"بيننا وبين الحسن الثاني جثة بن بركة"
النظام المغربي يختطف بن بركة ويغتاله



محمد بنسعيد مع الراحل عبد الرحيم بوعبيد

لمْ يحسم المهدي بن بركة بشأن دخوله إلى المغرب بناء على طلب من الحسن الثاني الذي أوفد إليه مبعوثا خاصا لهذا الغرض. كان يعلق قراره هذا على ما سيتمخض عنه مؤتمر هافانا لدول عدم الانحياز وتضامن القارات الثلاث (إفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية). وكان المهدي، باعتباره رئيس اللجنة التحضيرية لهذا المؤتمر الأممي، يبذل جهودا مثمرة لانضمام دول وازنة من أمريكا اللاتينية إلى صفوف القوة الثالثة في العالم.

ولم يكن الشهيد المغدور غائبا عن لائحة أعداء الامبريالية الأوائل نظرا للدور الأممي الطلائعي الذي كان يضطلع به في التنسيق بين قوى كتلة عدم الانحياز، بالإضافة لدعمه المطلق لنضال الشعب الفلسطيني ضد الكيان الصهيوني الغاصب

والعنصري المسمى "إسرائيل"، وحضوره لمؤتمر الاتحاد العام لطلبة فلسطين الذي كان قد انعقد بالقاهرة.

ومثلما حصل في تصفية باتريس لومومبا جرت تحولات وتغيرات في إفريقيا.

كان انقلاب يونيو 1965 بالجزائر ذاته علامة على بداية اختلال موازين القوى في العالم عبر استهداف حركات التحرير الوطني. رأيت في الانقلاب أيضا فرصة سنحت لنظام الحسن الثاني لينفلت من عزلته ويسترد زمام المبادرة ويمضي قدما في نهجه لنفس السياسة السابقة. بل ستصل به الجرأة حد الإقدام على اغتيـــال زعيــم أممي في قامة المهدي بن بركة.

وهنا لابد من كلمة حق للتاريخ. إن الروايات في شأن تصفية المهدي لكثيرة. وهي تركز على أن أوفقير والدليمي يقفان وراء عملية الاغتيال التي هيأت لها أطراف دولية معروفة كان بن بركة يشكل مصدر إزعاج كبير لها فسعت للتخلص منه. والحقيقة أن أوفقير لا يمكنه أن يقدم على جريمة دولية خطيرة بهذا الحجم وبهذه المواصفات، لوحده ومن تلقاء نفسه، وخارج إطار الدولة المغربية.

أوفقير بالنسبة لي لم يكن غير أداة تنفيذية فقط. وإذا سلمنا بالرواية التي تجعل منه الفاعل الحقيقي قرارا وتخطيطا وتنفيذا فلماذا لم يتم تسليمه إلى القضاء الفرنسي بعد إدانته بالمؤبد؟ لماذا لم تتم معاقبته أو محاكمته من طرف نظام الحسن الثاني؟ إذا كان فعلا قد تصرف خارج إرادة وأوامر هذا النظام فلماذا وفر له هذا النظام نفسه كل شروط الحماية مضحيا بعلاقات صداقة متينة كانت تجمعه بأطراف دولية؟

كان خبر اختطاف بن بركة واغتياله قد نزل علينا كالصاعقة، وعم جو قاتم من الإحباط على الرأي العام المغربي والاتحادي المصدوم. فقد كانت الجريمة بحق ضربة قاسية لحزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

وعدَا القولة الشهيرة التي أطلقها عبد الرحيم بوعبيد "بيننا وبين الحسن الثاني جثة المهدي بن بركة "، فإنه لم تسجل أي ردود فعل قوية توازي حجم المصاب. كل ما كان هو مجرد تصريحات ضعيفة من هنا ومن هناك. أما الباقي فعبارة عن صمت مريب خصوصا من الاتحاد المغربي للشغل الذي لم يحرك ساكنا، ولا قام برد فعل، لا في تصفية بن بركة، ولا عقب أحداث مارس 1965 الدموية، ولا حين تعرض الحزب للقمع من طرف نظام الحسن الثاني.

في المقابل أبدى الرأي العام الفرنسي غضبا كبيرا اتجاه اقتراف الجريمة على الأرض الفرنسية. وتجلى ذلك في عناوين الصحف التي ترجمت ما خلفه الاغتيال من هزة قوية. وقد شاركنا من جهتنا في المعرض الذي أقامه حميد برادة بدار المغرب في فرنسا حيث عرض فيه صور جميع من تواطأوا على اغتيال المهدي بن بركة من مغاربة يتقدمهم أوفقير والدليمي ومن فرنسيين وصهاينة في جهاز المخابرات الإسرائيلي الموساد. وكما هو معروف. منذ ذلك الوقت لم يطو ملف الشهيد إلى اليوم في انتظار أن تكشف الأوراق وتعرف الحقيقة كاملة.

مرة أخرى: العنف ...
وسيناريوهاته المكرورة

كان على اغتيال المهدي بن بركة أن يضعنا أمام المرآة. فما حصل في أعقابه من صمت شبه عام يشير إلى أن اختلالات كبيرة تعتمل في صميم الحزب وفي منهجية العمل. لقد كان الحدث موجبا لإعادة النظر في الخط الذي يسير فيه الاتحاد من أجل وضع رؤية استراتيجية جديدة بناء على شروط الصراع في ذلك الوقت.

ومادام النظام قد تراجع عن مبادراته في خلق تسوية سياسية مع القوى الحية بالبلاد، وبلغت به الجرأة حد تصفية رمز وطني وأممي في قيمة بن بركة، فإن تغيير دفة سفينة

الحزب صارت مطلبا ملحا والسبيل الوحيد الذي بدا في تلك الآونة مناسبا ومفتوحا على المواجهة تمثل في صيغة حزب ثوري تقدمي جماهيري.

في هذا الإطار فتحنا مع عمر بن جلون النقاش حول هذه المسألة وأخبرنا بأنه بصدد تهيئ أرضية(مذكرة) مناسبة يعيد خلالها الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ترتيب أوراقه من جديد وخوض الصراع بنفس مختلف وبرهانات أخرى تتصدى للاستبداد المستقوي بتغيير موازين القوى الدولية لصالح الامبريالية خصوصا بعد هزيمة 67 واغتيال عدد من زعماء التحرير في العالم. إلا أن الفقيه البصري سينزل بثقله من أجل بقاء الحال على ما هو عليه في الحزب إضافة إلى موانع أخرى داخلية.

حين خرج الفقيه البصري من المغرب لم يذهب إلى فرنسا وفق ما كان مطروحا كاحتمال أقوى بل حل معنا بالجزائر وكنا قد فتحنا نقاشا حول مسالة العنف المصطبغ بالسرية مع المهدي قبل اغتياله فجمعتنا ذات القناعة وتوافقنا على ضرورة الابتعاد عن هذا النهج وعدم تشجيعه لأنه لا خير يأتي من ورائه. إلا أن طرقنا لنفس الموضوع أنا وعبد السلام الجبلي مع الفقيه لم يفض إلى شيء إذ رفض أن يتخلى عن العنف الذي كان يرى فيه الوسيلة الوحيدة لمواجهة نظام الحسن الثاني.

والحقيقة أن وراء اختياره ذاك لم يكن الفقيه يفعل سوى الضغط على هذا النظام ليحصل على تنازلات منه يكون هو المستفيد منها. أما خوض الصراع في كليته في إطار حزب ثوري جماهيري يروم تغيير الأوضاع جذريا فلم يكن هو متحمسا له لكونه يتطلب نفسا طويلا وتدبيرا عقلانيا، وخصوصا وضوحا في الأهداف وفي الوسائل الموصلة لتحقيقها.

ثم، ماذا كانت النتيجة؟ لقد أعيد تكرار سيناريو يوليوز 1963 بصيغ أخرى. ففي 1969 سيشن النظام حملة اعتقالات واسعة في صفوف مناضلي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية بعد أن اكتشف وجود تنظيمات مسلحة سرية بأنحاء من المغرب.

وشملت الحملة محمد الحبيب الفرقاني نفسه وأكثر من 300 مناضل. أكثر من هذا سيختطف النظام كلا من سعيد بونعيلات وأحمد بن جلون من العاصمة الاسبانية مدريد. وسنة بعد ذلك ستقع محاكمة مراكش التي ذهب ضحيتها حوالي 170 شخصا منهم من صدرت في حقهم أحكام بالإعدام.

كان الفقيه البصري يقف خلف كل هذه التنظيمات. وكان الحزب ومناضلوه يدفعون

ثمن توجه ثبت عدم نضجه ولا جدواه في الصراع مع نظام قمعي متسلط مثل نظام الحسن الثاني. ومع ذلك استمر الفقيه في نهجه دون أن يعبأ بالنتائج والتداعيات السلبية لهذا النوع من العمليات.

ثم كانت أحداث مولاي بوعزة 1973 بنواحي خنيفرة سيناريو آخر يعيد نفس المأساة ويوقع ضحايا آخرين منهم من حكم عليه بالإعدام ونفذ في حقه، ومنهم من لم تكن له صلة بالموضوع نهائيا ودفع ثمن شيء لم يقترفه.

أما من جهتي فقد حسمت بمعية عبد السلام الجبلي في أمر هذا النهج وبلغ الخلاف بيننا وبين الفقيه حد القطيعة والخروج من الجزائر عام 1967.



القائد الشهيد عمر بنجلون

[23]

سنتان من المعالجة النفسية، حكاية اسم مستعار والخروج من الجزائر إلى فرنسا







الفقيه محمد البصري ///// محمد بنسعيد



محمد بنسعيد أثناء متابعته لدروس اللغة الفرنسية بجنيف
ضمن مجموعة من جنسيات مختلفة

بَلَغَ الخلاف ذروته مع الفقيه البصري وانتفت كل إمكانية لنواصل العمل سوية ونسير في نفس الطريق. وكان علي أن أسمح، متخليا عن كل شيء، وأغادر الجزائر. ذلك ما سيقع فعلا عام 1967. لم أخرج لوحدي، بل رفقة صديقي مولاي عبد السلام الجبلي، وكانت الوجهة كما هو مفترض فرنسا، التي وصلتها وأنا في حالة إحباط تام. فقد بدا لي أن كل شيء انتهى إلى غير ما كنا نريد ونتوقع ، والشعور بالهزيمة ينهشني من الداخل ويغمرني حتى الصميم.

أبعْد كل هذه السنوات والعقود من النضال ضد الاستعمار والاستبداد ينتهي بنا المطاف إلى هذا الطريق المسدود؟ كان صعبا علي أن أتقبل هذا الأمر: كل الأبواب أصبحت موصدة، العمل السياسي بالمغرب شبه منتف ويمارس في جو من الرعب الذي يبثه نظام الحسن الثاني بقوة الرصاص، الأحزاب السياسية اختارت الصمت



محمد بنسعيد حبيب يوسف وزوجته زينب

باريس / 1965

ولم يعد يسمع صوت لأي زعيم سياسي، وإعـــادة ترتيب الأوراق داخل الاتحاد الوطني للقوات الشعبية لم تنجز، عدد من الرفاق اغتيلوا غدرا وفي طليعتهم الشهيد المهدي بن بركة. وحتى هوامش المناورة التي أتاحتها لنا إقامتنا بالجزائر تقلصت إلى الحد الأدنى بسبب تعنت الفقيه البصري واختياراته غير الواقعية ولا المبنية على رؤية استراتيجية، ولم يبق أمامنا سوى تجريب أفق جديد هو فرنسا لكن بعد محنة شخصية سأمر بها.

كان لابد من الحسم مع الحزب فيما يخص مستقبله السياسي، لذلك سيجمعنا أنا وعبد السلام الجبلي لقاء عاصف في أواخر الستينات مع القيادة الاتحادية بفرنسا. كان المراد من اللقاء المصالحة بيني وبين الفقيه البصري. كان اللقاء ساخنا، وقد حضره كل من عبد الرحيم بوعبيد وعبد الرحمان اليوسفي وحسن لعرج، وانصب النقاش فيه على ضرورة صياغة خط سير جديد للاتحاد، إذ ليس من المعقول أن يستمر في تبني سياسة غامضة مزدوجة، عندما يمارس في الظاهر العمل السياسي ويدعم في الباطن مغامرات العنف التي يتولاها الفقيه البصري.

لقد طرحنا مرة أخرى اختيار حزب ثوري تقدمي له التصاق بالجماهير الشعبية، وحتى إذا ما كان ثمة تبني لاختيار العنف فيجب ألا ينحصر في فئة قليلة من احتياطي المقاومين السابقين بل يكون قائما على المشاركة الشعبية لقواعد الحزب.

غير أن هذا الطرح لم يرق لقيادة الاتحاد وقتذاك التي مالت إلى طرح الفقيه البصري، وهو الأمر الذي جعلنا ننسحب من اللقاء ونفكر في إيجاد إطار سياسي جديد ننتظم داخله.

ولن يمر وقت طويل حتى دفع الاتحاد مرة أخرى ثمن هذه الازدواجية والغموض اللذين كان يتبناهما. ولن يبدأ في تحديد موقفه بشكل جدي سوى بعد أحداث مولاي بوعزة، نازعا عنه لبوس الازدواجية التي انتقدناها فيه. أما عبد الله إبراهيم، والحق يقال، فكان يرفض العنف جملة وتفصيلا.

شهران في مصحة للأمراض النفسية بجنيف

لا أدري ما وقع لي بالتحديد، أقرأ الجريدة وفي اللحظة نفسها أنسى كل ما قرأت فيها من أخبار... ما من حدث يمر بي إلا ويتلاشى في الذاكرة وكأنه لم يكن، وفي الليل ينتابني السهاد ويخاصمني النوم، وبدون إرادة مني يمر أمامي شريط من أغلب الأحداث الصعبة التي عشتها في المغرب وخارجه، شريط متسارع لا أملك أن أوقفه ولا أعرف كيف أتعامل مع صوره الطارئة والمتزاحمة. كان علي أن أبحث عن مخرج لهذه الحالة، ولكن كل الفحوصات التي أجريتها لم تكشف وجود أي أثر لمرض عضوي. كان المشكل يتعلق بوضعي النفسي.

في أكتوبر 1967 أخذني عبد الرحمان اليوسفي إلى مصحة للأمراض النفسية تقع نواحي العاصمة السويسرية جنيف متخصصة في معالجـة أمراض فاقدي الذاكرة، ولم أكن واحدا منهم؛ فأنا أتذكر حياتي الماضية، لكن المشكل الذي أعاني منه يرتبط بنسيان ما يقع لي في الحاضر، كأن ذاكرتي وحافظتي صارتا ترفضان أي مزيد...

كان شريط الأحداث الذي يداهمني كل ليلة ويلقي بي في محنة نفسية لا تطاق، كان علي أن أخضع لراحة تامة، أن أبتعد عن أي نشاط سياسي، وأن أهتم بنفسي أكثر. وقد ساعدني على ذلك دروس اللغة الفرنسية التي كنت أتلقاها في تلك الفترة، إذ بفضلها بدأت أسترجع عافية ذاكرتي شيئا فشيئا. كانت ثمة في المصحة طرق علاجية ساهمت هي الأخرى في إنعاش ذاكرتي وتجاوز محنتي، ومنها ألعاب رياضية متنوعة وأعمال يدوية كنا نمارسها بشكل يومي، إضافة طبعا إلى العناية الطبية وما تعنيه في بلد مثل سويسرا. وقد استمر علاجي النفسي مدة سنتين كاملتين.

في تلك الفترة، في فرنسا، واعتبارا لأن الوقت كان متاحا أمامي، سجلت نفسي في

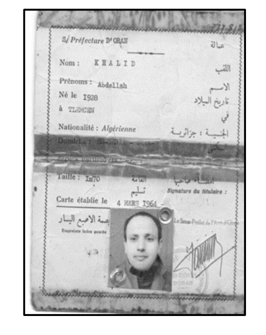
جامعة "فانسين"، المنشأة بضواحي باريس من طرف رئيس الحكومة إدغار فور بعد أحداث 1968،حيث درست مادة التاريخ والجغرافيا. بعد ثلاث سنوات من الدراسة حصلت وفق نظام النقط بالجامعة على ثلاثين وحدة من القيمة (30 unités de valeur)، وهو ما أهلني لنيل الإجازة. لم أكن حاصلا على باكالوريا شعبة دراسية من الشعب العصرية، لذلك دخلت مدرسة خاصة بتوجيه من التهامي الزموري، المناضل الاتحادي الذي كان يدرّس بنفس المدرسة، وكان برفقة المهدي بن بركة لحظة اختطافه في باريس، وكان أيضا صديق المستشرق الفرنسي المعروف جاك بيرك، وقد انتهى به المآل إلى انتحار مأساوي. كان الهدف إيجاد معادل يؤهلني لولوج الجامعة، وهو ما وقع فعلا حيث انكب اهتمامي الجامعي على موضوع المقاومة المغربية، وتلقيت وثائق هامة من المغرب سأعتمد عليها فيما بعد في كتابة "صفحات من ملحمة جيش التحرير بالجنوب المغربي"، كما استفدت من وثائق المقاومة المغربية التي تغطي سنوات الخمسينات، وقد كانت موجودة ومتاحة للباحث بالمكتبة الوطنية بفرنسا.

خالد عبد الله...
حكاية اسم مستعار

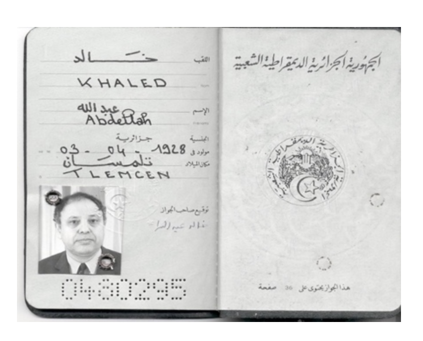
حزت على شهادة الإجازة في التاريخ والجغرافية من جامعة "فانسين" باسم خالد عبد الله، الاسم الذي عشت به طوال مدة إقامتي بفرنسا. لم يكن اسما حركيا كما هو الحال في عالم السياسة، وخصوصا مثلما الأمر في دول العالم الثالث، بل كان عبارة عن هوية شخص جزائري مزداد بتلمسان، اضطرتني الظروف لحملها وأنا أخرج إلى فرنسا. لذلك لم أكن لاجئا مغربيا بحسب هذه الهوية الجديدة وإنما مهاجرا جزائريا. أوراق الإقامة، الوثائق التي أدليت بها لدى دخولي إلى مصحة الأمراض النفسية بجنيف، رخصة السياقة، جواز السفر كلها كانت باسم خالد عبد الله المغربي صاحب الجنسية الجزائرية المزورة.

وحتى أحصل على إقامة لمدة عشر سنوات، نصحني أحد العارفين بهذه الأمور، بالحصول على عقد عمل من السفارة العراقية، وهو ما تم فعلا، لكنني حين تقدمت إلى السلطات الفرنسية بالأوراق اللازمة، جاءني الرد بالسلب. كانوا يعرفونني، وقالوا لحميد برادة «قل لبنسعيد آيت إيدر إننا نعرفه وسنمنحه الإقامة بشكل سنوي". وفي الاستدعاء لأخذ الإقامة السنوية، كتبوا اسم "خالد عبد الله بنسعيد آيت إيدر".

كانت السلطات الفرنسية تراقبني من بعيد دون أن تشعرني بذلك، ولم أحس يوما بأي مضايقة، بل كنت أعيش وأمارس حياتي بكل حرية. وحتى عندما كان الحسن الثاني يزور فرنسا، فإن هذه السلطات كانت تعتمد نقل المعارضين المغاربة، بمن فيهم حميد برادة، إلى أماكن بعيدة عن تواجده، ويتركونني أنا وعبد السلام الجبلي في حالنا، بالرغم من معرفتهم بهويتنا الحقيقية. أما هوية خالد عبد الله فقد خلعتها بمجرد دخولي المغرب عام 1980، وما زلت أحتفظ بها في أدراج مكتبي.


S/Préfecture D'ORAN
Nom : KHALID
Prénoms : Abdellah
Né le 1928
à TLEMCEN
Nationalité : Algérienne
Taille : 1m70
Carte établie le 4 MARS 1964


REPUBLIQUE ALGERIENNE
بطاقة التعريف الوطنية
CARTE NATIONALE D'IDENTITE
N° 733818


الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
خالد
KHALED
عبد الله
Abdellah
جزائرية
03-04-1928
تلمسان
TLEMCEN
0480295



[24]

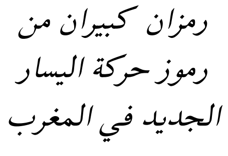
تجربة " 23 مارس"
ومشكل الصحراء المغربية

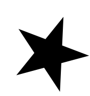


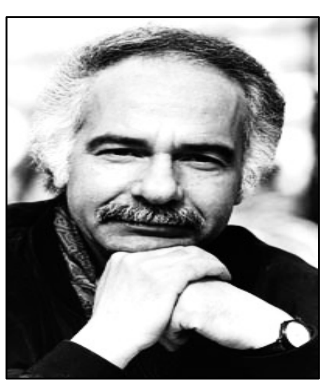
بمناسبة استجواب مع مجلة "جون أفريك" (أبريل 1980) أجراه الصحفي حميد برادة مع محمد بنسعيد قبيل عودته للمغرب.

في الصورة من االيمين إلى اليسار: محمد بنسعيد، حميد برادة، محمد المريني، محمد حربي(الجزائر) ومحمد الحبيب طالب

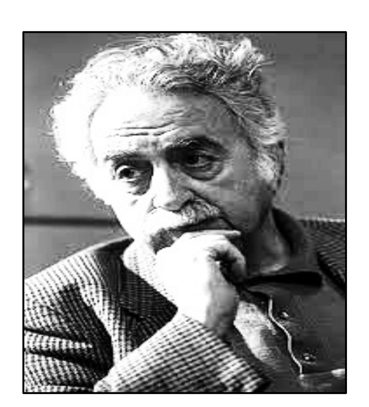








عبد اللطيف اللعبي



الفقيد الراحل ابراهام السرفاتي

كَانَ من ثمار الحرية التي كنا ننعم بها في فرنسا أننا مارسنا العمل السياسي وفق الرؤى السياسية التي كنا نحملها. لم يضيق علينا أحد ولا حاسبنا على أفكارنا. ومادامت العلاقة قد انفرطت مع الاتحاد الوطني للقوات الشعبية إثر اللقاء الساخن مع قيادتها والفقيه البصري، فقد كان صف اليسار الجذري هو الموقع الذي يناسبنا أكثر.

كانت البداية من مجلة "أنفاس" التي وقف وراءها عبد اللطيف اللعبي. أصدرنا العدد الأول باللغتين الفرنسية والعربية. لكننا لم نستمر بسبب الخلاف مع الرفاق في منظمة "إلى الأمام " حول الموقف من قضية الوحدة الترابية للمغرب، وذلك رغم الجهود المخلصة التي بذلها من هنا وهناك عدد من الرفاق على رأسهم رفيقنا الفقيد أبراهام السرفاتي.

اتصل بي أحمد حرزني بباريس وعرض علينا المشاركة في تشكيل منظمة" 23 مارس" وهي منظمة سرية سوف تنشط بالمغرب وفرنسا اتفقنا على جملة من الأمور. وما إن أتى على ذكر رغبته ورفاقه في الاستعانة بخبرة رجالات المقاومة المغربية حتى أوقفته محذرا. قلت له بصريح العبارة إن السير في هذا الطريق محفوف بالمخاطر وبالفخاخ. أغلب المقاومين الأنقياء الذين أعرفهم إما ماتوا أو "دخلوا سوق راسهم" وما تبقى منهم يبحث لنفسه عن نشاط ما، فهم "ملغّمون" ويتحركون في دوائر كلها غموض في غموض.

لم ينصت لنصيحتي أو بالأحرى لم يقدرها حق قدرها. وذهب هو وبعض الرفاق ضحية هذا النوع من العلاقات حينما ضبط أحدهم وبحوزته سلاح في أكادير، واعتقل عدد من أعضاء جماعته التي عرفت باسم "لنخدم الشعب" في أوائل السبعينات. وفر متابعون آخرون غيرهم من 23 مارس إلى الجزائر حيث أعددنا لهم جوازات سفر مزورة واستقدمناهم إلى فرنسا.

كان علينا إيجاد لسان حال ناطق بأفكار تنظيمنا السياسي لذلك لجأنا إلى كاتب وصحفي فرنسي هو ألبير بول لونتان الذي ستربطنا معه منذئذ علاقة صداقة ورفاقة، وأصدرنا جريدة" 23 مارس" باسمه لأن قانون النشر في فرنسا ينص على ضرورة أن يكون المنشور الإعلامي باسم شخص من جنسية فرنسية.

كان عدد من الرفاق في هيئة تحرير الجريدة أذكر منهم الفقيد رشيد سكيرج وأحمد الحجامي والعربي مفضال ومحمد الحبيب طالب... وكنت أنا من يرقن مواد الجريدة على الآلة الكاتبة. كما كنت المكلف بتوزيعها بنفسي على أكثر من ثلاثين فرعا للطلبة بفرنسا وبعث نسخ منها إلى الأحزاب السياسية المغربية وأيضا إلى الأحزاب التي لنا معها علاقات سياسية وإيديولوجية بالمشرق العربي.

وعلى ما أذكر، صدر العدد الأول عام 1973.واستمر الصدور بوتيرة شهرية امتدت إلى غاية 1979. وطيلة هذه السنوات أخرجنا 67 عددا كانت كلها ذات منزع انتقادي

حاد لسياسة نظام الحسن الثاني. وبالرغم من أن كل أعضاء المنظمة كانوا يحملون هويات جزائرية مزورة ،لم نوقر النظام الجزائري، بل كنا نوجه له انتقادات لاذعة فيما يخص موقفه من الصحراء المغربية وافتعاله لمشكل يعاكس به الوحدة الترابية للمغرب.

مشكل الصحراء المغربية

في أواسط السبعينات، وأظن ذلك كان عام 1974 زارني محمد الوالي في بيتي بباريس. والوالي سيصبح فيما بعد من قياديي جبهة البوليساريو. دار النقاش بيني وبينه حول مشكل الصحراء المغربية وضرورة إيجاد مخرج لها. ولم ينحرف حوارنا عن مدار مغربية الصحراء لأنه في ذلك الوقت لم يكن مشكل الانفصال مطروحا بأي حال من الأحوال. أبديت له استعدادنا لمساعدته ورفاقه بالوسائل الضرورية من أجل تحرير الصحراء من يد الإسبان وإلحاقها بأرض الوطن. وكان هو يطمح إلى فعل شيء ومستعدا للوقوف إلى جانب الجيش الملكي إذا ما رأى النظام المغربي الدخول مع اسبانيا في مواجهة مباشرة لتحرير الصحراء المغربية وذلك بتعبئة شباب الأقاليم الجنوبية.

اتفقنا على معاودة اللقاء وتعميق النقاش حول السبل الكفيلة بتحرير الصحراء. لكنني لم أره مرة أخرى منذ تلك اللحظة. وهو نفسه منذ أن دخل إلى الجزائر لم يعد بإمكانه مغادرتها بسبب منع من الجزائريين.

وقد لعب الفقيه البصري دورا سلبيا في هذا الاتجاه إذ ساهم في التغرير بالشباب الصحراوي الذي استقطبه النظام الجزائري لتبني أطروحته. وكان يهدف من وراء ذلك إلى ضرب نظام الحسن الثاني بهؤلاء الشباب.

لم تكن الجزائر وحدها تدعمهم، فنظام معمر القدافي قدم لهم من الناحية المادية واللوجستيكية دعما أكبر. وكانت تجمع الفقيه البصري بحاكم ليبيا علاقات متينة على اعتبار أن كلا منهما كان يرى في نفسه وفي صاحبه أكبر ثوار العالم.

كان محمد الوالي من أبناء الصحراء المغربية الذين استقدمتهم صغارا عام 1957 إلى الدار البيضاء للدراسة. وسعيت أنا وحسن لعرج والفقيه البصري في تلك الآونة لدى بنيس مدير المدرسة المحمدية ليقبلهم ويتكفل بهم. واتصلنا أيضا من أجل إعالتهم بعامل الدار البيضاء في ذلك الوقت الحاج أحمد بركاش لتساهم العمالة في احتضانهم وتمويل نفقاتهم. وقد أسكناهم في دار التوزاني بعين الشق، وتدرجوا في دراستهم، فمنهم من توقف ومنهم من بلغوا الجامعة وانخرطوا في الحياة السياسية وانضموا إما إلى الاتحاد الوطني للقوات الشعبية أو حزب التقدم والاشتراكية. كما كان منهم من انتظم في أسلاك الدولة المغربية.

وفي عام 1970/1969 ستقوم حركة احتجاجية بمدينة العيون بتحريض القبائل الصحراوية يقودها أحد هؤلاء الطلبة من الشباب الصحراوي يدعى بصير. وكان من قبل قد أنشأ جريدة بتادلة يدافع فيها عن الصحراء المغربية. وقد تصادفت حركته مع اختطاف النظام المغربي لكل من سعيد بونعيلات وأحمد بن جلون من مدريد الأمر الذي دفع السلطات الاسبانية، وكرد فعل منها، إلى قمع هذه الحركة الاحتجاجية بعنف كبير واختطفت متزعم الحركة بصير الذي لم يظهر له أثر بعدها. والراجح أن يكون الأسبان قد أقدموا على إعدامه.

كانت فكرة تحرير الصحراء إذن حاضرة بقوة في تفكير هؤلاء الطلبة الصحراويين وقاموا بشأنها باتصالات مع زعماء الأحزاب السياسية التقدمية المغربية لكن الوضع الذي كانت عليه هذه الأحزاب في تلك الفترة وعدم قدرتها على إتيان أي حراك من أي نوع جعلها لا تستجيب لهؤلاء الشباب.

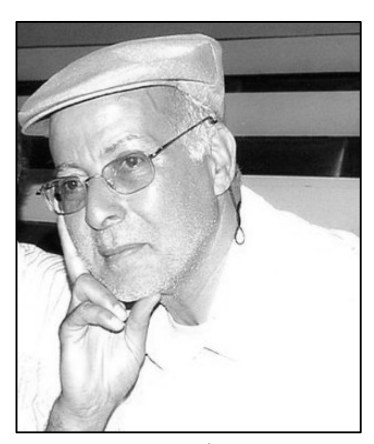
كان المغرب حينها يعيش تحت نير سنوات الرصاص. ولا أحد من الزعماء السياسيين كان يستطيع أن يرفع رأسه. الكل خائف لذلك بدا مستحيلا أن يفكر أحد في دعم الطلبة الصحراويين الذين كانوا يريدون حمل السلاح في الصحراء لتحريرها من الغاصب الاسباني. ولم يبق أمامهم إلا التعويل على أنفسهم فقاموا بتظاهرة في طانطان قابلها النظام المغربي بقمع شرس تحت إمرة القائد الممتاز للمنطقة الذي جاءه الأمر بذلك مباشرة من أوفقير وتم اعتقال عدد من المتظاهرين فيما فر آخرون إلى موريتانيا وتيندوف وكان من جملة الهاربين محمد الوالي.

حاولت الجزائر الاستثمار في ذلك الوضع لصالحها بافتعال مشكل تستغل فيه الشباب الصحراوي؛ إذ كانت لها حسابات اقتصادية وسياسية كتصدير حديد غار جبيلات بتيندوف الذي يمر عبر وهران وتيندوف، ويرفع كثيرا كلفة نقله بسبب طول المسافة بين هذين الموقعين، والتي تتجاوز 1300 كيلومترا، فيما لايفصل تيندوف عن المحيط الأطلسي، مرورا عبر الصحراء المغربية سوى 200 كيلومترا.

ولذلك سعى الجزائريون إلى إيجاد ممر إلى الواجهة الأطلسية. وليس أفضل لهم من اقتطاع جزء من صحراء المغرب كما فعلوا بتيندوف، لكن هذه المرة عبر خلق أطروحة الانفصال واختلاق كيان جديد لا حول له ولا قوة يأتمر بأوامرهم وينفذ أجندتهم. ولم تكن أطماع الحاكمين في الجزائر تقف عند هذا الحد، بل كانت تطيل عنقها نحو فوسفاط المغرب؛ فقد حصل تواطؤ مع الأسبان يقضي بدعم أطروحة الانفصال على أن يتم استغلال الفوسفاط بشكل مشترك بينهما ولمدة خمسين عاما بعد أن تقوم "الحكومة الصحراوية".

خلف هذه المخططات كان يقف وزير الاقتصاد الجزائري آنذاك عبد السلام بلعيد الذي كان يريد، هو وبومدين، أن يجعلا من الجزائر "يابان إفريقيا". وكانت هذه من أوهام الحاكمين في الجزائر الذين كانوا يرون أن المغرب من الضعف إلى الدرجة التي تسمح لهم بتحقيق هذه المطامع.

وللأسف الشديد غلب على العلاقات بين البلدين التنابذ ومنطق التآمر مع المستعمرين بدل التعاون المشترك وتكوين جبهة اقتصادية قوية يتم في إطارها الاستغلال المشترك لثروات البلدين من بترول وغاز وحديد وفوسفاط وغيرها. وكانت الكلمة في الأخير للتفكير الأناني الذي غذاه الحكم الفردي هنا وهناك فجعل كل طرف يسابق الزمن للاستفراد بزعامة موهومة لن تجر عليهم جميعا وعلى شعوبهم سوى الكوارث.



الرفيق علال الأزهر



الرفيق الفقيد عبد السلام المودن

[25]

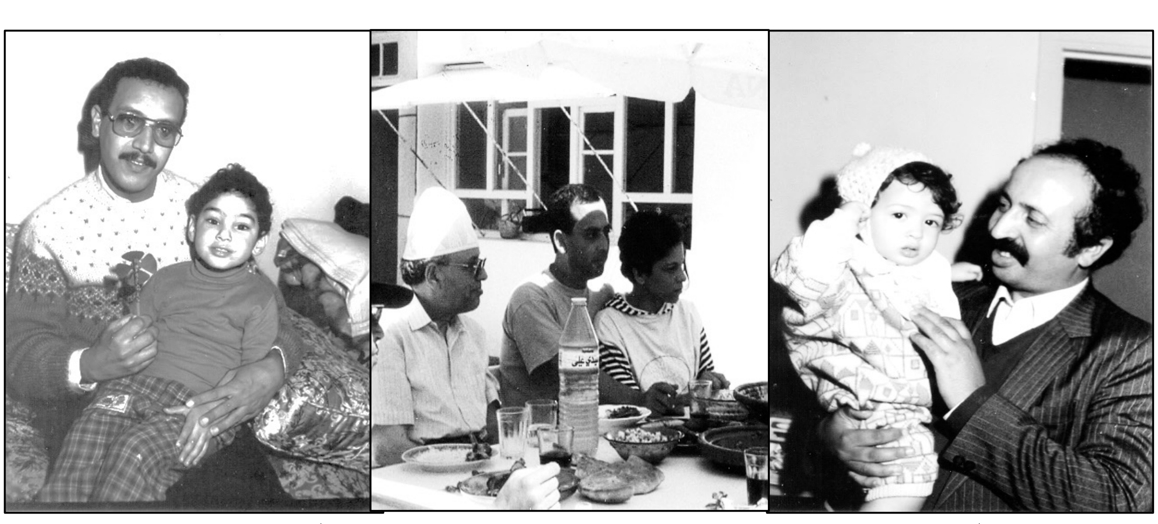
تجربة " أنوال"
ومعركة النضال الديمقراطي



العودة إلى الوطن من مطار باريس

من اليمين: محمد بنسعيد، رشيد سكيرج، العربي مفضال، محمد المريني

محمد الحبيب طالب ومصطفى مسداد/ 8 مارس 1981



مصطفى مسداد وابنته سارة

في ضيافة محسن عيوش
وزوجته حورية شريف حوات

مصطفى بوعزيز وابنه صلاح

مُنْذُ اتخاذنا قرار الدخول إلى المغرب أتممنا كل الترتيبات في اتجاه تهيئ أجواء هذا الدخول والتأسيس له وفق رؤية استراتيجية؛ فكان الحزب..."منظمة العمل الديمقراطي الشعبي" التي أنشأناها بعد دخولنا إلى البلاد بسنتين... وكانت الجريدة، جريدة "أنوال".

وبالفعل ما إن أوقفنا صدور جريدة "23 مارس" في الخارج حتى طرحنا البديل. ولم يكن سوى جريدة "أنوال".

كنت أنا من اقترح هذا الاسم الذي سرعان ما لاقى تجاوبا من طرف الرفاق. فأنوال رمز للمقاومة الحقيقية ولانتصار حركة التحرير الوطني التي قادها محمد بن عبد الكريم الخطابي بالشمال ضد الاستعمار الاسباني.

هكذا ستمهد "أنوال" لتموضعنا داخل الحقل السياسي المغربي عبر حملها لخطنا السياسي ولشكل معارضتنا للنظام. وكنا من فرنسا قد كلفنا عبد اللطيف عواد، وهو أستاذ جامعي بالتقدم إلى السلطات هنا بطلب إنشاء جريدة. وجاءت الموافقة لاعتبارات سياسية ذكرتها من قبل أهمها دعوة النظام لنا للدخول إلى البلد والمشاركة في الحياة السياسية.

صدر العدد الأول من "أنوال" في شهر نونبر من عام 1979. وكان الصدور في البداية بوتيرة شهرية. كنا نهيء المواد الأساسية والافتتاحية من باريس ويتكلف الرفاق في هيئة التحرير بالمغرب بإضافة مواد أخرى- ومنهم طالع سعود الأطلسي ومحمد فكري وابراهيم موطا ومحمد نجيب كومينة وبرادة احميمة والفقيد محمد برني وجليل طليمات ومحمد بلوط، قبل أن تتعزز في مابعد بالتحاق أحمد الحجامي ومحمد الحبيب طالب والعربي مفضال والفقيد عبد السلام المودن ،وقبل أن يتعزز الطاقم الإداري بالتحاق الرفيق الفقيد كوار الحسين كمدير نشر في الوقت المناسب، وهو الذي سيلعب من ذلك الموقع أدوارا حاسمة في تحصين الجريدة وإعدداها للمواجهات الكبرى التي كانت تنتظرها.

ومن ضمن ما حققته "أنوال" في السنوات الأولى أنها خففت من غلواء التوجس والارتياب من طرف اتحاديي الاتحاد الاشتراكي اتجاهنا. إذ تصادف دخولنا في مارس 1981 مع اعتقال عبد الرحيم بوعبيد على خلفية موقفة من الاستفتاء وتدويل قضية الصحراء المغربية.

قمنا بحملة تضامنية واسعة مع هذا الحزب حتى صارت جريدتنا هي لسان حال الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية والناطق الرسمي بمواقفه بعد توقيف جريدة الحزب. أكثر من ذلك، ذهبنا إلى حد نشر الرسالة التي بعثت بها أطراف من النظام في طرد ملغوم إلى محمد اليازغي. وأذكر أن محمد الحبيب طالب قد اعترض لكنني أصررت على نشرها. وكل ذلك، بالرغم من أني كنت طلبت من عبد الرحيم بوعبيد

أن تطبع "أنوال" في مطبعة الاتحاد بدل مطبعة فضالة بالمحمدية حيث كنا نطبعها فيها، وكان قد رفض بقوة مثيرة دون أن تكون ثمة دواعي تبرر هذا الرفض ما دمنا سنؤدي تكاليف الطبع.

تميزت "أنوال" بكونها الجريدة الوحيدة التي حملت على عاتقها نشر كل ماله علاقة بموضوع الاعتقالات السياسية بالمغرب. نشرنا كل اللوائح التي كنا نحصل عليها سواء بأسماء المعتقلين أو المختطفين أو المختفين قسريا أو المحكومين بالإعدام أو مجهولي المصير.

من جهتي، ما زلت أحتفظ بهذه اللوائح عندي في البيت. وقد كلفت في السياق نفسه صحافيا من مدينة مراكش هو عبد الله رشد بإنجاز تحقيقات حول المقاومين المغاربة وحول من اختطف منهم على وجه الخصوص. والحقيقة أنه لم تكن جريدة أخرى تجرؤ على فضح جرائم النظام في هذا الباب مخافة المصادرة والمنع.

وبدا أن السلطات تغض الطرف عن هذا النهج النقدي الذي دشنا به حضورنا الإعلامي. وكنا نعتبر أن اهتمامنا بهذا الموضوع يدخل في إطار النضال من أجل الديمقراطية وإحراج النظام. ومع ذلك لم يكن هذا النظام يفوت الفرصة دون أن يضيق علينا سياسيا ويحاربنا فيما يخص الإعلانات مراهنا على حرماننا من مداخيل الإعلانات التي تضمن للجريدة الاستمرارية.

كان هذا بعض ما يخص الخبر والتحقيق في "أنوال".

أما في ما يخص الرأي، فقد مثلت الجريدة الصوت النقدي للمثقفين الجذريين المغاربة. ولعبت "أنوال" الثقافي دورا كبيرا في تنشيط المشهد الثقافي والسياسي المغربي وفي طرح قضايا حقوق الإنسان والدفاع عنها بالمقال النظري والنقدي الرصين، وأصبحت في ظرف وجيز منتدى حقيقيا للمثقفين والباحثين في المغرب وخارج المغرب. ومن موادها المنشورة اكتسبت مصداقية كبيرة لدى شرائح واسعة

من القراء المغاربة لذلك شكلت باستمرار مصدر إزعاج للنظام منذ عددها الأول إلى أن تم اغتيالها أواسط التسعينات.

لقد تواطأت فئة من داخلنا، لم يكن لها بعد نظر وطموح سياسي نضالي، تواطأت مع الدولة لتوقيف جريدة "أنوال". كان هذا ثمنا دفعناه لموقفنا في الاستفتاء الدستوري عام 1996 نتيجة مقاطعتنا له على اعتبار أنه كان دستورا ممنوحا، متمايزين بذلك عن الرأي العام الحزبي الرسمي الذي كان سائدا في الأحزاب التقدمية وأحزاب الكتلة الديمقراطية.

عمدت الداخلية إلى" معاقبتنا " على موقفنا الجذري وشاركت وزارة العدل في هذه المسرحية بعد أن هرّب المنشقون عن منظمة العمل الديمقراطي الشعبي الجريدةَ لا لشيء سوى لأن مديرها كان ضمن المنشقين الذين لم يقبلوا برأي الأغلبية في اللجنة المركزية للمنظمة، وعلما بأن "أنوال" لم تكن ملك أشخاص وإنما هي ملك للحزب وللفكرة والمشروع المؤسِّسيْن لذلك الحزب. كان الأجدر بمن عهدنا إليه بالإدارة أن يستقيل من منصبه ويؤسس رفقة من خرجوا من الحزب جريدة أخرى، لا الاستجابة لإملاءات وزير الداخلية ووضع حد لجريدة صمدت لأكثر من 17 سنة وقدمت الشيء الكثير.

مساندة الاتحاد الاشتراكي
والتنسيق مع القوى الديمقراطية

لم نؤسس منظمة العمل الديمقراطي الشعبي إلا عام 1983لذلك لم نكن مهيئين لخوض الانتخابات الجماعية فاتخذنا قرارنا بمساندة ودعم الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية في حملته الانتخابية وفي التصويت على مرشحيه. والحق أن هذه المبادرة، إذا ما أضيفت إلى زيارتي لعبد الرحيم بوعبيد في السجن وخوضنا لحملة

في الجريدة من أجل إطلاق سراحه قد يسرت علينا ما كنا نسعى إليه ونحن نستعد للدخول من فرنسا، أي تشكيل جبهة وطنية قوية تجمعنا مع الاتحاد الاشتراكي والاتحاد الوطني وحزب الاستقلال والتقدم والاشتراكية والنقابات.

كنا نعتبر أنفسنا فصيلا ضمن فصائل أخرى تناضل من أجل الديمقراطية، لذلك عملنا على توثيق علاقتنا بشركائنا السياسيين والتنسيق معهم للوصول إلى طرح بديل ديمقراطي. وكانت الوسيلة المثلى لتحقيق هذا الهدف فتح حوار هادئ بيننا ونبذ كل حزازة أو عداء من شأن النظام أن يركب عليها لبث الفرقة والخصام عملا بالأطروحة الاستعمارية "فرق تسد".

كنت قد فاتحت المفكر الراحل محمد عابد الجابري ونحن في باريس، قبل انتخابات 1977، بضرورة أن يسعى الاتحاد الاشتراكي لمد قناة التواصل مع حزب الاستقلال، وعدم ترك الفراغ بين الحزبين بطريقة تجعل النظام هو المستفيد الوحيد من ذلك؛ فبالرغم من كل شيء، ورغم الاختلافات، يبقى حزب الاستقلال حزبا وطنيا يشترك مع اليسار في إيمانه ودفاعه عن الديمقراطية والحريات العامة.

كانت فكرتي أن تتوحد الفصائل الديمقراطية وتتوسع جبهة المعارضة للضغط على نظام الحسن الثاني بقوة وحمله على تقديم تنازلات لفائدة الديمقراطية. وفي سبيل هذا المقصد كنا نؤمن بإمكانية تقديم تنازلات لصالح شركائنا بغية الوصول إلى مواقف مشتركة. وكانت هذه رؤية المنظمة ككل قناعة منها بالعمل الوحدوي الذي يراعي الاختلافات بين الأطراف المتحالفة بعيدا عن كل مزايدة أو مساومة سياسوية.

وفعلا سيتمخض عن هذا التواصل التنسيق عام 1984 داخل البرلمان بيننا والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وحزب الاستقلال والتقدم والاشتراكية، بحيث كنا كتلة منسجمة في مواقفنا وكنا نحضّر كل سنة عرضا نقديا مشتركا حول الميزانية العامة للدولة. وقد تميزت تلك الحقبة الثمانينية بحركية برلمانية لافتة إلى درجة جعلتها أزهى

مرحلة في الحياة البرلمانية بالمغرب. والحقيقة أن الحياة السياسية ككل اتسمت بدينامية جديدة عكستها ودعمتها مرحلة كاملة من النضالات الاجتماعية والنقابية والطلابية والشبابية والنسائية والحقوقية...

أفضى هذا المناخ المتسم بالحرارة السياسية، وبتواصل توحيد جهود الحركة الديمقراطية، إلى النتائج المنطقية المنتظرة وعلى رأسها إنشاء الكتلة الديمقراطية التي ضمت كلا من الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، حزب الاستقلال، الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية والتقدم والاشتراكية ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي.



[26]

تجربتي في البرلمان
واللعبة السياسية



نايف حواتمة
23 مارس
Revue arabe du Maghreb

جريدة "23 مارس"



أنوال

جريدة أنوال



محمد بنسعيد وابنه عثمان
مع الفقيد الراحل الحسين كوار وابنه ضافر

النّضالُ

من أجل الديمقراطيةمن داخل المؤسسات... كان هذا ما اتفق عليه الرفاق في فرنسا حين لاحت في الأفق إمكانية الدخول إلى البلاد.

وفعلا هيأنا أنفسنا لولوج معترك الانتخابات البرلمانية بعدما لم نستطع فعل ذلك في الانتخابات الجماعية فساندْنا الاتحاد الاشتراكي.

لم يكن الأمر سهلا علينا. فكثيرون "غسلوا أيديهم " على الحياة النيابية ووصلوا إلى قناعة بأن لا جدوى للعمل البرلماني ولا أمل يرجى من ورائه في إحداث التغيير المأمول.



تدشين مشروع بدائرة آيت وادريم/ إقليم اشتوكة آيت باها أثناء ولايتي
البرلمانية الأولى أواسط الثمانينات
في الصورة مع الوزيرين بوفتاس والعلوي المدغري

كان العديد من أصدقائي ومعارفي قد نصحوني بألا أتقدم للانتخابات. وكان تقديرهم أن خواتم مشاركتي في هذه اللعبة لن تكون خيرا، ولن تكون عائداتها شيئا آخر سوى تلويث اسمي ووضع تاريخي الشخصي كله في ذات سجلات التصنيف المعلومة، ما دام الفساد هو العنـــوان الأبرز للبرلمان ومادامت الشبهة أخص خاصيات السواد الأعظم ممن يدخلون تحت قبته.

كان هذا طبعا رأيا مفهوما، احترمته ولكني أبديت عدم اتفاقي معه. فقد كنت عارفا ومطمئنا بخصوص صلابة قناعاتي الخاصة. وإذا أضيف إلى ذلك تأكدي من نزاهتي ونظافة الرفاق معي، وتوفرنا على رؤية سياسية نضالية واستراتيجية لكل عملنا السياسي ولعملنا من داخل المؤسسات، فقد كان مهما كثيرا أن نرفع تحدي المضي في هذا الاتجاه، وأن نمارس دورنا النقدي، ونقدم نموذجا آخر لممارسة سياسية من داخل المؤسسات لا تنتهي بالضرورة لا عند حد الاندماج في النظام ولا عند حد السقوط في إنتاج ردود فعل حادة لفظيا تخفي عمليا وراءها حقيقة تهميش عن الممارسة في مركز الحقل والصراع السياسيين.

حاول بعض الرفاق والأصدقاء أيضا إقناعي بأهمية ترشحي في الدار البيضاء على اعتبار أن الناس هناك يعرفون بنسعيد آيت إيدر ويقدرونه، وأن نجاحي سيكون مضمونا بالنتيجة إن لم تتدخل الداخلية وتقوم بتزوير النتائج كما هي عادتها. غير أني فضلت الترشح ببلدتي اشتوكة آيت باها؛ فهناك أهلي وأقربائي، والناس في تلك المنطقة المنعزلة أحوج ما يكونون إلى من يدافع عنهم ويبلغ صوتهم إلى البرلمان وإلى عموم الشعب المغربي. يضاف إلى كل ذلك، أن نجاحي ونشاطي هناك سيفتح لنا واجهات عمل في كل الجنوب.

وفعلا نجحت في انتخابات 1984 في الدخول إلى البرلمان. لكن آلة التزوير حرمتنا من الفوز بسبعة مقاعد مستحقة؛ فقد كان النظام يرمي من وراء إسقاط مرشحي منظمة العمل الديمقراطي الشعبي وسماحه بنجاح بنسعيد أيت إيدر وحده إلى تمرير رسالة

مفادها أنه نظام ديمقراطي. فهاهو أحد المحكومين بالإعدام وينتمي إلى حزب ماركسـي ومعروف بمعارضته التي لا تلين تتسع له المؤسسة البرلمانية.

وهذا استغلال سياسي ما كان طبعا ليغيب عني. إنما بالمقابل، كنت أنا أيضا أرى في البرلمان منبرا كنت أمارس من خلاله معارضتي للنظام وأنتقد أداء الحكومة وممارسات السلطة، منبرا أتواصل عبره مع أبناء الشعب المغربي وأوصل صوت مهضومي الحقوق وأثير القضايا التي كان الآخرون يخافون من إثارتها ومنها قضية المعتقلين السياسيين.

يكمن وجه الخطورة الأساسي للعمل في المؤسسات، وخصوصا البرلمان، عندما يستقطبك النظام وتصبح أداة في يده يفعل بك ما يشاء. هذا ما وقع وتكرر مع الأسف الشديد للعديد في صفوف قوى اليسار. فبعض المناضلين بدخولهم إلى هذه المؤسسة تغيرت شروط حياتهم المادية وتحسنت أوضاعهم وبدأوا ينسلخون تدريجيا عن مواقفهم ومواقعهم الأصلية، وعن نظافتهم النضالية، بل أصبحوا يشكلون نوعا من جماعات ضغط متنفذة و"جيوب مقاومة" داخل أحزابهم.

لم نكن في منظمة العمل الديمقراطي الشعبي بمنأى عن هذه الآفة تماما... كان ضمننا رجال تعليم لا تتعدى أجورهم 1700 درهما شهريا، ولما صعدوا إلى البرلمان صاروا يتقاضون 27 ألف درهما في الشهر دفعة واحدة. لم يعودوا يلتزمون معنا حتى بأداء واجبات انخراطهم الحزبي على ضآلتها. وقد كان النظام بارعا في اللعب بهؤلاء وخلق لنا بهم مشاكل عدة في الحزب.

كان النظام يتحكم في تشكيلة البرلمان عن طريق التزوير. ولا يسمح بصعود سوى "المعتدلين" في الأحزاب التقدمية؛ فالداخلية بمخططاتها وبالتعليمات المباشرة كانت هي المتحكمة في تمثيلية كل حزب داخل قبة البرلمان. أما أحزاب الإدارة فلم تكن لها أي استقلالية، فالداخلية تفرض عليها المرشحين الذين تختارهم لها. وتفرض عليها أسماء من خارج إطاراتها الحزبية دون أن يستطيع أحد تحريك ساكن

أو الاحتجاج على هذا الوضع المهين. لم تكن هذه الأحزاب الإدارية تملك استقلالها لا في الترشيح ولا في التصويت.

ووقع في التسعينات أثناء تشكيل إحدى الحكومات أن فرضت السلطات خمسة أسماء من الموظفين التقنوقراط كانوا قد برزوا في تلك الآونة على أحزاب إداريـــة. حتى حزب التقدم والاشتراكية لم ينج هو الآخر من ذلك حين فرضوا عليه وزيرا للصحة من خارج صفوفه. وقد حدث أن أعلن كل من أحمد عصمان والمحجوبي أحرضان احتجاجهما على فرض أسماء أسقطها وزير الداخلية عليهم في التشكيلة الوزارية، لكن احتجاجهم ذاك لم يكن له صدى يذكر. وعندما اشتكى لنا عصمان من هذا السلوك الخارج عن إطار القانون القاضي بضرورة أن يتوفر المرشح على تزكية من حزبه، طرحنا أنا وعبد الرحمان اليوسفي الموضوع على أحمد رضا اكديرة مدير ديوان الحسن الثاني وفهمنا من جوابه أن الملك داخل في هذه اللعبة.

كانت مخططات وزارة الداخلية تهدف أيضا إلى محاصرة المعارضة في الحدود التي تجعلها لا تحصل أبدا، وفي أحسن الحالات، على أكثر من ثلث المقاعد.

عشت 23 سنة من الحياة البرلمانية. ترشحت فيها ونجحت أربع مرات عن نفس المنطقة. ومن خلال هذه التجربة اكتشفت أن الممارسة البرلمانية لم تتطور إلى ما هو أفضل بل حصل فيها تراجع كبير منذ أن انتقلت المعارضة التقدمية إلى الحكم. وربما كانت أزهى مرحلة هي تلك التي ترأس فيها أحمد عصمان البرلمان. فقد تميزت هذه المرحلة بوجود معارضة حقيقية ومؤثرة. غير أن التحاقها بالسلطة إثر مرحلة ما سمي "التناوب التوافقي" ترك فراغا كبيرا على مستوى موقع المعارضة لم تستطع أحزاب اليمين أن تملأه، وبذلك فقدت الحياة البرلمانية وهجها.

وظهرت في سياق هذا التدهور ظواهر سلبية شوهت صورة البرلمان وجعلت الشعب المغربي يكون عنه صورة بالغة السلبية ويتخذ منه موقفا لم يتغير إلى الآن.

من تلك الظواهر مثلا ظاهرة البرلمانيين الرحل التي تفشت في ولاية كل من محمد جلال السعيد وعبد الواحد الراضي ووقفت خلفها الدولة التي شجعت شراء النخب وتحويل العمل البرلماني إلى ريع لتحصيل المكاسب الشخصية، والممثل البرلماني إلى ما يشبه الكواسر المفترسة أو على الأقل، مقاولي السياسة الذين لا يجمعهم

بالأحزاب وبالسياسة وبالدفاع عن الأفكار والمشاريع السياسية سوى الخير والإحسان. كانوا يفتشون عن مصالح خاصة؛ عن التقرب أكثر فأكثر من مراكز القرار، وعن صفقات وعمولات هنا أو استعمال واستغلال هناك للحصانة "البرلمانية" في ما يتنافى والعمل البرلماني.

وظاهرة أخرى لا تقل أهمية ولا إخلالا بالمسؤولية البرلمانية عن سابقتها، تمثلت في غياب البرلمانيين المنهجي وفراغ كراسي ممثلي الأمة مما زاد في الإساءة للحياة البرلمانية وإصابتها في مقتل.

كان الشعور بفداحة هذا الانهيار أمرا طبيعيا، خصوصا وأنه أعقب مباشرة تلك الحقبة الزاهية من الحيوية والنجاعة التي كانت للبرلمان في الزمان الذي كانت فيه المعارضة التقدمية تصول وتجول وتعبر عن هموم وتطلعات أغلب الشرائح الاجتماعية المغربية.

لكن المؤسف أن تقوم المعارضة التاريخية، حين تولت شؤون الحكم، بانتهاج نفس سياسات أسلافها في الحكومة؛ ففي القطاع العام مثلا أخذت تدافع عن سياسات التقويم الهيكلي التي كانت متبعة أو بالأصح مفروضة على الدولة من الخارج في تلك الفترة، وتعيد تلويك ذات خطابها الهزيل والمكرور حول "التوازنات الماكرو- اقتصادية"، مستنجدة بشتى المصطلحات لتبرير نهجها لتلك السياسة.

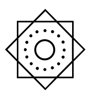
واكتملت صورة الانهيار بشاعة وسوريالية عندما لجأت أحزاب الإدارة من جانبها- وهي التي صنعها المخزن لتمييع الحياة السياسية- لمّا طُلب منها أن تؤدي دور

المعارضة، بدون رؤية ولا قناعة، بل بمنطق الإملاءات و"التيليكوماند"، في لعبة سياسية متشابكة الخيوط، لما لجأت هذه "المعارضة" المُحدَثة لاستعارة الخطاب الذي كان خطاب المعارضة التقدمية لعقود وصنع مصداقيتها، ولتستعير أجوبةُ وزير المالية في حكومة التناوب في المقابل نفسَ الصيغ البالية التي كان وزراء مالية أحزاب الإدارة دأبوا على إدمان استعمالها. والغريب أننا لما كنا في المعارضة وقفنا في لجنة المالية ضد خوصصة المؤسسات العمومية على اعتبار أنها مؤسسات استراتيجية ومنتجة وأن مشكلها يتجلى فقط في طريقة تسييرها وفي المسؤولين عنها الذين كانوا معروفين بفسادهم وكانت الدولة تغطي عليهم وتحميهم بالتالي من المتابعة، كانوا يعيروننا بأننا دوغمائيون.

وعلى إثر خطاب الملك الذي اعتبر فيه المعارضين لسياسة الخوصصة متخلفين عن العصر، أخذنا قرارا نحن ممثلي الأحزاب الأربعة في اللجنة المذكورة برفع رسالة إلى الحسن الثاني في موضوع موقفنا من الخوصصة، لكن خلافا حول الصياغة التي حاول البعض أن يستعمل فيها عبارات مداهنة مثل "من خدامك الأوفياء" جعلتنا نلغي أمر هذه الرسالة بالمرة.

كل هذا لم يكن إلا ليشوش على الحقائق ويبلبل أفهام الناس بل ويدفعهم إلى الشك وفقدان الثقة تماما في نهج سياسي أصبح متَغيّرا بدل أن يكون مُغيّرا الأمر الذي أفقده كل مصداقية.

والحال، كيف يعقل أن أحزابا اشتراكية أمضت سنوات وعقودا طويلة في معارضة نظام سياسي تسلطي وتابع اقتصاديا للمتروبول الغربي، تنقلب لتصبح بين عشية وضحاها هي المدافع عن سياسات المؤسسات الاقتصادية الدولية كصندوق النقد الدولي مثلا وعن مصالح النظام الرأسمالي، وتجتهد لتبرير سياسة الخوصصة وتفويت المؤسسات العمومية للخواص بشروط مجحفة مع التراجع عن عدد مهم من الخدمات الاجتماعية، والتفريط في المكتسبات؟



[27]

حين طرحت في البرلمان
قضية المعتقل السري بتازمامارت
وقضية المعتقلين السياسيين



إحدى جلسات البرلمان أواخر الثمانينات
(يظهر في الصورة محمد بنسعيد وإلى جانبه اسماعيل العلوي
والفقيد علي يعتة أمامهما)

كَانَت انتقاداتي، عكس ما كان يفعله البرلمانيون الآخرون الذين كانوا يوفرون السلطات العليا ويركزون هجومهم على أحزاب الإدارة، موجهة رأسا ومباشرة للنظام. أما أحزاب الإدارة تلك فلم تكن بالنسبة لي سوى أدوات يستعملها النظام ليس إلا. وأما الفاعل الرئيسي وصاحب المسؤولية المباشرة فهو رئيس الدولة، لذلك كانت علاقتي داخل قبة البرلمان مع الحزبيين من كل الأطياف السياسية خالية من أي نفور أو عداء من طبيعة شخصية.

معتقل تازمامارت السري

منذ عودتي إلى المغرب في 8 مارس 1981، أصبحت قضية الاعتقال السياسي إحدى أهم القضايا التي كانت تشغلني. ولم يكن عدد من أعداد جريـــدة "انوال"،

منذ انطلاقها في نونبر 1979، يخلو من مادة أو أكثر تتصل بهذا الموضوع. فبالإضافة لرفاقنا المعتقلين الذين كانوا يغذون الجريدة بكتاباتهم ومناظراتهم وعلى رأسهم رفيقنا الغالي الفقيد عبد السلام المودن وعلال الأزهر ورفاق آخرون...والذين كانوا بطريقة ما يجعلون موضوع الاعتقال السياسي، وخصوصا مقاومة هذا الاعتقال السياسي، دائم الحضور في الجريدة، إضافة لذلك، كانت أنوال تتابع نضالات المعتقلين وإضراباتهم وتحركات عائلاتهم ونضالات محاميهم وهيئات دفاعهم، وتنشر صورهم وبياناتهم، كما كانت تتابع محاكماتهم، وتكشف من خلال الأحكام التي تصدر الطابع السياسي والانتقامي لتلك المحاكمات والأوضاع المزرية للحريات في البلاد.

وكنت من جانبي قد اتفقت مع الصحافي عبد الله رشد، (ابن جامع الفنا) على تحضير ونشر مواد عن الاعتقال السياسي وعن عدد من المقاومين الذين انتهوا نهايات مأساوية في الأقبية والمعتقلات السرية.

في إطار هذا الاهتمام، كنت أتوفر على عدد من لوائح المحكوم عليهم في المحاكمات الشهيرة التي عرفتها البلاد كمحاكمة الرباط ومراكش، ومحاكمة الضباط المتهمين في انقلابي الصخيرات (1971) ومحاولة إسقاط طائرة الملك(1972)، ومحاكمة معتقلي 3مارس 1973، ومحاكمات شباب الجامعات والثانويات في سنوات 1973 و1974... كما كنت قد جمعت عددا من المعطيات عن عدد من المعتقلات السرية الرهيبة الموجودة في أماكن متباعدة من بينها درب مولاي الشريف ودار المقري وقلعة مكونة.

في معتقل قلعة مكونة هذا، كان رموز معروفون من قادة جيش التحرير قد حشروا لمدة أربع عشرة سنة في شروط بالغة القسوة والوحشية أمثال قائد الرحى علي بويا ولد ميارة من رقيبات الشرق والوالي ولد بابيت قائد الرحى أيضا من قبيلة العروسيين وعدد آخر من رفاقهم بمقاطعات مختلفة لجيش التحرير بالصحراء المغربية.

من أجل هؤلاء القادة الذين كنت أكن لهم كل التقدير والاحترام، اغتنمت فرصة الاتصال بمستشار الملك الحسن الثاني ادريس السلاوي، وتقدمت له برسالة شفوية إلى الملك الحسن أؤكد له بأن تصرفات عمالة العيون والإدارة مع هؤلاء الأبطال في ذاك المعتقل السري يسيء بالغ الإساءة لموقف المغرب من قضية صحرائه، وكنت من ناحية أخرى قد أجريت اتصالا مع وزير الداخلية ادريس البصري أطلب رد الاعتبار لهؤلاء القادة المجاهدين، الوطنيين، رموز التضحية والتشبث والوفاء لوطنهم المغرب، وحل مشاكلهم.

كنت قد قمت، على إثر خروجهـــم من دائـرة مجهولي المصير وإطلاق سراحم، بزيارات لهم في بيوتهم بمدينة العيون، لأهنئهم وأجدد لهم تحيتي وتثميني لنضالهم وصمودهم وللتضحيات التي بذلوها في سبيل الوطن والقضية الوطنية.

...عندما طرحت في البرلمان
قضية معتقل تازمامارت السري

كنت قد استقبلت، عن طريق الرفيقة نزهة العلوي، السيدتين زوجتيْ النقيب صالح حشاد والرويسي اللتين قدمتا لي ملفا يضم سبعة وعشرين من معتقلي هذا السجن السري الرهيب يتعرضون لموت بطيء غاية في القساوة والوحشية، بعدما ألقي بهم هناك في زنازن مظلمة وباردة أشبه ماتكون بقبور، في عزلة تامة عن العالم، عالم الحياة، حيث لا مراقبة طبية ولا تغذية لائقة ...كانوا قد تركوا ليواجهوا المصير المجهول كأنهم وضعوا عنوة على طريق الموت.

وماتزال على قيد الحياة حالات أخرى تقارب نفس العدد يقاسون من نفس الشروط المذكورة وفي طريقهم إلى نفس المصير المجهول...

طلبت مني السيدتان أخذ هذه القضية بيدي والمبادرة بطرحها وفعل شيء قبل فوات الأوان.

استقبلت الطلب بالرحب والسعة واعتبرته من أولى الواجبات وعبرت عن استعدادي لعمل كل ما بإمكاني عمله. فكان أن طرحت الموضوع على زملائي في البرلمان من الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية وحزب الاستقلال وحزب التقدم والاشتراكية، قصد إعطاء المبادرة سندا أكبر إذا ماتم طرح الموضوع كسؤال لوزارة العدل من قبل أكثر من قوة سياسية وأكثر من برلماني. وكنت أظن أن زملائي قد يطرحون هذا الموضوع حتى على قوى سياسية أخرى في البرلمان ولو على سبيل الإحراج.

غير أن الزملاء، رغم تقديرهم المبدئي بدون شك لأهمية الموضوع، لم يتحمسوا ولم يبدوا كبير استعداد للذهاب أبعد، أي إلى حد طرح سؤال في هذا الموضوع داخل قبة البرلمان.

بعضهم قال لي بأن أوان طرح هذا الموضوع لم يحن بعد، وبعضهم الآخر رأى في طرح الأمر بداية لمعركة لايبعد ميدانها كثيرا عن منطقة الخطوط الحمراء إن لم يكن واقعا فيها فعلا، ففضل "التعقل" والسلامة.

وكان ألمي أشد عندما لقيت تحفظات ومعارضة حتى من قبل بعض أعضاء هيئة تحرير جريدة "أنوال"، تخوفا من تعرض الجريدة للتوقيف أو الحجز بسبب ذلك.

ولكن الملك الحسن الثاني فهم الرسالة، إذ على العكس من توقعات المتخوفين، سيصدر عفوا عاما عن هؤلاء وعن بعض المهاجرين في الخارج، خاصة وقد تكثفت الضغوط الخارجية الإعلامية والسياسية الحقوقية على النظام بسبب هذا المعتقل، وتدخلت فيه عدة شخصيات منها زوجة الرئيس الفرنسي فرانسوا ميتران.

في 15 شتنبر 1991، سيتم إغلاق هذا المعتقل_العار، وللأسف، لم يغلق معه ملف الاعتقال السياسي الذي سيشهد فصولا أخرى، كما ستفتح سجون أخرى لتغيب ظلمتها وجوها أخرى لأجيال أخرى.

...وطرحت قضية المعتقلين السياسيين

أما الموضوع الذي وقفت فيه وحيدا في مواجهة ضغط النظام فكان موضوع المعتقلين السياسيين. كان الحسن الثاني قد استقبلنا كقيادة للكتلة، فبادرته بإثارة ملف الاعتقال السياسي، وقتها كانت البلاد تعيش على أصداء وارتدادات كتاب "صديقي الملك"، وكانت الصحافة الدولية تستغل كل خبر يرد على المغرب.

وفي معرض جوابه، ربط الإفراج عن المعتقلين السياسيين بموضوع الصحراء المغربية، وقال لي إن من له موقف ايجابي من قضية الوحدة الترابية، مثل أنيس بلافريج وأصدقائه، أطلقنا سراحهم، أما السرفاتي فالإفراج عنه معلق على تغيير موقفه من الصحراء. هممت بالتعقيب، غير أن عبد الرحيم بوعبيد سبقني، وعلق على الموضوع بنعته للسرفاتي ب"التعصب".

كنت سأقول للحسن الثاني بأنه أطلق عبارة " الوطن غفور رحيم" لفتح باب العفو والعودة لفائدة أناس حملوا السلاح ضد الوطن، فلماذا لا يستفيد من العفو والعودة، من لم يرفع أي سلاح وإنما عبر فقط عن رأيه، خصوصا وأن الشعب المغربي برمته أجمع على مغربية الصحراء، وأن السرفاتي لم يفعل سوى أنه انطلق من موقف وعبر عن رأي خاص. وهذا حق له لا يمكن مصادرته.

قبل الجلسة الاستثنائية للبرلمان، بعث لي الحسن الثاني بإدريس البصري ليبلغني رسالة واحدة: لا تطرح موضوع المعتقلين السياسيين بالبرلمان! تساءلت عن السبب،

فكان رده أن الملك يريد ذلك. هنا وجدت نفسي أقول للبصري، ما دمت تعلنون أنكم ديمقراطيون، فمن حقي أن أثير الموضوع في إطار احترام الرأي الآخر المخالف، ثم إنه من مصلحة الملك ومن مصلحة البلاد أن نكون نحن السباقين للحديث عن المعتقلين السياسيين على أن تقوم بذلك أطراف خارجية وتكيف الموضوع بطريقتها...

في السياق نفسه، سيبعث لي أحمد عصمان بمدير ديوانه بن الطالب ليطلب مني نفس الطلب: لا تثر موضوع المعتقلين السياسيين!

جاء موعد الجلسة، أخذت الكلمة، فطالبت بضرورة تصفية ملف المعتقلين السياسيين، حتى لا نعطي فرصة للآخرين لاستغلاله ضد البلاد.

هنا تدخل أحمد العلوي وقال لي إن هذا الموضوع غير مدرج في جدول الأعمال، فطلبت منه ألا يقاطعني وأن يطلب الكلمة من الرئيس إن هو أراد التدخل. حاولت أن أتابع إلا أنه عاد لمقاطعتي، فهاجمه الاتحاديون والاستقلاليون، وطلبوا منه أن يخرس، فلما عاد مصرا على مقاطعتي، لم أجد بُدّا من مخاطبته بالقول: "إن لم تسكت فلي ما أقوله فيك... ولن يعجبك" ....

والتفت إلى أحمد عصمان سائلا إياه إن كان هو مسير الجلسة فعلا أم العلوي.

كنت سأواجه أحمد العلوي بالبرقية التي بعث بها إلى بن عرفة حين نصبه الفرنسيون مكان محمد الخامس، وعن حقيقة تعاونه مع الحماية الفرنسية واختياره دائما للجهة الغالبة حفاظا على مصالحه، دون أن تكون مواقفه محكومة بقيم ولا أخلاق وطنية. وقد سبق للاتحاديَيْن (عبد اللطيف بنجلون والتبر) عام 1963 حين تقدموا بملتمس الرقابة، أن كشفوا أمر هذه البرقية وأحرجوا العلوي بها أمام الجميع.

انسحاب الاتحاديين من البرلمان
...ثم عودتهم إليه

كان الحسن الثاني قد أعلن تمديد الولاية البرلمانية بسنتين، الأمر الذي أثار حفيظة البرلمانيين الاتحاديين، فقرروا الانسحاب من البرلمان. كان عبد الرحيم بوعبيد وقتها في السجن بسبب موقفه من دعوة المغرب لإجراء استفتاء حول الصحراء وتدويل القضية، وكان عبد الرحمان اليوسفي هو الذي يتولى ضمنيا قيادة الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية في تلك الفترة الحرجة، وقد خلف هذا الانسحاب أصداء إيجابية قوية عند الناس، ورأوا في موقف الاتحاديين تحديا مباشرا لرأس النظام، وعلقت آمال كبيرة على تلك اللحظة السياسية. لكن خطاب الحسن الثاني وتهديده للمنسحبين إن لم يعودوا إلى البرلمان في المهلة التي حددها لهم، جعل الكثيرين يدخلون في تردد، ثم سرعان ما تراجعوا عن موقفهم وعادوا إلى البرلمان. وكان الوحيد الذي لم يتراجع هو محمد منصور، الذي تم وضع حراسة على بيته، وقد زرته وآزرته وحييت فيه هذا الموقف النضالي الشجاع.

وعندما التقيت فتح الله ولعلو عاتبته على تراجعه، فقال لي إنه إن لم يرجع هو إلى قبة البرلمان فالآخرون سيعودون، فقلت له فليعد من يريد، لكن حافظ أنت على موقفك وسيحسبها لك الناس، و"تعلو" أكثر في نظرهم.

حاول محمد اليازغي، بهذا الخصوص أن يرجع أمر العودة إلى البرلمان إلى تهديد الحسن الثاني لليوسفي، وهو أمر لا علم لي بمدى صحته، وكل ما وصلني أن المنسحبين حين بلغهم التهديد لجأوا إلى اليوسفي، فكان كل ما قاله لهم، أن يتحمل كل مسؤوليته.

والحقيقة أن الرضوخ للتهديد والتراجع عن موقف الانسحاب، خلف استياء كبيرا حتى داخل صفوف الجيش الملكي، بحسب ما وصلني في حينه. لقد كانت انتكاسة

للاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وهزيمة معنوية مست صورة الحزب في ذلك الوقت. وكان لو تشبث برلمانيوه بموقفهم سيكسب سياسيا الكثير، خصوصا أن زعيمه كان في محنة وأصداء ذلك تتفاعل في الخارج.

حراك اجتماعي قوي

1984،1979،1981، ثم 1990 ...وفاس، والدار البيضاء، والشمال... كانت كلها أزمنة وأمكنة عاش فيها المغرب على صفيح حراك اجتماعي ساخن... كنت تلمس النبض الحي لمجتمع يطالب بالتغيير ولا يهاب القبضة الحديدية لنظام قمعي، ودفع كثيرون ثمن وقوفهم في وجه الظلم والاستبداد، لكنهم من أجل مغرب جديد كانوا يحلمون به، لم يضنوا بحريتهم وحيواتهم... كانت الحركة النقابية في أوج قوتها وعطائها، مثلما كانت الحركة الطلابية في كامل عافيتها وعنفوانها.

إضرابات كبرى يواجهها النظام بأسلوب لا يعرف غيره، القمع. إضرابات سلمية تطالب بإصلاح الأوضاع ولا شيء آخر، لكن السلطات تحرك أجهزتها ضدها، لأن النظام لا يريد لهذه الحركة الاحتجاجية أن تنال مطالبها بنضاليتها. بالنسبة له ممنوع أن ينتزع منه شيء، وبالمقابل كل شيء يمكن أن يمنح كهبة عندما يريد ذلك بمحض مزاجه وبطريقته. والناس في عينيه مجرد رعايا يتوجب عليهم الركون إلى الطاعة، لذلك سعى هذا النظام لضرب هذه الحركة في العمق، فعمد إلى عسكرة الجامعات عبر إدخال جسم غريب عن حرمتها، هو ما سمي ب"الحرس الجامعي" (أواكس) بهدف شل الحركة النقابية الطلابية، ولجأ إلى تشتيت النقابات في باقي القطاعات الاجتماعية الأخرى، وقد بلغ العسف إلى حد اعتقال العديد من الأبرياء في العديد من المحطات النضالية بدون تهم، وتم الزج بهم في السجون.

وذهب ضحية من صفوفنا عام 1984 شباب في عمر الزهور، كانوا حديثي الالتحاق بالعمل ويسعون لبناء أسر، حوكموا بسنتين وأكثر. ومع ذلك لا يمكن للمرء إلا أن يسجل المناخ النضالي المتقدم الذي كان في ذلك الوقت، وهو ما واكبناه من لحظة دخولنا عام 1981، سواء عبر الجريدة أو خلال التجمعات الحزبية والممارسة البرلمانية. فقد واكبت جريدة "أنوال" إضراب الكونفدرالية الديمقراطية للشغل، التي رغم حداثة نشأتها، استطاعت أن تنزل بقوة وتجند الطبقة العاملة وتتعرض للقمع الذي لم يزدها إلا مصداقية. وطبعا، كانت مساندتنا للكونفدرالية ولنوبير الأموي في المعركة، دعما للحركة النقابية ككل لا انحيازا لهذا الطرف المخصوص أو ذاك، فرؤيتنا كانت تستوعب العمل مع كل الأطراف النقابية غير المصطنعة وتتطلع لانتقالها جميعا إلى مستوى التنسيق بينها، حتى يكون لمواقفها الموحدة في وجه النظام الوقع والأثر المطلوبان، سواء في الإضرابات أو في باقي الأشكال والمحطات النضالية الأخرى.



الفقيد الراحل أحمد بنجلون

[28]

نضال حقوقي
ودفاع عن مغربية الصحراء



محمد بنسعيد والراحلان علي يعتة والمهدي المنجرة



عبد الرحمان بنعمرو أحد رموز اليسار والنضال الحقوقي المغربيين

في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي أخذت قضايا حقوق الإنسان تكتسب أهمية كبرى في أدبيات أحزاب اليسار المغربي بمختلف تياراته. كانت ورقة سياسية ذات فاعلية قوية نشهرها في وجه النظام فاضحين ممارساته القمعية.

وكانت للخطاب الحقوقي أصداء قوية في الخارج. وقد شاع هذا الاهتمام والتبني لخطاب حقوق الإنسان في حدود 1983، السنة التي ستشهد ميلاد منظمة العمل الديمقراطي الشعبي.

كانت السيطرة على مقاليد الجمعية المغربية لحقوق الإنسان تؤول إلى التيار المعارض داخل الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية بقيادة كل من أحمد بن جلون وعبد الرحمان بنعمرو. لذلك سرعان ما تحولت الجمعية إلى أداة في الصراع داخل قلعة الاتحاد. وما إن وقع الانفصال والانشقاق حتى وجد الاتحاد الاشتراكي نفسه خارج معادلة الجمعية المغربية لحقوق الإنسان. ومن ثمة شرعنا في التفكير والتنسيق

بيننا قيادة الاتحاد والمنظمة والتقدم والاشتراكية من أجل خلق بديل. وفعلا وصلنا في الأخير إلى إنشاء المنظمة المغربية للحقوق الإنسان.

كانت رؤيتنا في منظمة العمل الديمقراطي الشعبي تذهب في اتجاه أن يتمتع هذا الإطار الحقوقي بكامل استقلاليته عن الأحزاب السياسية حتى لا يصير مسرحا للصراع السياسي وأداة حزبية في يد هذا التيار أو ذاك، وبالتالي نهباً لتصفية الحسابات الإيديولوجية والسياسوية الضيقة. كان يكفي أن يكون الجامع بين المنتمين للإطار الجديد ثقافة حقوق الإنسان ودورها الطليعي في النضال الديمقراطي من موقع المجتمع المدني وقواه الحية.

وكان الهدف من وراء التشديد والتنصيص على استقلالية المنظمة المغربية لحقوق الإنسان. وكذا استقلالية كل من يترأسها هو فتح المجال لنخبة مهمة من المثقفين المغاربة لم يكونوا يجدون أنفسهم داخل الأحزاب وكانوا يتركون بينهم وبينها مسافة من الاستقلالية بالرغم من تعاطفهم الضمني مع نضالاتها من أجل الديمقراطية وإحلال العدالة الاجتماعية. وفعلا كانت لدى هؤلاء الرغبة في الانتماء إلى إطار حقوقي من طراز جديد يضمن لهم استقلاليتهم كمثقفين ويفسح لصوتهم كيما يعبر عن نفسه في التطلع للديمقراطية وترسيخ الحريات العامة.

هكذا ستشهد المنظمة في بدايتها انضمام أسماء لامعة وذات مصداقية أعطتها زخما قويا في الحضور. وكان من ضمن المعززين لصفوفها عالم المستقبليات الشهير المهدي المنجزة، كما آلت الرئاسة في ذلك الوقت إلى عمر عزيمان وقد ساعد هذا في حرمان النظام من عدد كبير من الأطر والمثقفين الذين كان يسعى لاستقطابهم إلى صفه. غير أن هذا الحرص الضروري الذي كان سيشكل صمام أمان لإطارنا الحقوقي الوليد لم يدم طويلا أمام سعي عدد من الاتحاديين وفي مقدمتهم عبد الرحمان اليوسفي لأن تكون المنظمة المغربية لحقوق الإنسان تحت هيمنة الحزب يتحكم فيها كما يريد.

كان اليوسفي معروفا كوجه حقوقي في الخارج، ولم يكن الحزب يؤمن بأن تكون أي منظمة موازية خارجة عن سيطرته. لذلك سنرى الرئاسة تنتقل إلى عبد العزيز بناني ومن بعده إلى علي أومليل ثم الولادي وأخيرا أمينة بوعياش.

وكان هذا شأن الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية مع الاتحاد الوطني لطلبة المغرب أيضا؛ فما إن صعد اليسار الراديكالي إلى قيادة هذه المنظمة الطلابية العتيدة حتى انسحب الاتحاد ومعه التقدم والاشتراكية ليتركوا الساحة فارغة وتدخل أ.و.ط.م في نوع من الجمود، في وقت كانت التيارات الطلابية المهيمنة آنذاك توجه خطابا نقديا قاسيا للأحزاب التقدمية ولقيادتها.

حاولنا من جهتنا الدفاع عن طرح العودة إلى الاتحاد الوطني لطلبة المغرب وعدم التفريط في هذه المنظمة النقابية التي لعبت أدوارا طلائعية في النضال الديمقراطي، وربطنا استعادتها بالعمل على أساس من التعددية واحترام مبدأ الاختلاف والتدبير الديمقراطي، غير أنه لا الاتحاد ولا التقدم والاشتراكية قبلا بهذا الطرح، ليأتي التيار الأصولي في الأخير ويستحوذ على الساحة الطلابية، بعد صراعات دموية مع الطلبة القاعديين.

ومنذ اللحظة التي سقطت فيها في أيدي الأصوليين، لم تعد هذه الساحة تلعب لا دورا سياسيا ولا اجتماعيا مثلما كان الحال في ماضيها المضيء، وعوض أن تكون في الطليعة بنضالياتها الخالصة، وبخطابها النقدي الجذري، بشعاراتها المتقدمة وبتوجهاتها الراديكالية...تحولت إلى بؤرة فوات تاريخي تروج للفكر الظلامي وللعنف، وتختزل الصراع في مستواه الإيديولوجي الضيق وفي تفاهات وجزئيات لا تقدم ولا تؤخر في شيء.

بوتفليقة يستنجد بموقف بومدين
لحل مشكل الصحراء

أوفدني الملك الراحل الحسن الثاني غداة دخولي إلى البلاد ضمن وفد مغربي للمشاركة في مؤتمر الوحدة الإفريقية المنعقد وقتها في أديس أبابا. كان المؤتمر نفسه الذي سينسحب فيه المغرب من هذا الإطار الجامع للدول الإفريقية بسبب مشاركة وفد من البوليساريو ومنح العضوية لكيانها الانفصالي فيه.

في ذلك المؤتمر سألتقي المسؤول الجزائري جلول الملائكة... كانت لي به سابق معرفة وكان هو المسؤول عن جبهة التحرير فبادرته باللوم على موقفهم من وحدتنا الترابية وكيف أدخلوا البلدين الشقيقين معا في متاهة عطلت مسيرتهما وجمدت حلم الوحدة المغاربية الذي كان يجمعنا أيام الكفاح من أجل الاستقلال.

ما كان من المسؤول الجزائري إلا أن طلب مني ممازحا أن لا أتدخل وأتركه مع المسؤولين المغاربة ليواجههم بطريقته، وأشار جهة الوفد الرسمي المرافق لنا نحن الوطنيين. غير أني واصلت الحديث إليه بنبرة جدية، مما جعله يكتفي بكلمات لبقة ومجاملة للخروج من ذلك الموقف.

نفس الموقف سوف سيتكرر مرة ثانية حينما ذهبنا للولايات المتحدة الأمريكية في وفد مماثل. كانت للوطنيين سطوة على نظرائهم الجزائريين، كنا نعرفهم خير المعرفة، ونعرف كيف نواجههم بالحجج التاريخية ونفضح مراميهم. ولست أبالغ إن قلت إننا كنا نحرجهم حتى في عقر دارهم، ولم يكونوا هم يملكون أمام هجومنا عليهم سوى التهرب في الحديث أو ركوب المزاح أو الاعتذار بلباقة. كنا نقول لهم بصريح العبارة إنهم يلهثون فقط خلف مصالحهم، ولا يهمهم في شيء ما يدعونه من حرصهم على مصلحة ما يسمونه "الشعب الصحراوي"، إذ لو كانوا فعلا حريصين عليها لتركوهم

يعودون إلى وطنهم الأم، ويبنون مستقبلهم داخل بلدهم لا في المخيمات حيث لا شيء غير الضياع.

وأذكر أننا عام 1991، لدى إنشائنا للكتلة الديمقراطية، أسسنا نوعا من الدبلوماسية الموازية، دبلوماسية حزبية شعبية تأخذ على عاتقها الاضطلاع بمجموعة من القضايا، وفي مقدمتها قضية وحدتنا الترابية. وكنا قررنا تجسير العلاقات مع تونس والجزائر وموريتانيا وليبيا... ونظرا لكوننا قاطعنا في ذلك الوقت حزب التقدم والاشتراكية بسبب خروجه عن الإجماع فيما يخص المشاركة في الاستفتاء على دستور 1992، قمنا نحن الأحزاب الثلاثة (حزب الاستقلال، الاتحاد الاشتراكي ومنظمة العمل) بزيارة الجزائر.

كنت برفقة عبد الرحمان اليوسفي ومحمد العربي المساري. استضافنا صديقنا الشريف بلقاسم في بيته على مائدة العشاء، وكان ضمن الحضور الشريف مساعدية رئيس جبهة التحرير الجزائري، وبوتفليقة الذي كان في ذلك الوقت "عاطلا عن العمل" ولا مهمة مسنودة إليه، وضيوف آخرون من الجبهة. فتحنا النقاش الذي كانوا كلهم يتمنون ألا يفتح، وأحسسنا أن الحرج يسود اللقاء لكننا لم نتوقف، ذكرناهم بالأحزاب الكبيرة التي ناضلت من أجل استقلال البلدان المغاربية وحملت حلم الوحدة، وهي حزب الاستقلال بالمغرب وحزب الشعب بالجزائر وحزب الدستور بتونس، وبينا لهم أنهم بسياستهم يجهضون، ليس فقط حلم الوحدة المغاربية بل أيضا حق شعوب المنطقة في العيش الكريم والتقدم، وبناء مستقبل أكثر إنسانية. وفي الوقت الذي ساد صمت من جهتهم، حاول بوتفليقة إنقاذ الموقف، فتدخل وذكر بأن هواري بومدين كانت له رغبة في حل هذا المشكل، وكان ثمة موعد بينه وبين الحسن الثاني في بروكسيل، إلا أن الموت عاجل بومدين فتوقف كل شيء.

في اليوم الموالي، عقدنا ندوة صحفية بالجزائر العاصمة، حضرتها كل الجرائد الحاقدة على المغرب، وكان الدور هذه المرة على وسائل الإعلام في هجومنا. عِبنْا

عليهم جهلهم بالتاريخ وتزويرهم له، هم المؤتمنون على الحقيقة، وقلنا لهم إن آباءهم كانوا معنا في نفس الخندق وإن العدو الذي حاربناه كان واحدا، وكان المأمول أن يتولوا هم تحقيق حلم الوحدة، بعد أن تعذر علينا نحن ذلك، لا إذكاء نار الحقد وبث مشاعر الكراهية والتفريق بين الشعبين المغربي والجزائري. كما أوضحنا لهم أن ما يسمونه بالشعب الصحراوي، قد دافع عن مغربية الصحراء في وجه الاستعمارين الفرنسي والاسباني، وأن آباء المغرر بهم في مخيمات تيندوف بذلوا دماءهم وأرواحهم في سبيل عودة الصحراء إلى أرض الوطن، وفي الأخير كان لابد من تذكيرهم بأنهم غير مهنيين، وما يقومون به لا يفرق عن الارتزاق في شيء. لم يكن أحد من الحاضرين قادرا على الدفاع عن قضية يعرف الكل أنها مفبركة.

والحقيقة أن الدبلوماسية الموازية التي أطلقناها ككتلة، لعبت دورا مهما في قضية وحدتنا الترابية، من ذلك أننا استضفنا نايف حواتمة، الأمين العام للجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، الذي كان مؤيدا للطرح الجزائري، ونظمنا له كمنظمة عمل ديمقراطي شعبي زيارة ميدانية إلى مدينة العيون وأطلعناه على حقيقة الموقف الجزائري وأطماعه الاقتصادية في المغرب، واكتشف بنفسه استبدادية هذا النظام العسكري، وغير موقفه بعد اطلاعه على الحقائق كما هي بعيدا عن التزوير الذي خضع له من طرف النظام الجزائري.

[29]

حين رفضت
تقبيل يد الحسن الثاني



محمد بنسعيد يسلم على الملك الراحل الحسن الثاني
(مارس 1989)

لمْ يكن أول لقاء يجمعني بالحسن الثاني، عندما دخلت إلى المغرب في بداية الثمانينات جيدا. وانطلاقا منه سيتأسس نوع من سوء التفاهم وغياب الود ساد العلاقة بيننا منذئذ. كان ذلك بمناسبة سفرنا إلى أديس أبابا للمشاركة في مؤتمر منظمة الوحدة الإفريقية، الذي سينسحب منه المغرب جراء دعوة البوليساريو في تلك الدورة وحسبانها عضوا في المؤتمر.

كان اللقاء بالإقامة الملكية بفاس لتوديع الوفد المغربي المشارك في أشغال مؤتمر البلدان الإفريقية، وحضره الأمناء العامون للأحزاب المغربية الذين كانوا سيسافرون إلى العاصمة الاثيوبية.

ما يقرب من ربع قرن لم أر فيه الحسن الثاني، منذ آخر لقاء لي معه أواخر الخمسينات من القرن الماضي.

كان الآخرون يتقدمون ويسلمون بالانحناء على يده وتقبيلها. وجاء دوري فاكتفيت فقط بوضع يدي على كتفه ... لكن ما إن هممت بالانصراف حتى استوقفني وسألني بنبرة ذات مغزى: "شكون أنت؟" فكان أن أجبت بنفس النبرة: "بنسعيد" ... وانصرفت.

عند عودتنا من أديس أبابا كان ثمة لقاء آخر مع الملك، لقاء دولة سيحضره الوزراء وكبار الجيش وشخصيات معروفة وموظفون سامون، فكرت وقلت مع نفسي، الأفضل أن أتحاشى التسليم على الملك حتى لا يعاد نفس السيناريو السابق، وتلافيا لأي موقف لن يزيد الأمور إلا تعقيدا...غير أن ادريس البصري بعث لي بأحد العمال يبحث عني وذلك من أجل أن يبلغني بضرورة تقبيل يد الملك وقت السلام عليه مثلي مثل الآخرين.

وضعت كلام وزير الداخلية جانبا، وأعدت تماما ما قمت به في السابق، وضعت يدي على كتف الحسن الثاني وهممت بالانصراف، إلا أنه استوقفني ودنا مني وهو يقول: "راه المخزن عندو تقاليد خصك تحترمها"! لم أجبه وذهبت لحال سبيلي.

لحق بي بنسودة حتى تداركني فقال لي هو الآخر أن ثمة تقاليد علي الالتزام بها في حضرة الملك، وأن البرتوكول يقضي بأن أنحني على الكتف وأقبل يده. فكان جوابي أني لا أعرف شيئا عن هذه التقاليد، وأني لم ألتق الحسن الثاني منذ سنوات طويلة. ثم جاء ادريس البصري وطلب مني ألا أنصرف حتى يراني، لأن عنده ما يريد قوله لي.

لما عاد بعد فترة من الغياب بادرني قائلا: آش هاذ الشي درتي لينا مع سيدنا؟ سألته بدوري: آش درت؟ فأعاد علي حكاية عدم تقبيل يد الملك. قلت للبصري: أنا ماشي جديد في هاذ البلاد، باش تجي تعلمني أنت آش غادي ندير، وليس لي أية مشكل مع الملك، أما أن أقبل يده أو لا فهذا أمر يخصني لوحدي ولا يهم أي شخص

آخر سواي. ولذلك، ليس لك الحق في أن تتدخل في شأن يعنيني وحدي. لكنه طلب مني أن آتي عنده في مقره وأطلب منه التوسط بيني وبين الملك حتى يقبل مني الاعتذار عن عدم تقبيل يده، فكان جوابي واضحا: لن آتي عندك ولا يوجد هناك ما أعتذر عنه. هنا احتد وهو يطلب مني ألا أجيء مرة أخرى إلى الملك، وبدوري لم أتركها تمر دون جواب مني، فذكرته أني لم أطرق يوما باب القصر، ولم آت إليه يوما من تلقاء نفسي، بل فقط حين تتم دعوتي.

لكن البصري سيعود ليقول في الأخير: "يمكنك إذن أن تطمئن، فلن يعود أحد لدعوتك مرة أخرى بعد اليوم". قلت معقبا "إنكم ستوفرون على الجميع ما يمكن أن تسببه لي ولكم مثل هذه الدعوات".

كانت المسألة بالنسبة لي مسألة كرامة أولا وأخيرا. "أنا ماشي شايط باش نبوس ليدين"، ولا أملك سوى كرامتي.

ولأن حضوري كان ضروريا في بعض المناسبات، بعد هذا، فقد اضطروا لدعوتي، وحين يجيء دوري كنت أقوم بانحناءة خفيفة على مسافة من الملك، الذي لم يكن لينظر جهتي، فما كان يرضيه سوى تقبيل اليد. انقطعوا عن دعوتي مدة، ولن يعودوا لدعوتي من جديد إلا إن كانت ثمة مناسبة لها علاقة بقضية الصحراء.

كان ثمة لقاء آخر بيننا بأرفود. وقبل مجيء الحسن الثاني، كان ادريس البصري قد استدعاني وقال لي بصريح العبارة " خصك تبوس يد سيدنا فهو الذي طلب مني ذلك". قلت له: إني سأحترم البرتوكول أما تقبيل اليد فلا شأن لأحد به غيري، فأصر من جهته على أن أقبل اليد، وألححت من جانبي على التزامي بالبروتوكول وكفى، ولوح من جديد بورقة الحضور، فعدت لتذكيره بأن حضوري يكون دوما استجابة لدعوة منهم. ثم جاء الملك وتقدمت للسلام عليه... نفس الانحناءة الخفيفة على مسافة منه، ونفس رد الفعل منه؛ لم يعجبه الأمر.

شيء مفرح أن يسود اليوم نقاش عمومي حول تقبيل اليد، الأمر الذي لم يكن متاحا في السابق وكنت أتمنى أن لا يقبل الملك، وهو ملك عصري وشاب، مثل هذا الأمر، فتقبيل اليد من أمارات الخنوع، ويرتبط بامتهان كرامة الإنسان، لا يتعلق الأمر بتقليد اختاره الناس، ولا بطقس ارتضاه الشعب طواعية. أما وهو أمر مفروض، فالكل يقبل اليد إما خوفا أو طلبا لمصلحة أوتزلفا.

وأنا أعتبر أن تقبيل اليد مسألة مهينة يجب التخلص منها، لأن ثمة طرقا كثيرة لإظهار الاحترام لشخص الملك دون اللجوء ضرورة إلى تقبيل اليد، كما أنهم في الخارج يعيبون علينا مثل هذه القضية، ولعل إثارة النقاش حولها في وسائل الإعلام العمومي وفي الفضاءات العامة والصحافة المكتوبة أمر محمود يؤشر إلى تغييرات بدأت تطال العقليات، وتفتح الطريق لأشياء أخرى لها علاقة بكرامة المواطن وبحقوقه.

ليس ثمة من شخص مقدس كما لا فرق بين إنسان وآخر، هذا هو المبدأ الذي يمنعني من تقبيل اليد. وأعتبر أن من يفعل ذلك ويرضى به شخصيا مهدور الكرامة، ومن يكون هذا شأنه تهون عليه أشياء أخرى، ولا يستطيع أن يدافع لا عن نفسه ولا عن الغير ولا عن الحق.

قد يحدث أن أقبل رأس شخص، امرأة كانت أو رجلا، يكبرني في السن احتراما له وتقديرا، غير أن المسألة لا تكمن في تقبيل اليد في حد ذاتها، وإنما في كون هذا التقبيل يأتي عن طريق التعليمات والإلزام، وتلك هي الإهانة بعينها.

كان تقبيل اليد بالنسبة لي وسيبقى تكريسا بالملموس للانهزام، وأخطر منه، استبطانا لفكر وروح الانهزام والخضوع، وهذا ما لم ولن أرضاه لنفسي.

[30]

الكتلة الديمقراطية
الكتلة تنجح في حمل النظام
على تقديم تنازلات



لقاء بفرنسا (شهر مارس 1995)، أعقبه عودة محمد البصري
إلى المغرب.
في الصورة من اليسار إلى اليمين: المرحوم الراحل باهي محمد حرمة، محمد اليازغي، عبد الرحمن اليوسفي، المرحوم الراحل امحمد بوستة، المرحوم الراحل محمد البصري، محمد بنسعيد ومحمد نوبير الأموي

كَانَ طبيعيا أن ينتهي التنسيق بين الأحزاب الوطنية في البرلمان وفي محطات أخرى، إلى تشكيل إطار سياسي يجمعها ويوحد مبادراتها. وفعلا انبثقت الكتلة الديمقراطية في ماي 1992 من هذا الأساس المشترك ومن الحاجة التاريخية إليها للضغط أكثر على نظام الحكم وتقديم مشروع مجتمعي جديد، قوامه الديمقراطية والعدالة الاجتماعية. وكان مفهوما ألا يتحمس لها الحسن الثاني، وأن تشكل بالنسبة له مصدر إزعاج في مشهد سياسي سعت السلطة بكل الوسائل لإضعافه وجعله منقسما على نفسه متشرذما، يعج بالأحزاب الطفيلية التي كانت تفرخها وزارة الداخلية لتمييع الحياة السياسية وإفقادها كل معنى.



عندما حررت الكتلة الديمقراطية في اجتماع تاريخي بالمركز العام لحزب الاستقلال نص بيان إعلانها (25 ماي 1992)

في الصورة من اليمين إلى اليسار:
عبد الرحمان اليوسفي الكاتب الأول للا.ش.ق.ش.
الراحل علي يعتة الأمين العام لحزب التقدم والاشتراكية
الراحل محمد بوستة الأمين العام لحزب الاستقلال
الراحل عبد الله إبراهيم الأمين العام للا. و. ق.ش.
محمد بنسعيد الأمين العام لمنظمة العمل الديمقراطي الشعبي
محمد اليازغي نائب الكاتب الأول للا.ش.ق.ش
محمد الدويري نائب الأمين العام لحزب الاستقلال

وقد لعبت منظمة العمل الديمقراطي الشعبي دورا إيجابيا إلى جانب الأحزاب الوطنية الأربعة الأخرى (حزب الاستقلال، الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، حزب التقدم والاشتراكية والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية) وعلقت الجماهير آمالا عريضة على الكتلـــة ودعمتـها شرائح واسعة من الشعب المغربي وباركت ميلادها وتوجهاتهـا التي لم تكن في حقيقة الأمر إلا ترجمة لأحلام الأكثرية من المغاربة.

وقد برز هذا الاحتضان في كل التجمعات الجماهيرية التي نظمتها، وكانت فيها الاستجابة الشعبية كبيرة ولافتة. ويكفي أن أذكر أن مظاهرتين اثنتين تجاوز في كل واحدة منهما العدد المليون متظاهر، حتى إن إحداهما، وكانت من أجل دعم الشعب العراقي في الحرب الدولية المعلنة ضده، استفزت الرئيس الأمريكي شخصيا.

في هذه الحرب كان النظام قد بعث بجزء من الجيش المغربي إلى السعودية، ولم يجد الحسن الثاني بُدّا من إيفاد أحمد العلوي إلينا ليقنعنا بأن الجيش ذهب ليحمي السعودية لا ليحمي المصالح الأمريكية كما كان رائجا وقتذاك. وكانت تلك قناعتنا فعلا، كما أُبلغنا أن الملك يطمئننا بأنه لن يشارك في الحرب على العراق. أسوق هذا المثال لأبين أي وزن كانت تتمتع به الكتلة الديمقراطية ومدى الضغط الذي صارت تشكله على النظام، فأمام المد الشعبي الكبير الذي أمست تتقوى به، اضطر الحسن الثاني إلى تقديم الكثير من التنازلات، منها إطلاق سراح عدد من المعتقلين السياسيين وإعطاء الضوء الأخضر لعدد من المنفيين ليعودوا إلى أرض الوطن، وتحقيق انفتاح نسبي على مستوى الإعلام، وما إنشاء القناة الثانية سوى نموذج لسياسة الانفتاح تلك، وقاطرة لبداية إصلاح لم يكتب له أن يذهب إلى المدى كان يجب أن يذهب إليه.

وفي تلك الآونة برز مشكل ما يسمى بالرقابة الذاتية، وهو مشكل موروث عن عقود من تكميم الأفواه وقمع الناس ومصادرة حرية التعبير، وترهيب صاحب كل فكر لا يوافق هوى الحاكمين والدائرين في فلكهم. وموازاة مع هذا الانفتاح النسبي استمر

النظام في مضايقاته لنا خصوصا على المستوى الاقتصادي، إذ كان حريصا على تجريد أحزاب الكتلة من كل وسائل العمل، مصرا على ضرب طوق من الحصار على تحركاتها، وكانت تعليمات للإدارة في جميع التراب الوطني بافتعال مشاكل ووضع عراقيل أمام مناضلي الأحزاب الوطنية.

الكتلة تقدم مذكرة بالإصلاح الدستوري إلى الحسن الثاني

كان من أهداف الكتلة تغيير النظام السياسي القائم بآخر ديمقراطي، من شأنه محاربة الفساد المستشري في كل دواليب الدولة والمجتمع وتحقيق العدالة الاجتماعية، التي كانت الجماهير تتطلع إليها بشغف. وما الإصلاح الدستوري إلا واحد من أهم المداخل لتحقيق هذه المرامي. لذلك ستتقدم الكتلة الديمقراطية، في أواسط التسعينات، بمذكرة للإصلاح الدستوري إلى الحسن الثاني، وكان كل من حزب الاستقلال والاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، قد تقدما بشكل مشترك قبل إنشاء الكتلة، بمذكرة دستورية، إلا أن مذكرتنا الجديدة كانت أكثر تقدما منها.

لقد ضمنا مذكرتنا مفاصل أساسية وضرورية لكل إصلاح دستوري يروم أن يكون جوهر الحكم ديمقراطيا، بحيث كان ثمة تنصيص على الفصل بين السلط، مع التشديد على استقلالية القضاء، وطالبنا بإنشاء هيأة للتحكيم يصبح بموجبها الملك وسيطا يتدخل في الحالات التي تكون فيها الدولة في موقع الظالم، اقتراح شبيه بديوان المظالم الآن إلا أنه أنجع. وضمنا المذكرة أيضا مطلبا يلح على ضرورة أن يتمتع البرلمان المغربي بكل الصلاحيات المخولة له في الأنظمة الديمقراطية، وأن يكون مؤسسة موحدة مع إلغاء الاقتراع غير المباشر فيما يخص الثلث الذي ينتخب منه بهذه الطريقة.

وقد جاءت دعوتنا إلى أن يكون الاقتراع المباشر شاملا لكل أعضاء البرلمان، بموازاة مطالبتنا بإنشاء مجلس اقتصادي واجتماعي لتعويض ذلك الثلث الخاص بالمهنيين.

لقد تم تأسيس المجلس الثاني المسمى بمجلس المستشارين كاحتياط كان المراد منه ألا تنال المعارضة الوطنية الأغلبية، وهو ما اتضح بجلاء من خلال منحه نفس صلاحيات الغرفة الأولى. وقد اعتبرنا من جهتنا ككتلة هذه الغرفة خطوة غير جدية من طرف الحسن الثاني وانتقدنا هذا التصرف الذي لم يكن يحمل لنا أي احترام.

ولم يكن ممكنا تقديم مذكرة بالإصلاح الدستوري دون تضمينها نقدا للفصل 19 من الدستور المعمول به. كان ذلك مدخلا للتنصيص على ضرورة توفر الوزير الأول على كامل الصلاحيات التي تخول له العمل وإدارة شأن البلاد، لا أن يكون مجرد واجهة لحكومة أخرى، غير منتخبة، تعمل في الظل.

وقد تفهمنا في هذا السياق أن تبقى مقاليد الجيش المغربي وقضية الوحدة الترابية في يد الملك، إلا أننا ألححنا في المقابل على سلطة الوزير الأول في تعيين الوزراء وفي إقالتهم، وكذلك الأمر في تعيين الموظفين الساميين والولاة والعمال ومسؤولي وزارة الخارجية وأدرجنا في تلك المذكرة نقطة تقضي بألا تبقى أي وزارة سيادية خارج إطار تبعيتها لمؤسسة الوزير الأول. حقيقة لم نصل في تلك المذكرة إلى الحد الذي يسود فيه الملك ولا يحكم، لكنها كانت خطوة مهمة جدا من جانبنا.

لم يجبنا الحسن الثاني بأي جواب، بل قام بتهييء دستور جديد وضمنه مشروع برلمان بغرفتين، وهنا برز بحدة مرة أخرى مشكل الثقة بيننا وبينه، وبدت لي هذه مفارقة حقيقية: كيف أن الملك، وهو الذي يقبض على كل شيء في يده ويتحكم فيه، يطالبنا بأن نثق فيه ونفعل ما يريد، في حين أننا نحن الذين لا نملك أي سلطة علينا أن نبرهن على حسن نيتنا فنمنحه هذه الثقة دون أن تكون لنا أية ضمانات، تماما كمن يمنح شيكا موقّعا على بياض؟

نعم، لقد منحناه هذه الثقة في محطات عدة، إلا أنه كان دائما يخذلنا مرة تلو المرة، فكان طبيعيا أن نفقد الثقة في النظام خصوصا أنه لم يسبق له أن قدم تنازلات من جهته للتعبير عن حسن نيته، وتدشين مسلسل الإصلاح، بل كان يرى أن ما يقوم به هو الإصلاح الحقيقي، في حين أن الأمر كان يتعلق بمزيد من تركيز السلطة في يده وخدمة طبقة من المستغلين المحيطة به، وحماية المفسدين الذين أوصلوا البلد إلى وضع كارثي في نهاية المطاف.

فلننظر نحن، ولينظروا هم بالخصوص، كيف أن الملك محمد الخامس رحمه الله وضع كل ثقته في شعبه وفي قواه الوطنية والتحم بقضاياه، وعندما انتزعه الاستعمار الفرنسي من عرشه لم يتخل هذا الشعب عنه، بل فجر الكفاح المسلح وبذل من الأرواح والدماء إلى أن أعاده إلى العرش الذي أبعد منه.

[31]

دستور 1996 يتسبب في تصدع الكتلة ويأتي بحكومة التناوب
الاستفتاء وتصدع الكتلة



"الكتلة الديمقراطية" [(ناقص واحد) الاتحاد الوطني للقوات الشعبية]

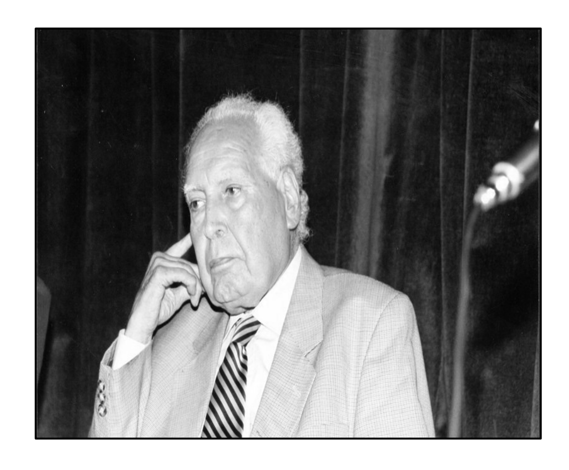


"الكتلة الديمقراطية " [(ناقص إثنين)الاتحاد الوطني للقوات الشعبية ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبيٍ]

كُنْتُ أنا من أقنع الراحل عبد الله إبراهيم، بضرورة انضمام حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية إلى الكتلة الديمقراطية، حتى يلتئم شمل الأحزاب الوطنية وتناضل يدا في يد من أجل مشروعها السياسي والمجتمعي الذي حملته معها منذ عقود.

كانت لي عنده حظوة يخصني بها، فالرجل كان أستاذا لي ثم صار صديقا، جمعتنا المحبة الخالصة والتقدير المتبادل والصدق الذي لا تشوبه شائبة ولا يعكر صفوه أي حدث سياسي. والحق يقال، أن الرجل لم يكن راغبا في الانضمام إلى الكتلة الديمقراطية، إلا أن إلحاحي عليه جعله في الأخير يتراجع عن موقفه، ويضع يده

الملك الراحل الحسن الثاني يستقبل الكتلة الديمقراطية
في الصورة محمد المريني، عبد الواحد الراضي، محمد بنسعيد، محمد اليازغي، الفقيد امحمد بوستة ومحمد الدويري



الفقيد الراحل القائد عبد الله إبراهيم

في يد رفاقه في قيادات الأحزاب الوطنية الأخرى. لقد كانت دفوعات عبد الله إبراهيم في الرفض، أن بعض مؤسسي الكتلة كانوا يرون فيها مجرد إطار لعمل تكتيكي يضغطون به على النظام من أجل الحصول على بعض المكاسب السياسية ليس إلا. في حين كان هو يربأ بنفسه عن هذا الأسلوب ويعتبر أن الكتلة إن لم تكن إطارا سياسيا له أهداف استراتيجية، فإنها لن تذهب أبعد مما يقف عنده أي عمل يروم تحصيل مكاسب آنية، وبذلك يكون ثمن هذه المغامرة مكلفا للجميع.

مع الأسف الشديد، لم يمض على تأسيس الكتلة إلا سنوات قليلة حتى صدقت رؤية عبد الله إبراهيم ولنجد أنفسنا عند مفترق طرق.

كان الاستفتاء على دستور1996هو سبب التصدع الذي سيصيب الكتلة الديمقراطية، وستصل تبعاته حتى البيت الداخلي لمنظمة العمل الديمقراطي الشعبي، بل أذهب أبعد من هذا، وأقول إن الموقف من الاستفتاء على الدستور الممنوح، أحدث تأثيرا كبيرا على الساحة السياسية، وما زلنا إلى اليوم نعيش على إيقاع تداعياته السلبية. وكان يمكن، لو لم تلعب الأوهام برؤوس بعض القادة، أن نكون قد نجحنا بدون شك في أن نكتب بخطوط عريضة عنوان مرحلة ديمقراطية حقيقية في البلاد مبنية على قواعد متينة.

كانت الصفقة التي أعلن عنها النظام على الشكل التالي: يصوت الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية لصالح دستور 1996، لأول مرة في تاريخه، وبعدها... أي بعد أن يكون السبع قد أكل ما أكل، سيُقْدِم الحسن الثاني على تنازلات لا شيء فيها محدد ولا مضمون...يعني مغامرة، ومقامرة، كمن يمضي شيكا على بياض... وتفجر الخلاف... قالوا: نمنح ثقتنا مرة أخرى ونبين حسن نيتنا وننتظر...

كان ردي هو: ما الذي يجبرنا على ذلك، نحن معنا الجماهير التي ساندتنا بقوة في العديد من المحطات، وقِسنا بها، حين أصبحنا كتلة، مدى الشعبية التي أصبحت لنا بفضل نضاليتنا ووقوفنا لعقود في وجه الاستبداد، ولا شيء يجبرنا على قبول دستور لم يأت بجديد، بل يستنسخ كل نصوصه السابقة... ثم هناك البرلمان الذي أصبح بغرفتين، وكان وحده إشارة كافية ليفهم المرء أن النظام غير مستعد لتقديم أية تنازلات جوهرية...

لكن مشكلتهم أنهم كانوا يخافون الجماهير، وكانت تحركهم أوهام، وأنا رميت بكل ذلك في وجوههم.

ثم لماذا لم يجبنا الحسن الثاني على المذكرة الدستورية التي تقدمنا بها إليه، وكانت غنية بالإصلاحات؟ هو لم يرد لا بالسلب ولا بالإيجاب. تجاهلنا كأننا لم نقدمها له من الأصل، ثم في الأخير، يُنزل علينا من علٍ دستورا على المقاس الذي يريد، ويطلب منا التصويت عليه حتى يستطيع تقديم تنازلات...؟

كان رأيي أن نصارح الجماهير بكل ما يدور في الكواليس، وأن يفتح نقاش علني حول كل الاختيارات المتداولة، ويعرف الناس حقيقة الحوار الدائر مع الملك، وبذلك ندشن عهدا جديدا نخرج به القضايا الكبرى المصيرية للبلاد والشعب من عتمة الدوائر الضيقة المغلقة ومن سرية المطابخ حيث تختلط وتلتبس الحقائق بالأكاذيب والأوهام حتى تكاد معالمها تطمس وتضيع.

كان التحجج بالوضع الكارثي الذي بلغته البلاد، لتبرير كل موقف سيتخذ من بعد. لكن ألم يكن هذا الوضع نتيجة منطقية للسياسة التي كان يتبعها نظام الحسن الثاني على مدى أربعين عاما، حيث خلق أجهزة ومؤسسات وواقعا منخورا بشتى أنواع الفساد، ولم يعد هو نفسه قادرا على التحكم فيه، لذلك فإن أي تغيير لن ينفع ولن يؤتي أكله، ما لم يكن جذريا ومبنيا على اتفاق واضح بين الكتلة والملك...

كانت مذكرتنا الدستورية عتبة تأسيسية لتدشين إصلاح حقيقي، إلا أن لإخوة في قيادة الكتلة الديمقراطية مالوا إلى الصفقة التي عرضها عليهم النظام.

كان بالإمكان تحقيق مكاسب سياسية للحركة الوطنية مع الحسن الثاني، لكننا ضيعنا الفرصة بسبب أوهام البعض، فالملك الراحل كان له استعداد في أخريات حياته ليشركنا معه في الحكم وقد عرض علينا في الأول أن نقود حكومة أقلية، بعد أن يفرض على الأغلبية التصويت لصالحنا، غير أننا لم نقبل بسبب تشبثه بوزير داخليته إدريس البصري، ثم عاد في الحوار الثاني معه عام1994، ليقول لنا بلسانه إنه يرغب في أن نحكم معه ما تبقى له من العمر، وكان جادا في ما قال، لأنه كان محتاجا إلينا بالفعل.

في مثل هذه اللحظات التي لا تتكرر، كماء النهر الذي لا يمكن أن يجري مرتين تحت نفس الجسر، كان علينا أن نطرح شروطنا كاملة وواضحة فنحقق للبلاد وللوطن وللملكية نفسها شروط انتقال ديمقراطي فعلي وحقيقي. إنما، للأسف، لم تكن الأطراف الأخرى في المستوى، وكبر عليها أن تقف مع الحسن الثاني ندا للند... نسيت أن الملك ليس مقدسا، وأنه في آخر المطاف إنسان. هو حقيقة وبدون شك حاكم وله سلطة، ولكنه في النهاية من صنف البشر ولا يفرق عنا في شيء. ثم إن التاريخ يعلمنا أن كثيرا من القوى التي تسعى للتغيير، قد ترتعب أحيانا مما تصنعه أيديها هي نفسهاعندما تنظر إلى ما تفجره من طاقات وإمكانات بعين التوجس والخشية من فقدان السيطرة عليها.

حين قبل الحسن الثاني بالتفاوض معنا، كان علينا أن نفكر في الأمور بهذا المنطق، ما هو حجم التنازلات التي يمكننا أن نقدمها، وبالمقابل ما هي التنازلات التي علينا أن ندفع الملك ليقدمها هو الآخر. هذا هو منطق الحوار والتفاوض.

طرحت معهم هذا الموضوع وطلبت منهم أن نعرض عليه اتفاقا يتضمن شروط مرحلة انتقالية، يوضع فيها دستور جديد يمهد لتأسيس نظام ديمقراطي، ويشـــرع في

إصلاح جذري للإدارة، وكنا هيأنا 60 قضية تهم الإصلاح لم يسبق أن أدرجت ضمن الغلاف المالي للميزانية العامة. كان كل جهاز من أجهزة الإدارة منخورا حتى النخاع، بالإضافة إلى سيادة قيم الزبونية والمحسوبية والعلاقات الريعية، وكان من شأن هذا الإصلاح أن يعيد الثقة للناس ويحسسهم بأنهم يساهمون في إعادة بناء المجتمع والدولة، بروح جديدة وبأمل في المستقبل. لكن يبدو أن عددا كبيرا من الأطر في الأحزاب المعول عليها في الإصلاح، كان همُّهم هو الوصول بسرعة واستعجال قطف ثمار النضال وحصد المكاسب.

تناوب... مزيف

حاول الإخوة في الكتلة إقناعي بموقفهم لكن دون جدوى، كانت الكتلة وقتها قوية وكان سهلا أن تحشد الرأي العام خلف أي اختيار تختاره، ولو كانت وقفت في وجه دستور 96 لساندتها أغلبية الشعب المغربي، ولكانت وضعت أسس مرحلة ديمقراطية بمعنى الكلمة. فالمغرب وقتها كان في عنق الزجاجة، والملك اعترف بنفسه بأن البلد مهدد بالسكتة القلبية. إلا أن الذي وقع هو العكس، فتمت التضحية بالكتلة الديمقراطية على مذبح مكاسب شخصية وأوهام سياسية. فهل حققوا ما كانوا يصبون إليه؟

ليعترفوا أولا بأنهم في اللحظة التي صوتوا فيها على الدستور الممنوح فقدوا كل مصداقية. لقد قبلوا بقواعد اللعبة التي وضعها الحسن الثاني؛ حكومة تناوب مفصلة

على المقاس الذي أراده هو، وتناوب مزيف أطلقوا عليه وصف "توافقي" لأنه بني على أسس غير سليمة. فالأغلبية التي حكم بها عبد الرحمان اليوسفي لم تكن أغلبية منسجمة، نابعة من حزبه ومن الأحزاب الحليفة له وفق برامج وتوجهات مشتركة

وتقارب أيديولوجي، كما كان يجب أن يكون عليه الأمر، وإنما هي أغلبية ملقوطة من أحزاب الدولة.

كان عبد الرحمان اليوسفي يستدعيني دوما، عن طريق محمد بوزوبع، من أجل أن أحضر اجتماعات الأغلبية، غير أني كنت أرفض. كان يسعى للحفاظ على أغلبيته إلى حين نهاية الدورة وكان يعرف أنها أغلبية مزيفة، منحها له النظام ليظل تحت مراقبته، حتى إذا ما تجاوز بعض الحدود سحب من تحت أقدامه البساط. لذا كان الأولى رفضها من البداية.

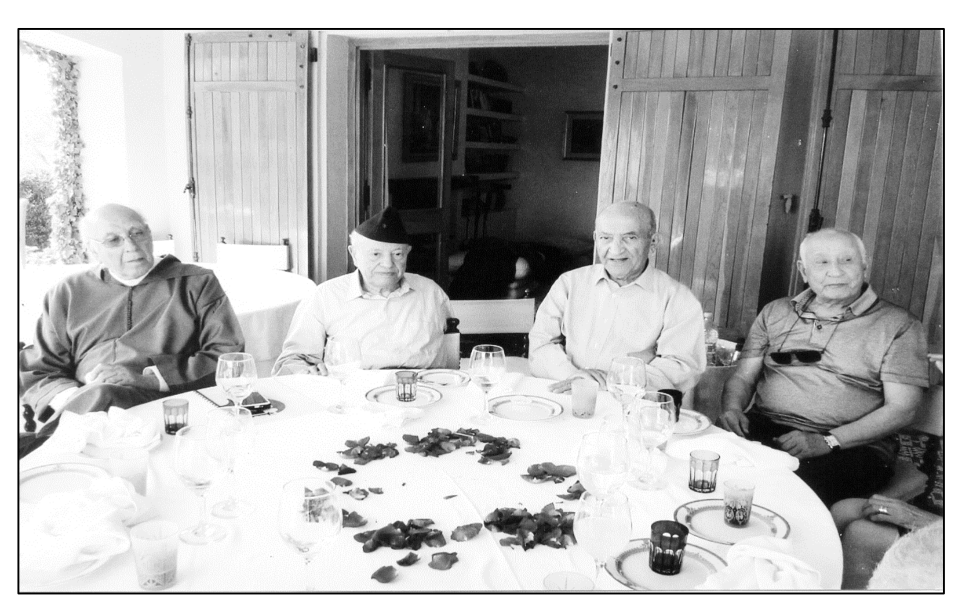
وبالرغم من أن التناوب لعب دورا إيجابيا في انتقال السلطة بسلاسة من الحسن الثاني إلى محمد السادس، فإنه كان من الأخطاء القاتلة التي ستدفع الأحزاب الوطنية والتقدمية ثمنها غاليا فيما بعد، وستطوّح بها في نفق مظلم لتتقاذفها بالتظافر تيارات الانشقاقات والتآكلات الداخلية ويستبطن عدد من قياداتها قدرا هائلا من بنية وثقافة الأحزاب الإدارية.



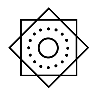
محمد بنسعيد، نبيلة منيب الأمينة العامة للحزب الاشتراكي الموحد،
أحمد بنكيران وفرح عبد المومني
من الناشطات في حركة "20 فبراير"



من اليسار إلى اليمين: ماهر الشريف القيادي في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، محمد مجاهد أمين عام سابق للجزب الاشتراكي الموحد، محمد الساسي من قادة الاشتراكي الموحد وحركة اليسار، محمد بنسعيد وعزمي بشارة



في ضيافة أحمد بنكيران في مراكش
من اليمين إلى اليسار: أحمد بنكيران، عبد الرحمان اليوسفي
محمد بنسعيد وعبد السلام الجبلي



[32]

انشقاق
منظمة العمل الديمقراطي الشعبي
وتوحيد اليسار



آخر كتابة وطنية (مكتب السياسي) لمنظمة العمل الديمقراطي الشعبي،
منبثقة عن المؤتمر الوطني الرابع المنعقد بالمحمدية في مارس 2000
(بعد انشقاق 1996).

في الصورة من اليمين إلى اليسار:
مصطفى مفتاح، محمد بولامي، عبد الرحمن زكري، المصطفى بوعزيز، مصطفى مسداد، محمد بنسعيد، أحمد السباعي، عائشة خمليش،
عبد اللطيف اليوسفي، محسن عيوش، إبراهيم ياسين ومحمد بودلال

كَانَ من التداعيات السلبية لحكومة التناوب التوافقي، إعطاء أحزاب الإدارة المفبركة من طرف الدولة كامل الشرعية، وتسويتها بالأحزاب الوطنية. وقد عشنا حتى صرنا نرى هذه الأحزاب تحصل على نسب مهمة من الأصوات في الانتخابات، دون تدخل من وزارة الداخلية لطبخ النتائج. لكن قبل الوصول إلى هذه الصورة من العبث السياسي، عاشت منظمة العمل الديمقراطي الشعبي محنة حقيقية بسبب موقفها من دستور 1996.

كنا قد وقفنا أمام أنفسنا في امتحان حقيقي عسير، خرجنا منه مستفيدين من درس عظيم اسمه الديمقراطية، أقصد الديمقراطية الداخلية، في منظمة سياسية تسعى إلى الديمقراطية وتطالب بالديمقراطية في الدولة. كانت الأغلبية في اللجنة المركزية قد صوتت بمقاطعة الاستفتاء الدستوري. لكن هذا الموقف المنبثق من صلب

ديمقراطيتنا الداخلية أغضب النظام بقوة مثلما أحرج وأزعج حلفاءنا في الكتلة الديمقراطية، التي قبلت بالصفقة المعروضة عليها من النظام، واختارت التصويت على دستور ممنوح. وكان من نتائج كل ذلك أن أعطيت التعليمات لإخراس صوتنا، فجرى إعدام جريدة "أنوال" بعد 17 سنة من الحضور الإعلامي القوي والفاعل.

ومرة أخرى سيرسل لي الحسن الثاني إدريس البصري، ليدعوني للتراجع عن موقفنا في المنظمة القاضي بالمقاطعة.

بدا وزير الداخلية ملحا وفي صوته نبرة تهديد، وكان علي أن أذكره بأنه مادام النظام يدعي بأنه ديمقراطي، فعليه أن يقبل بمن يعارضه ويختلف عن باقي أحزاب الطيف السياسي الأخرى في المسألة الدستورية، كما ذكرته بالمذكرة الدستورية التي تقدمنا بها للملك ولم يجبنا عنها نهائيا، وبينت له أن القرار ليس بيدي، فبالرغم من كوني الأمين العام للمنظمة، فأنا مجرد مناضل وسط عدد كبير من المناضلين، صوتوا بالأغلبية على المقاطعة. وليس من حقي، مهما كان موقعي، أو موقفي الشخصي، أنا أن أفرض عليهم رأيي.

لم يتقبل البصري هذا المنطق الديمقراطي، لأنه لا يؤمن به أساسا، وصعد من نبرته التهديدية وهو يقول لي إننا إن لم نغير موقفنا ونصوت لصالح الدستور الممنوح، فسوف يفعل ذلك رفاقنا في الحزب. كان جوابي واضحا، "هداك شغلهم... للي بغا يصوت الله يعاونو".

وكان البصري قد اجتمع ب"رفاقي" هؤلاء كما قال، واتفق معهم، أو هم اتفقوا معه على كل شيء، قبل أن يأتي إلي محمّلا برسالة الحسن الثاني...

كان لهم توجه نحو المشاركة، ويزعمون أن بنسعيد آيت إيدر "سادّ عليهم الباب"، وهذا كذب. هؤلاء، كانوا داسوا على المنهجية الديمقراطية ولم ينضبطوا لرأي

الأغلبية في الحزب، وكل ذلك طمعا وتوهما في مكاسب ما، مقابل مواقفهم الطارئة هذه.

كشف انشقاق منظمة العمل الديمقراطي عام 1996 المناضلين الحقيقيين من أولئك المزيفين، الذين لا يهمهم سوى الدفاع عن مصالحهم الذاتية، ولا يستطيعون إكمال الطريق إلى نهايته، مكتفين بالوقوف في منتصفه واستعجال "الاستفادة" و"قطف ثمار النضال".

ولو لم يقع ذاك الانشقاق لكان للمنظمة اليوم شأن آخر ودور أقوى وأكثر فعالية وتأثيرا...

لكن يبدو أن هذا، كان "تيارا" جديدا اخترق عددا كبيرا من الأطر في الأحزاب الوطنية والتقدمية كانت تريد الوصول بسرعة وتستعجل المكاسب، وتقدم المصلحة الشخصية على المصلحة العامة. في تلك الأجواء الضبابية فقدنا البوصلة، وكان طبيعيا أن نتقهقر إلى الوراء، وتبدّى ذلك في مواقف سيتخذها اليسار فيما بعد، لكن دون أن يكون لها تأثير في الجماهير، لأن أغلب الأطراف في تحالف الكتلة انتقلت إلى الضفة الأخرى.

بعد حكومة التناوب، سيدخل المغرب في مسار انكسار وانهيار خطيرين، كل شيء انقلب إلى عكسه وتراجعنا إلى الوراء، عوض أن نتقدم إلى الأمام؛ فقدت الأحزاب رصيدها من المصداقية لدى شرائح واسعة من الشعب المغربي، لم تعد ثمة ثقة في أحد ولا في شيء. وما المشاركة الضعيفة جدا في انتخابات 2007، سوى نتيجة حتمية لهذه التراكمات والسلوكات الانتهازية، التي ظهرت منذ اللحظة التي صوتت فيه المعارضة التاريخية على دستور ممنوح، ووقع نوع من التهافت على المناصب والمكاسب والغنائم، وتضخمت الرغبة في الاستوزار، متقدمة عن القيم النضالية وإرادة التغيير، وتحقيق العدالة الاجتماعية المفتقدة حتى الآن. لقد كان إحجام

المغاربة عن المشاركة في التصويت في الانتخابات التشريعية عام 2007، جوابا شافيا وكافيا ودرسا بليغا ومؤلما، يعني الجميع بدون استثناء دولة وأحزابا.

توحيد صفوف اليسار

كان المؤتمر الوطني الرابع لمنظمة العمل الديمقراطي الشعبي المنعقد سنة 2000 بالمحمدية قد خرج بعدد من التوجهات أبرزها إطلاق مبادرة لتوحيد تنظيمات اليسار الجذري.

وفي 2002، ستتوحد أربعة فصائل منها هي "منظمة العمل الديمقراطي الشعبي"، "حركة الديمقراطيين المستقلين" و "الحركة من أجل الديمقراطية" ثم "الفعاليات اليسارية المستقلة" وتضم بعض بقايا من مناضلي 23 مارس، يوجد على رأسها أحمد حرزني، فكان المؤتمر التأسيسي لحزب اليسار الاشتراكي الموحد في 2002، الذي أطلق مرحلة انتقالية امتدت حتى 2004، وتولت القيادة فيها هيئة تنفيذية من 20عضوا(5 من كل طرف بالتساوي) حتى تاريخ عقد المؤتمر الوطني الأول لهذا الحزب.

قاد عملية التوحيد من جانب منظمة العمل، بتفويض من الكتابة الوطنية(المكتب السياسي) رفيقنا إبراهيم ياسين بالكثير من الإيمان والحكمة والتجرد وخصوصا من الصبر. وكانت هذه الوحدة تعبيرا عن طموح سياسي، كما كانت في جانب ما جوابا عن الانشقاق الذي وقع في المنظمة.

كانت اللحظة آنذاك، موضوعيا، لحظة اليسار. وكان هذا اليسار، ذاتيا، يعلن الإرادة في إعادة بناء نفسه وتنظيم صفوفه، للفعل في مرحلة سياسية جديدة، اختلطت فيها الأوراق وتداخلت المفاهيم والتصورات وسادها الغموض.

غير أن ماكان مطلوبا من هذا اليسار، سواء لجهة تفعيل الرؤية الاستراتيجية التي وضعها، أو لجهة إعادة المصداقية للعمل السياسي، ورد الثقة للمغاربة في النضال السياسي ـ بعد تجارب ومتاهات أطراف وازنة في اليسار التقليدي ـ وفي المناضلين النزهاء، الذين بقوا قابضين على جمرة الممانعة، ويأبون ركوب تيار الموجة الجديدة الجارف...أو لجهة الحضور في الاستحقاقات السياسية الضاغطة، فضلا عن التدبير التنظيمي اليومي لشؤون التوحيد... كان كل هذا يتجاوز قدرات هذا اليسار الطامح.

وبعد عملية بناء الوحدة بنجاح وبمساهمة من الجميع في الإجمال، ستبدأ مشاكل أخرى تتعلق بتدبير الوحدة في ظل تعدد واختلاف للتجارب التنظيمية بالخصوص. فقد وجدنا أنفسنا نخوض انتخابات 2002، في شروط داخلية صعبة وسياق غير مساعد ولا مشجع إطلاقا.

كنا قبل ذلك، قد حصلنا لوحدنا، كمنظمة عمل ديمقراطي شعبي، على أربعة مقاعد في البرلمان، وعلى ثمانية في المائة من أصوات الناخبين، فيما لم نحصل بالكاد، موحدين كحزب يسار اشتراكي موحد، سوى على ثلاثة مقاعد.

والمثير أن بعض المناضلين كانوا في البداية ضد المشاركة في هذه الانتخابات، لكنهم سرعان ما غيروا موقفهم، بل وطالبوا بتزكيتهم في المناطق التي كان فيها لمنظمة العمل الديمقراطي الشعبي حضور وسمعة سياسية، وقد اعتقد هؤلاء أنهم بترشحهم في هذه الدوائر سيفوزون بسهولة، ولم ينتبهوا إلى ما كان ينطوي عليه موقفهم هذا من مجازفة ومن عدم دراية ب"الانتخابات" في المغرب وما يحيط بها من "علم" و"خبرة"، في صناعة وإخراج نتائجها.

كانت المنظمة في ذلك الوقت قد بلغت حدا متقدما من الديمقراطية الداخلية، كما أسلفت، وأصبح الانتخاب بالاقتراع السري وجو النزاهة هو السائد فيها، بحيث لم تعد ثمة تدخلات ولا لجان ترشيح. بيد أن وحدة هذه الأطراف الأربعة أعادتنا

القهقرى عندما تسربت إلينا معها سلوكات جديدة كنا قطعنا معها بعد أشواط من المران والتمرس الديمقراطيين.

ولا يتعلق الأمر في ذلك ب"الأخلاقيات" فقط، بل أيضا بأشكال من الفهم والممارسة التنظيميين، تبلغ أحيانا حدّ التنافي مع فكرة التنظيم ذاتها بسبب ذلك القدر الكبير فيها من الليبرالية، بالمعنى السلبي للكلمة. فما زال الجميع يذكر مثلا كيف أن بعضا منهم- وبينهم من كان في مواقع قيادية- كانوا منشغلين، في عزّ معركة بناء الوحدة، بالدعوة والعمل بهمّة، لحساب معركة أخرى هي معركة "قتل الأب" كما كانوا يقولون، وكانوا يقصدون طبعا منظمة العمل الديمقراطي الشعبي.

وفي 2005، ستتعزز صفوف حزب اليسار الاشتراكي الموحد، بفضل الوحدة الاندماجية مع تيار "الوفاء للديمقراطية" الذي كان يشكل لفترة حالة أصيلة ومتقدمة سياسيا وأخلاقيا داخل الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، وخصوصا داخل شبيبته التي مثلت توجهاتها حساسية خاصة على يسار الخط السائد فيه لن يتسع لها طويلا صدر هذا الحزب الذي لن يتردد في بترها بعد حين ولسان حاله يقول "أرض الله واسعة".

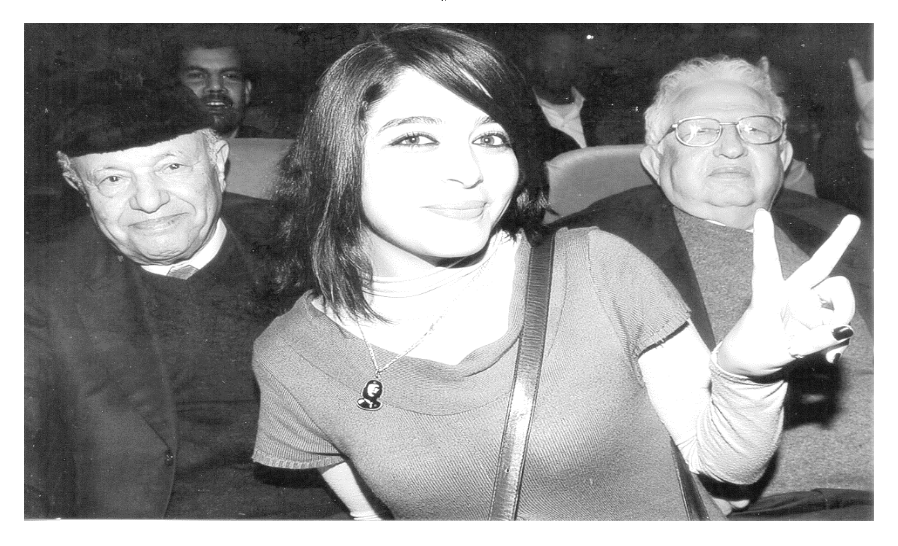
وفي المؤتمر الوطني الثاني المنعقد ببوزنيقة سنة 2007، سيأخذ حزب اليسار الاشتراكي الموحد اسمه الحالي أي الحزب الاشتراكي الموحد.

لقد بذل اليسار جهدا كبيرا لإعادة الثقة في العمل السياسي، إلا أن تأثيراته بقيت محدودة، وهذا طبيعي بحكم ما أشرت إليه سابقا، وأيضا لوجود تركة اجتماعية ثقيلة، الأمر الذي يعني أن أي خطاب سياسي مهما تكن درجة وضوحه واتساقه لم يعد كافيا لوحده، ولابد من عمل نضالي طويل وشاق من ورائه بإمكانه إقناع الجماهير.

وأنا هنا والآن، لا أجد مدخلا مناسبا أفضل من الحركة الشبابية المباركة، وفي القلب منها حركة 20 فبراير التي تضع بين أيدينا فرصة تاريخية لا يجب تفويتها، لاستئناف المعركة من جديد ضد الفساد والاستبداد وتصفية كل الملفات العالقة، وبناء نظام سياسي ديمقراطي تشكل الملكية البرلمانية أحد مداخله الأساسية.



إبراهيم ياسين من قادة اليسار الجديد و منظمة العمل، لعب دورا محوريا في عملية توحيد أطراف اليسار الأربعة في إطار حزب اليسار الاشتراكي الموحد (الحزب الاشتراكي الموحد حاليا)



جيلا بعد جيل... يستمر النضال ضد الاستبداد و"الحكرة" والفساد من أجل الوطن والحرية والكرامة والعدالة الاجتماعية والديمقراطية



محاصرة مقر الحزب الاشتراكي الموحد بالدار البيضاء
الذي كان يحتضن اجتماعات الشباب
في حركة 20 فبراير،
ومحاولة لاقتحامه بالقوة.

[33]

نكبة فلسطين
سبب تفتق وعيي السياسي بالأمس...
والقضية الفلسطينية اليوم هي البوصلة



محمد بنسعيد مع الزعيم القائد الشهيد ياسر عرفات

تونس/ نونبر 1989



محمد بنسعيد مع نايف حواتمة أمين عام الجبهة الديمقراطية

لتحرير فلسطين/ دمشق

كُنْتُ قد بينت في مكان آخر كيف أن جريدة "العلم" فتحت وعيي على النكبة الفلسطينية إبان وقوعها في 1948، وكانت سببا مباشرا في دخولي معترك السياسة وانضمامي إلى حزب الاستقلال عبر بوابة شبيبته في تلك السنة ذاتها.

ولقد تسنى لي، سنوات بعد ذلك، في 1965 وأنا في الجزائر، وقد كانت حينها واحدا من الملتقيات الكبرى لمختلف حركات التحرر الوطني، أن ربطت أولى علاقاتي المباشرة مع منظمة التحرير الفلسطينية بصفتي أحد ممثلي حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية هناك، الذين كان لهم دور نشط في العلاقات الخارجية مع تمثيليات كثير من تنظيمات حركات التحرر تلك الناشطة سواء في الجزائر نفسها أو في فرنسا.

كان ذلك يتم بالتنسيق مع الشهيد المهدي بنبركة الذي كان يشرف على العلاقات الخارجية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية، والذي كان وزنه ورصيده الدولي قد بلغ حدّاً، سيمكنه بالتعاون مع الزعيم القائد جمال عبد الناصر، من تأسيس منظمة تعاون كبرى على مستوى القارات الثلاث أفريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية هي منظمة تعاون شعوب افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

كان في مقدمة مهامنا المباشرة بالجزائر، من ضمن أمور أخرى، التنسيق مع مسؤول حركة "فتح" الفلسطينية بالجزائر محمد أبو ميزر وتنظيم أنشطة مشتركة إعلامية وتعبوية، بمساهمة هامة من الأستاذة سعاد عبد الله، أخت زوجة أبو ميزر، وهي مناضلة سورية فائقة الحيوية والجدية من حزب البعث العربي الاشتراكي ومبعوثة من قيادة هذا الحزب لمتابعة نشاط الثورة الفلسطينية مع انطلاق عملها المسلح ضد الكيان الصهيوني الغاصب.

وللحقيقة والتاريخ، وبصرف النظر عن لماذا وكيف، وعن الرهانات والحسابات الفعلية أو المفترضة، لم تجد المقاومة الفلسطينية الوليدة منذ البداية الدعم الكامل سوى من حزب البعث، جناح صلاح جديد قائد الحزب وزعيمه ورئيس حكومة سوريا وإبراهيم ماخوس وزير خارجيته ويوسف زعين، إلى جانب نور الدين الأتاسي رئيس الدولة آنئذ، ومن نظام أحمد بنبلة في الجزائر، فضلا عن مصر بقيادة الضباط الأحرار، ليقوموا بتحدي غطرسة الكيان الصهيوني واستمرار طغيانه وإهانته للكرامة الفلسطينية والعربية والإسلامية ولكرامة كل أحرار العالم. وكان شرفاء الجيش المصري قد كشفوا فضيحة الأسلحة الفاسدة، قبل أن يستقبل الرئيس عبد الناصر الشاب أبا عمار (ياسر عرفات)، مما مثل انتصارا كبيرا كان له أثر إيجابي قوي بالنظر لما كانت تمثله مصر من ثقل بشري وحضاري وما كان النظام الناصري يحظى به من وزن داخل حركة التحـــرر في العالم العربي والعالم الثالث وعلى المستوى الدولي،

وفي وقت كان قطاع غزة ما يزال تحت إدارة السلطة المصرية، ولم يكن الكيان الصهيوني العنصري الغاصب قد احتله بعد.

خلال هذه التطورات السريعة لصالح قادة حركة "فتح"، كنا قد استدعينا كوفد اتحادي في الجزائر من قبل قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي السوري بمناسبة احتفال الشعب السوري بذكرى 14 آذر (مارس) 1967. وكانت تلك الزيارة فرصة مهمة لتجديد علاقات الاتحاد بكل من حزب البعث الاشتراكي كحليف طبيعي من نفس الحساسية الإيديولوجية، وللقاء قائد الانتفاضة الفلسطينية أبو عمار من أجل تقوية النضال المشترك الذي كان الاتحاد قد دشنه بالجزائر في بداية سنة 1965.

شكلت هذه اللقاءات مع قيادة حزب البعث العربي الاشتراكي في سوريا ومع قيادة "فتح" إنجازا مهما للاتحاد الوطني للقوات الشعبية في توسيع دائرة علاقاته الخارجية.

رحب بي القائد ياسر عرفات ترحيبا حارا، وأبى إلا أن يرافقني في عيادة عدد من المقاومين أصيبوا بجروح بعد أن قاموا بعمليات واجهوا فيها أسلحة العدو المتطورة بأسلحة متواضعة، وبما لا حدود له من إيمان واستعداد للتضحية.

كنت قد سمعت عروضا بالمناسبة عن الأعمال البطولية التي تقوم بها حركة " فتح" في قلب مواقع الاحتلال، وعن التحديات التي يواجهها المقاومون من جيش عدو مجهز بأحدث ألأسلحة والتقنيات وأكثرها فتكا، وكيف يعوضون باعتمادهم ضده على حرب عصابات تستنزف العدو وتربكه. وقد سرني كثيرا ما تبادلته من حديث مع أولئك المقاومين، وأعجبت أيما إعجاب بمعنوياتهم العالية وقوة إيمانهم ليس فقط بعدالة قضيتهم بل أيضا بحتمية انتصارهم مهما طال الزمن.

من جانبهم، رحب بنا رفاقنا في حزب البعث العربي بسوريا بحفاوة كبيرة ووضعوا رهن إشارتنا مرافقين من الحزب لزيارة عدد من مواقع سوريا التاريخية واللقاء بقادة

فروع الحزب في عدد من المدن التي زرناها، قبل أن يختتم البرنامج بلقاء مع قيادة الحزب حضره الكاتب العام للحزب صلاح جديد ورئيس الحكومة الأستاذ يوسف زعين ووزير الخارجية إبراهيم ماخوس، وتناول النقاش عددا من قضايا الوضع العربي آنذاك وعلى رأسها العلاقة غير الطبيعية بين البلدين الشقيقين المغرب والجزائر، كذا بين الشقيقتين مصر وسوريا. وقد عبرنا عن وجهة نظرنا وعن تطلعنا لأن نرى تصحيحا وتقوية للصف العربي بأضلاعه الأساسية مصر وسوريا والعراق، كما عبرت القيادة عن رغبتها وكامل استعدادها للتعاون مع الاتحاد الوطني للقوات الشعبية على جميع المستويات، في وقت كانت سوريا، على عهد صلاح جديد، تتكرس كمركز مهم تنشط فيه عدد من حركات التحرر الفلسطينية والعربية وخاصة الخليجية، قبل أن يقع انقلاب حافظ الأسد.

وأثناء وجودي بفرنسا، تابعت اتصالاتي مع ممثل حركة "فتح" والذي لم يكن سوى ممثلها السابق في الجزائر محمد أبو ميزر، فاستأنفنا بذات الروح السابقة علاقات التعاون والعمل المشترك لتوسيع دائرة دعم القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية. وقد تطورت علاقاتي وتوسعت بربط قنوات اتصال مع قادة فلسطينيين آخرين سواء من "فتح" أو من تنظيمات وفصائل فلسطينية جديدة في ساحة النضال الفلسطيني مثل الجبهة الشعبية بقيادة الرفيق القائد جورج حبش، والجبهة الديمقراطية بقيادة الرفيق القائد نايف حواتمة (أبو النوف)، ومنظمة العمل الشيوعي اللبناني، الحليف الأساسي للجبهة الديمقراطية...

وبفضل هذا التحالف، وبفضل منابره الإعلامية، ["الهدف" (جبهة شعبية) و"الحرية" (جبهة ديمقراطية) و "23مارس" (منظمة 23 مارس) وغيرها...] التي لعبت أدوارا طلائعية في تجذير الوعي العربي الإيديولوجي والسياسي وفتحه على آفاق أخرى، ومارست بفضل ذلك تأثيرات جذب واستقطاب قوية على فصائل عديدة داخل حركة التحرر العربية، على قاعدة خطاب نقدي جذري وشامل للأنظمة العربية بسبب خياناتها لقضايا أمتها وبسبب فسادها واستبدادها وقمعها لشعوبعها...

في فترة ما، ستصل منظمة 23 مارس إلى حالة قطيعة مع حليفتها الأولى، "منظمة ألف"، التي ستحمل لاحقا اسم "إلى الأمام"، وذلك بسبب الخلافات العميقة المتصلة بالخصوص بالموقف من القضية الوطنية، قضية الصحراء الغربية المغربية.

وكان موقف دولة بومدين قد طغى على ممثلي حركات التحرر التي كانت تنشط بالجزائر، كما وضع حلفاءنا في اليسار الفلسطيني في مأزق وأمام خيارين أحلاهما مرّ:

فإما أن يستمروا في تحالفهم معنا، نحن حلفاؤهم الطبيعيون الذين نطرح المسألة في إطارها التاريخي والسياسي الصحيح، وكنا نحذر من خطر إنشاء "إسرائيل " جديدة في الجناح الغربي لهذا الوطن العربي الذي أشبِع تجزئة وإعادة تجزئة، ولا تخفى عليهم كذلك مواقف وأعمال جيش التحرير المغربي الذي سبق أن حرر جزءا منها قبل أن تتم تصفيته عام 1960 لحسابات تخدم الحكم الفردي ومن ورائه مصالح الاستعمار والاستعمار الجديد...

وإما أن يبقوا خاضعين لموقف الجزائر باسم الدفاع عن تقرير المصير وتحت عنوان تغطية براق وإن يكن أجوف بدون مضمون وهو مواجهة الرجعية والامبريالية...

ورغم أن الأغلبية الساحقة من اللاجئين المغاربة بالجزائر، الذين كانوا يحملون أوراق الجزائر الشقيقة الرسمية من بطائق تعريف وجوازات سفر تمكنهم من السفر خارج الجزائر، كانت قد اتفقت على أمر إصدار بيان باسم مناضلين من جيش التحرير والمقاومة المغربية مذيل بلائحة من أربعين توقيعا أصحابها وجوه بارزة في المقاومة وجيش التحرير على رأسهم الفقيه البصري وعبد الفتاح سباطة ومحمد باهي ورشيد سكيرج ومحمد عبروق وتراغا الحسين وبوزاليم وكجاج محمد ومحمد بورحيم (بنسعيد الصغير) وناصر عمر صالح وآخرون كنت أنا أيضا من ضمنهم...

كان البيان الذي أصدرناه قد حرر بصيغة معتدلة ولكنه مع ذلك أحرج حكومة بومدين التي كان سكوتها أبلغ تعبير عنه.

كانت جريدة 23 مارس قد عززت علاقاتنا مع كافة الفصائل الفلسطينية بفضل الاهتمام الذي كانت تلقاه في صفوف اليسار العربي الجديد وحركة التحرر العربي والفلسطيني. ومثلت منارة تضيء باستمرار على قضيتنا الوطنية من الجوانب التاريخية والسياسية التي كانت أحيانا تغيب حتى معطياتها الأولية عن السواد الأعظم من قوى وحركات التحرر العربية التي كانت تختزل وتخلط بين مواقف القوى الوطنية الديمقراطية المغربية المناضلة التاريخية والدائمة من قضية الصحراء المغربية ومواقف النظام المستجدة من الموضوع التي سيطرحها أواسط السبعينات من القرن الماضي.

لقد واجهنا، بموقفنا الوطني الثوري من مسألة الصحراء المغربية نظام حكم هواري بومدين وضغوطاته الحثيثة من أجل فرض أطروحة حق تقرير المصير، وواجهنا في آن "وطنية" نظام حكم الحسن الثاني ومواقفها المتخاذلة وممارساتها المتناقضة منها. وهي معركة سيكون لها أثر في تموقع المنظمة داخل الصف الوطني التقدمي كما تجلى ذلك في المستوى الذي استقبلت به قيادة منظمة 23 مارس في مطار محمد الخامس بالدار البيضاء يوم 8 مارس 1981، تاريخ عودتي للوطن، أنا ورفاقي بعد حوالي عقدين من اللجوء والمنافي.

لقد حملت المنظمة معها رصيدا ثمينا من تجربتها التنظيمية والسياسية على صعيد أوربا ومن علاقاتها الخارجية على الصعيد العربي والفلسطيني بشكل خاص حيث توطدت علاقاتنا بمنظمة التحرير الفلسطينية وبالجبهتين الديمقراطية والشعبية. وقد لعبت جريدتنا المركزية "أنوال"، التي بدأ إصدارها بالمغرب في نونبر 1979، و"الحرية" لسان حال منظمة العمل الشيوعي اللبناني والجبهة الديمقراطية، أدوارا

بالغة الأهمية في تطوير العلاقات مع منظمة 23 مارس التي ستنتزع حقها في العمل الشرعي عامين بعد ذلك، في 1983 تحت اسم منظمة العمل الديمقراطي الشعبي.

وقد تطورت اللقاءات بعد ذلك بقدر غير قليل من الانتظـــام بين القيادات السياسية في مناسبات متعددة أقلها، مؤتمراتهما الوطنية.

وقد أصبحت القضية الفلسطينية بندا في برامج الأحزاب الوطنية والتقدمية المغربية بحيث ستؤسس إطارا جامعا حاضنا وداعما سياسيا وماديا لنضال الشعب الفلسطيني هو الجمعية المغربية لمساندة الشعب الفلسطيني، وستقوم باعمال تعبوية حسنة وسط فئات هامة من الشعب المغربي. غير أن هذا الإطار لن ينجو من محاولات هيمنة وتطويع، بحصر مجال حركتها في الحدود المسموح بها سواء من الدولة أو حتى من مسؤولي هذه الجمعية الذين يراعون مواقف الدولة وخصوصا "مزاجها" الرسمي. ولذلك، كانت منظمة العمل الديمقراطي الشعبي تتعرض للتهميش والإقصاء، حتى إن علاقات أبي مروان، ممثل منظمة التحرير الفلسطينية نفسه معنا سيعتريها بعض التحفظ والبرود كانعكاس لذلك.

وفي 1988، ستنعقد بالجزائر دورة المجــلس الوطني لمنظمــة التحرير الفلطينية، وكان قد دُعي له وفد مغربي رسمي يضم ممثلي الحكومة ومستشار الملك وممثلي الأحزاب الوطنية المشاركة في البرلمان.

كانت الجلسة الافتتاحية برآسة الزعيم ياسر عرفات. وكان أن فوجئ أعضاء الوفد المغربي مفاجأة غير سارة عندما رأوا ممثل "البوليزاريو" عبد العزيز يلتحق بمنصة الجلسة.

في الحين، تلقى أعضاء الوفد تعليمات للانسحاب فورا من المؤتمر. لم أكن موجودا في تلك اللحظات، وبعد أن أخبروني بماجرى وبالقرار الذي اتخذه مستشار الملك آنذاك أحمد بنسودة، فتحت المجال لإجراء مناقشة حول القرار، وكنت اقترحت،

صيغة مخرج بدا لي متوازنا ومعبرا، وهو أن ينسحب الوفد الذي يمثل الحكومة والدولة، ويبقى الوفد الذي يمثل الأحزاب الوطنية ليتابع أشغال المؤتمر حتى نهايتها ونعبر عن اعتراضنا من داخل المؤتمر على فرض البوليزاريو على المؤتمر وإقحامه بهذا الشكل العشوائي الذي يتنافى مع كل الأصول والأعراف.

وأذكر أن السيد سعد العلمي، القيادي في حزب الاستقلال، كان قد نبهني إلى أن الجو غير سليم وأن الاستمرار في المشاركة في أشغال المؤتمر قد تثير ردود فعل في الضفة الأخرى لايمكن التكهن لابحجمها ولا بمداها.

وفعلا لم يتأخر الرد. فقد عبر الملك الحسن الثاني في خطاب شديد الحدة والقسوة موجه إلى من شارك في المؤتمر ذاك يتوعدهم بما لن يخطر على بالهم.

ولقد ظهرت جلية أصداء وارتدادات تهديدات الملك بمناسبة حفل زواج إحدى بناته بابن حربيط في مراكش.. كنت قد دعيت للحفل مع قادة الأحزاب الممثلة في البرلمان. وكان قد دُعي أيضا أبو مروان ممثل منظمة التحرير الفلسطينية في المغرب.

عند ولوجي لقاعة الحفل، لاحظت أن أبا مروان يجلس وحيدا، منعزلا، أو بالأصح، معزولا في مكان ما من تلك القاعة، وقد ابتعد عنه كل القادة السياسيين المغاربة الذين تربطهم به علاقات قوية وحميمة. وفي الحين، قررت أن ألتحق به لأفك عنه حالة العزلة التي كان عليها...

ولقد استنكرت التهديدات التي حملها الخطاب الملكي، كما انتقدت سلوك ممثلي القوى السياسية الوطنية إزاء أبي مروان ممثل منظمة التحرير، الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني في تلك الواقعة، أنا الذي ما سبق لأبي مروان أن نظر إلي كنصير أو صديق مقرب مثلما كان شأنه مع عدد من قيادات الأحزاب الوطنية

الأخرى. ومنذ تلك اللحظة توطدت علاقتي، وبالأصح علاقته هو بي طوال ما تبقى من فترة وجوده بالمغرب إلى أن غادر موقع المسؤولية فيه.

بعد ذلك، أخذت العلاقات مع القضية الفلسطينية وقياداتها الوطنية آفاقا أوسع. والحقيقة أن العمل المشترك مع الجبهة الديمقراطية شهد تطورا كبيرا ولافتا كان أحد مظاهره البارزة الحضور المنتظم لأقلام من الجبهة ومن مجلتها "الحرية" في "أنوال"، وكذا مساهمات أقلام من المنظمة و"أنوال"، وإن لم يكن بنفس الوتيرة في مجلة "الحرية".

ولقد كنا بالمناسبة سباقين في التفكير وفي تطبيق شيئ يطلق عليه اليوم بتعبير غامض وغير دقيق "الديبلوماسية الموازية" في قضيتنا الوطنية، إذ كنا نظمنا، على هامش المؤتمر الوطني الرابع لمنظمة العمل الديمقراطي الشعبي الذي انعقد سنة 2000 بمدينة المحمدية، زيارة لوفد الجبهة الديمقراطية برآسة أمينها العام الرفيق نايف حواتمة لمدينة العيون، كانت ناجحة بكل المقاييس ومثلت اختراقا هاما في جدار الاصطفاف المتراص لأغلب القوى التقدمية والثورية العربية آنذاك خلف شعار حق تقرير المصير لمداشر وقرى رُفعت إلى مستوى شعب جديد ظهر فجأة، وذلك على حساب حق الشعب المغربي الواضح والثابت في استكمال وحدته الترابية.

غير أن هذه التجربة الفريدة في طموحاتها وإنجازاتها، والتي كانت مليئة بكثير من الآمال الواعدة في المستقبل، ستتعرض، بالتزامن، لإكراهات ظرفية غير ملائمة عنوانها العريض ضياع أو تضييع البوصلة هنا وهناك:

فهنا، عندنا في المغرب، سنشهد بدايات تحول في توجهات الكتلة الديمقراطية متنافية تماما مع ميثاقها وبرامجها، جعلت الزعيم القائد عبد الله ابراهيم ينسحب منها كرد فعل، قبل أن تركز الضغوط بعد ذلك، من خارج الكتلة ومن داخلها دائما، على منظمة العمل الديمقراطي الشعبي بغاية تهميشها وإخراجها من هذا الإطار الذي

كان يجري إعداده لأدوار أخرى كأن يصبح مجرد كتلة انتخابية ملحقة بحزب الاتحاد الاشتراكي بالخصوص...

وهناك، عند رفاقنا الفلسطينيين، كانت أوفاق أوسلو سنة 1993، قد أدخلت البيت الداخلي الفلسطيني ككل في متاهات تجاذبات وانقسامات حادة غير مسبوقة ساهمت في تراجع وخفوت صوت القضية...فكان أن تم فرض الحصار على الزعيم ياسر عرفات في مقره برام الله واغتياله عن طريق تسميمه من قبل قادة الكيان الغاصب المجرم، كرد على انتفاضة الشعب الفلسطيني التي أربكته أيما إرباك.

وللأسف، سيكون ذلك الحصار علامة ورمزا على بداية مسلسل حصار للقضية كلها بغاية تصفيتها بتواطآت من الأنظمة الرجعية العربية في الخليج والأردن ومصر السادات وخلفه مبارك وكل الوكلاء والأدوات التنفيذية الأخرى لسياسات التحالف الصهيو-امبريالي في المنطقة.

[34]

عودة أخرى إلى الجزائر ...
التحام قيادة جيش التحرير المغربي
بقيادة جبهة التحرير الجزائرية



محمد بنسعيد وعدد من رفيقاته ورفاقه وأصدقائه في الصف الوطني الديمقراطي أثناء استقبال نايف حواتمة والوفد المرافق له بالقاعة الشرفية لمطار محمد الخامس/بالدار البيضاء (عام 2000)



قادة الكتلة الديمقراطية يتقدمون مسيرة تضامنية
مع كفاح الشعب الفلسطيني بالرباط / 1990

انْتَقَلْتُ من مدينة إيفني إلى تطوان في لحظات ساخنة تفجرت فيها أفراح الشعب المغربي احتفالا بالأعياد الثلاثة؛ عيد العودة وعيد العرش ثم عيد الاستقلال. وقد شملت تلك الأفراح مناطق المغرب الثلاثة: المنطقة السلطانية والمنطقة الخليفية، ثم المنطقة الدولية ممثلة في طنجة، كما امتدت مفاعيلها إلى آيت باعمران والصحراء الغربية والصحراء الشرقية من تيندوف إلى أقاصي موريتانيا، بل انتقلت إلى البلد الشقيق الجزائر التي كانت هزتها انتفاضة 20 غشت عام 1955.

وصادف يوم وصولي إلى الشمال المغربي انتقال آخر فصيل من فدائيي جيش التحرير بقيادة الضابط الجزائري نودير بوزار إلى جبل "بودحدوح"، وهو موقع مجاور لحدود المنطقة السلطانيـــة.



قادة جبهة التحرير الوطني الجزائرية، قبل الإقلاع و تعرضهم للقرصنة من على متن طائرة مغربية في اتجاه تونس يوم 22 أكتوبر 1956

في الصورة: أحمد بنبلة، محمد خيضر، الحسين آيت أحمد، محمد بوضياف ومصطفى الأشرف يتوسطهم الأمير الحسن

ومن هذا الموقع، خطط القائد بوزار لكل فريق المهام التي عليه القيام بها وأهدافها التحررية، وذلك انطلاقا من بني زروال عبر مناطق فاس ومكناس وخنيفرة وبني ملال حتى دائرة مراكش، وعلى طول مواقع جبال الأطلس المتوسط والكبير لتنظيم هجمات على معسكرات الجيوش الفرنسية المحتلة، وعلى المراكز الإدارية الخاضعة لإشراف الضباط لفرنسيين ومراقبي الشؤون الأهلية. كانت القيادة المركزية تستهدف من ذلك الانتقال فتح جبهة لدعم انتفاضة الثاني من أكتوبر 1955 ولكن بدون أن تمارس إشرافها المباشر على المهام التي يقوم بها الفصيلان تاركة كل فصيل وشأنه في ممارسة القيادة الميدانية المباشرة الشيء الذي انعكس فوضى وعجزا عن توحيد الخطوط ولمّ صفوف قواعد جيش التحرير وعن فرز قيادة تمسك وتوجه تنظيماته الواسعة.

في هذا الوضع من التخلف، قمت بزيارة إلى الدار البيضاء التقيت فيها بكل من صفي الدين حسن وأجار محمد بونعيلات ومحمد البصري وعبد السلام الجبلي وبوشعيب الدكالي، ومن بينهم من كانت له مساهمة في تكوين جيش التحرير وفي انطلاقة الثاني من أكتوبر وتكوين فصائل جنان الرهوني، ومنهم أيضا من كان مسؤولا كذلك بشكل مباشر عن مهمة تحقيق وحدة الثورتين الجزائرية والمغربية.

هذا اللقاء، يمكن اعتباره بداية انطلاقة جديدة لإعادة توحيد كل فصائل المنظمة السرية الموزعين في صفوف المقاومة وأعضاء جيش التحرير.

عدت إلى تطوان بمعلومات وأفكار جديدة أستعين بها على متابعة المهام المطروحة عليّ، خصوصا وقد تم الاتفاق على توسيع دائرة العلاقات في صفوف قادة الحركة الوطنية وفتح قنوات مع فصائل عديدة من جيش التحرير بمواقعها المركزية بالشمال المغربي، كما تمكنت من تكوين نظرة إجمالية عن المقاومين المعتمدين في كل من تطوان والعرائش والناضور وقصر السوق وطنجة ومدريد، ومنهم عبد العزيز الماسي

ومحمد بلحاج الأعتابي والمدني الأعور شفيق والهاشمي ناضل وإبراهيم المانوزي ومحمد السكوري وآخرون...

مع هؤلاء فتحت علاقات مباشرة، وبمساعدتهم تمكنت من فتح قنوات في أماكن متنوعة، كما قمت بزيارات تفقدية لبعض مواقع جيش التحرير بمرنيسة وطهر السوق لمعالجة وإنهاء حالة خلافات بين القائدين مصطفى بن عثمان والحطاط، ثم عرجت بعد ذلك، في زيارة تفتيش، على معسكر تيزي أوسلي وأكنول وبويبرد، قبل أن أنتقل إلى مركز القيادة الميدانية لجيش التحرير، وكانت فرصة لي للقاء قائدين بارزين من جبهة التحرير الجزائرية هما محمد بوضياف والعربي المهيدي، وكانا عضوين في لجنة التنسيق باسم الجبهة إلى جانب عبد الرحمان الصنهاجي وعباس المساعدي وهم أعضاء في القيادة الميدانية.

ومن المفيد هنا أن أذكر الأسماء الكاملة لأعضاء القيادة السياسية للثورتين الجزائرية والمغربية: فقد كان يمثل المغرب صفي الدين حسن والغالي العراقي وعبد الكريم الخطيب وأجار محمد بونعيلات والحسين برادة من القيادة المركزية، أما عبد الرحمان الصنهاجي وعباس المساعدي فكانا مسؤولين في القيادة الميدانية بالناضور.

وكان في العلاقات الخارجية كل من عبد اللطيف بنجلون والكبير الفاسي وعبد الرحمان اليوسفي والدكتور المهدي بن عبود، هذا إضافة لأعضاء قياديين في المجلس الاستشاري يبلغ عددهم سبعة وعشرين عضوا.

أما عن الجزائر، فكان محمد بوضياف وأحمد بنبلة، ومحمد خيضر والعربي المهيدي وحسين آيت أحمد. وقد عين محمد بوضياف والعربي المهيدي صحبة عبد الرحمان الصنهاجي وعباس المساعدي أعضاء في قيادة الميدان بالناضور.

كانت تطوان والناضور ومدريد وقتئذ أماكن مأمونة في تدبير شؤون الثورة المغاربية. وكان التنسيق بين القيادتين يتم في جو من الحيوية وصل حد تنظيم انتفاضة يوم المجاهد، واختيرت له مناسبة 20 غشت 1955، وشعار: "تضامن فعال بالدم مع الشعب المغربي في ذكرى نفي محمد الخامس"، وتلا ذلك بوقت قصير انطلاقة الثاني من أكتوبر 1955 بالريف المغربي. وكانت هذه القيادة المغاربية قد حددت أهدافها الأساسية في بيان لها كما يلي:

1ـ الكفاح المسلح حنى تحرير شمال إفريقيا؛
2ـ رفض قاطع لكل اتفاقية لاتحقق الهدف المذكور؛
3ـ اعتبار كل من يخالف هذا التوجه خارج صف الإجماع الوطني.

حققت تلك الانتفاضات إنجازات كبرى أربكت الأوساط الاستعمارية الفرنسية التي لم تكن تتوقع أن تشق الشقيقة الجزائر طريقها إلى الاستقلال جنبا إلى جنب مع تونس والمغرب. وأدركت الجمهورية الرابعة حقيقة الأخطار التي ستواجه جيوشها عندما تتحقق وحدة المقاومة المسلحة تحت قيادة حركة تحرير واحدة موحدة لكل من الجزائر والمغرب وتونس. لذلك سيسارع الرئيس منديس فرانس إلى فتح حالة انفراج سياسي في كل من تونس والمغرب، محاولة منه لقطع الطريق على الحلول الجذرية التي كانت تتراءى في ماوراء انتفاضات يوم المجاهد والثاني من أكتوبر 1955، وعلى رأسها "الكفاح المسلح حتى تحرير شمال إفريقيا"، وللترويج لمخارج أخرى عبر "الحوار" والاتفاقيات (لاسيل سان كلو) والمحادثات(إيكس ـ ليبان) ومخرجاتها من حلول الاستقلال الشكلي المعروضة.

وكان من بين تلك الحلول ماسمي الاستقلال في إطار الارتباط والذي ووجه بردود فعل قوية من قبل الحكومة المصرية والأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي الذين حملوا الأحزاب السياسية، وفي مقدمتها حزب الاستقلال والزعيم علال الفاسي بصفة خاصة، مسؤولية قبول مثل تلك الحلول الوسطى.

أما المقاومة وجيش التحرير فستعرف أوضاعها التنظيمية والسياسية تدهورا وانحدارا ملحوظين. فإضافة إلى أنها لم تفرز قيادة مركزية في مستوى المرحلة كما سبق أن أشرت، لم تكن تملك مشروعا مجتمعيا، مما جعلها أعجز من أن تفرض نفسها في المعادلة. هكذا ستمسك قوى المعسكر الآخر بزمام المبادرة وتوجه الحوار المفتوح مع فرنسا في الاتجاه الذي ترتضيه ويخدم مصالحها. أما حركة التحرير المغربية فلن تجد لها مخرجا سوى الانخراط في المسيرة التي كان يقودها الملك محمد الخامس بعد عودته إلى العرش وفق مقتضيات لاسيل سان كلو. فكان تنصيب حكومة البكاي الائتلافية، وتبعه إصدار مراسيم ملكية من أجل بناء الدولة الجديدة، وبدء "الجهاد الأكبر" بعد إنهاء" الجهاد الأصغر"، كما كان عبر الملك في خطاب العرش.

وكان قد تصادف أن قادة من المقاومة وجيش التحرير لعبوا أدوارا فاعلة في توسيع علاقاتها مع القوى السياسية المختلفة في البلاد ومع الملك محمد الخامس وولي عهده الأمير الحسن ومحيط القصر الملكي، ومنهم صفي الدين حسن وحسن لعرج والدكتور الخطيب ومحمد البصري وعبد الرحمن اليوسفي والغالي العراقي.

وبفضل علاقات رفقة السلاح والمقاومة بين جيش التحرير المغربي وجبهة التحرير الجزائرية، كانت القضية الجزائرية حاضرة باستمرار في تفكير وعلاقات المقاومة وجيش التحرير مما ساهم في إنضاج وتدعيم أجواء أخوية حيث سيستقبل الملك محمد الخامس وفدا من المقاومة المغربية والجزائرية في لقاء حميمي سيعلن فيه وعده بالوقوف إلى جانب الثورة الجزائرية في حربها التحريرية، وهو اللقاء الذي خلف أجواء مهمة من الارتياح عند الإخوة الجزائريين كما عند المغاربة على السواء.

كان الجميع قد قرأ في هذا اللقاء رسالة تطمين بخصوص الآفاق، وكذلك كان؛ فقد فتح جيش التحرير لجبهة التحرير الوطني الجزائرية معسكراته في شمال المغرب وجنوبه، وتنافس أعضاء قياديون في جيش التحرير المغربي في تزويد مسؤولي

الجبهة بالأسلحة والذخيرة الحربية، وفي فتح مساحات ومراكز جديدة لفك الحصار عنها وتمكينها من قواعد خلفية داعمة لتحركاتها، بل انضم إليها تطوعا عدد من أعضاء جيش التحرير بسلاحهم. وقد علمت من مصادر في جبهة التحرير الجزائرية أن دائرة الدعم توسعت حتى في تونس من قبل المقاومين الذين حملوا الحبيب بورقيبة على قبول فتح واجهة أخرى على الحدود بين تونس والجزائر.

بفضل نضال وتضحيات الشعب الجزائري، وبفضل الدعم والاحتضان المغاربي، ستتمكن الثورة الجزائرية من كسر طوق الحصار المضروب عليها وكسب مواقع استراتيجية وازنة ليس فقط على المستوى المغاربي بل أيضا على مستوى بلدان عدم الانحياز وبلدان المعسكر الاشتراكي وأحرار العالم.

في هذا السياق سيتحرك كل من الملك محمد الخامس والرئيس الحبيب بورقيبة اللذان توصلا إلى فكرة عقد حوار مح الحزب الاشتراكي الفرنسي ومع الرئيس الفرنسي آنذاك غي موليه من أجل إيجاد مخرج مقبول للمواجهة بين الحكومة الفرنسية وجبهة التحرير. فكان أن دعت الدولتان إلى عقد لقاء ثلاثي بتونس بحضور قيادة جبهة التحرير الجزائرية، غير أن اللوبي العسكري الفرنسي سيقدم على قرصنة الطائرة التي كانت تقل القادة الخمسة للثورة الجزائرية. وهي العملية الإرهابية التي كانت قد قوبلت بانتفاضات عنيفة ودامية في المغرب وخاصة بمدينتي مكناس وفاس قادتها عناصر من المقاومة التي ردت باختطاف عديد من الفرنسيين المعروفين بعدائهم لقادة استقلال المغرب والجزائر. ولولا التدخل السريع للملك محمد الخامس بإعلان حالة الطوارئ وتنصيب حاكم عسكري من أجل امتصاص حدة السخط الشعبي لوقع مالا تحمد عقباه ضد الجالية الفرنسية المساندة للوجود الاستعماري.

وقد تسنى لي أن أحضر مناسبات متعددة أذكر منها الزيارة المهمة التي التقينا فيها، محمد الفقيه البصري وعبد الكريم الخطيب والدكتور حافظ إبراهيم وأنا، القائدَ

كريم حجاج في معسكرات تاونات. والدكتور حافظ إبراهيم من من القادة التاريخيين والعضد القوي للمقاومة المغربية وللثورة الجزائرية، وكان بيته في مدريد واحدا من المقرات التي اتخذت فيها عدد من القرارات الكبرى التي تهم حركة التحرر المغاربية. وقد حكم عليه بالإعدام رحمة الله عليه من قبل الفرنسيين بتهمة التعامل مع هتلر.

المنظمة الخاصة تقود انتفاضة فاتح نونبر 1954 والنضال من أجل الوحدة المغاربية

يرجع الفضل لقيادة ثورة الفاتح من نوفمبر 1954 في تحضير الانطلاقة الأولى للثورة الجزائرية. وكانت قبل ذلك قد التحمت بالمقاومة المغربية قبل الانتفاضة المذكورة. وقد تعززت العلاقات بين الطرفين في يناير 1955 إلى حد التزود المشترك بالأسلحة والذخيرة الحربية عن طريق باخرة "دينا"، وغيرها من البواخر الأخرى.

غير أن غياب النواة القيادية الأولى المؤسسة لفاتح نوفمبر سيخلق تطورات أخرى داخل صفوف جبهة التحرير بسبب ماتركته من فراغ في مواقع وواجهات متعددة. ولم يمنع ذلك جبهة التحرير الجزائرية من أن تكسب على المستوى الخارجي مساندة ودعما مهمين سمحا لها بتشكيل حكومة مؤقتة تضم حساسيات ووجوها من فئات متنوعة، بعضها لم يكن له حظ المشاركة في انتفاضة نوفمبر، والتحقوا بمواقعهم في أجهزة الإعلام والديبلوماسية، يوسعون العلاقات الدولية ويشاركون في مؤتمرات العالم الثالث والمغرب العربي، ومن بينها مؤتمر طنجة للوحدة المغاربية في 1958، الذي شاركت فيه الحكومة المؤقتة من الجزائر، وحزب الاستقلال من المغرب وجزب الدستور الجديد من تونس.

أما المقاومة الجزائرية فقد فقدت الكثير من حجمها في الداخل لحساب جيش الحدود الذي سيعرف تطورات لافتة كانت انعكاساتها سلبية؛ فعدد من رفاق بنبلة سيتم إبعادهم من صفوف جبهة التحرير من بينهم المقاوم المعروف في صفوف المقاومة المغربية باسم الحسين الكاديري وجماعة من أنصار أحمد بنبلة الذين ساهموا في اللقاء الأول بين الفصيلين.

فصيل من جيش التحرير المغربي ينتقل إلى الشرق المغربي عام 1958

انتقلت مجموعة من جيش التحرير المغربي إلى المغرب الشرقي بإشراف المقاوم محمد بوراس الفيكيكي، وذلك من أجل فتح جبهة أخرى على طول الحدود الشرقية المجاورة للجزائر، استجابة لرغبة من أعضاء قبائل ادوي امنيع وأولاد جرير والعمور. أما الهدف فكان تقديم الدعم للمقاومة الجزائرية من جهة، والمساهمة في تحرير تلك المناطق الداخلة في التراب المغربي.

كانت وجهة تلك القوات هي معسكرات الجيوش الفرنسية المسيطرة على طول تلك المناطق حيث لا أثر للمقاومة الجزائرية. ولما تطورت عمليات المقاومة هناك ضد الجيوش الفرنسية، بدأت قوات من جيش الحدود الجزائري تدخل إلى تلك المناطق المغربية وتقوم بمناوشات ومضايقات وسط القبائل المجاورة للحدود مستغلة الصمت الذي لزمته أجهزة الدولة المغربية. وقد تمكن جيش الحدود من اقتحام أماكن بنواحي فيكيك وبوعنان (تافيلالت) وبدعم في بعض الأحيان من الإدارة المحلية وقوات من الجيش الملكي كانت تضرب حصارا مكشوفا على جيش التحرير، ما أدى إلى صدامات بلغت أصداؤها الملك محمد الخامس. وعلى إثر زرع جو من التشكيك في أوساط القبائل المغربية الموجودة على الحدود حول انتماء

بشار والقنادسة، ستشكل قبائل ادوي امنيع وأولاد جرير والعمورة وفدا إلى الملك محمد الخامس يقوده بوراس الفيكيكي.

يقول بوراس الفيكيكي، في اللقاء، موجها خطابه إلى الملك:" هؤلاء الناس يمثلون قبائل ادوي امنيع وأولاد جرير والعمورة، وقد جاؤوا لرؤية سيدنا وليسمعوا منه مباشرة هل بشار أرض مغربية أم جزائرية؟ وقد كان جواب الملك محددا حين قال لهم بهذه العبارة:" عرفتو هذا الباب اللي انتما واقفين عليها، راه بحال هنا بحال تمّا". ولقد أعطى أوامره لراديو ماروك لتسجيل اللقاء(مذكرات بوراس الفيكيكي.ص 187).

ورغم الشهادة الملكية فإن الإدارة المحلية وضباطا من الجيش أصروا على مواقفهم من تصفية جيش التحرير بالمنطقة الشرقية. وقد خلفت تلك الأحداث ثغرات سلبية في العلاقات بين قيادة الثورتين.

زيارة القادة الجزائريين الخمسة
في معتقلهم

رغم أن هذا الخلاف كان بداية لوضع شائك وكانت له أبعاد معقدة بعد ذلك، لم تصل العلاقة مع جبهة التحرير الجزائرية إلى القطيعة. ولذلك قمت بزيارة خاصة للقادة الخمسة المعتقلين بجنوب فرنسا في بداية يناير 1662 عن طريق المحامي الأستاذ عبد الرحمان اليوسفي صحبة الأخ محمد اليازغي. وقد تناول الحديث معهم، وخاصة مع أحمد بنبلة ومحمد بوضياف أوضاع الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وشروط تشكله ورؤيته السياسية ونضاله من أجل آفاق تحررية يمثل المغرب الكبير أحد محاورها الكبرى. كما تناولت المحادثات الصعوبات والتوجسات التي تعرفها العلاقات بيننا وبين النظام الحاكم بالبلاد.

خلال هذا اللقاء، أمكنني ملاحظة وجود تباينات حادة ومقلقة بين بوضياف وبنبلة. كان بوضياف يؤاخذ على بنبلة ميله للاستبداد بالرأي وعدم اعتبار الرأي أو الآراء الأخرى. هذا التفصيل، سيكون علامة أولى جنينية على خلاف في النهج السياسي بين التعددية السياسية ونظام الحزب الوحيد، سيمزق لاحقا ثورة الجزائر.

وأذكر أنني كنت عبرت لهما بإشارات، أن الثورة الآن في الجزائر في حاجة لأعلى درجات الحذر وعدم اتخاذ مواقف متسرعة وحدّية، وأنه ليس أفضل من الحوار المباشر لتجاوز الصعوبات والخلافات... وتجنبت كل حديث عن آفاق المستقبل.

بعد تحرير القادة الخمسة، سيقوم المغرب، ملكا وحكومة وشعبا بتنظيم احتفالات بأبطال التحرير. فكان أن نظم الحسن الثاني على شرفهم استقبال دولة شاركت فيه الحكومة والجيش وقادة من الأحزاب السياسية بالبلاد.

ومن جهته، هيأ لهم الاتحاد الوطني للقوات الشعبية حفل ترحيب خاص يليق بمقامهم كرفاق تحرير، وانتدبت هيئة تحرير جريدة "التحرير" الصحفي الكبير باهي محمد حرمة لمرافقة القادة المحررين انطلاقا من مغنية، وهي مسقط رأس الرئيس بنبلة، إلى الجزائر العاصمة، وهو ما كرس الجريدة كمصدر يكاد يكون فريدا في تغطية الحدث ومتابعة تطورات الشأن الجزائري، وكمنصة لنقل تصريحاتهم ـ وخاصة تصريحات بنبلةـ خلال تنقلاتهم عبر تراب وطنهم الذي كانت تعمه الأفراح والاحتفالات بمناسبة انتزاع الجزائر لاستقلالها وحريتها بعد نضال مرير وتضحيات جسام.

في تلك الفترة، عرفت الجزائر موجات مغادرة واسعة للمقيمين الأجانب والفرنسيين منهم على الخصوص إلى بلدهم الأصلي مخلفين وراءهم إقامات ومساكن أصبحت في حكم الممتلكات الشاغرة (sBiens vacant)، انتقل ليشغلها في البداية بشكل عفوي منحدرون من الريف، كما أن عددا من اللاجئين المغاربة للجزائر في سنوات

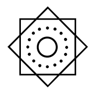
استقلالها الأولى وجدوا شققا عديدة فارغة تمكنوا من الإقامة فيها بسرعة وبتسهيلات من إدارة الدولة الجزائرية.

تطورت وتكثفت علاقات قادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية مع حكومة الرئيس أحمد بنبلة إلى الحد الذي أصبحوا يناقشون معه شؤونا داخلية تخص خلافاته مع رفاق التحرير وفي مقدمتهم محمد بوضياف وحسين آيت أحمد، ويحاولون إيجاد توافقات بينهم. فعندما تم اعتقال محمد بوضياف وحسين آيت أحمد بتهمة معارضتهم نظام الحزب الوحيد ومطالبتهم بنظام تعددي، انتقل إلى الجزائر وفد يضم حسن العرج وعبد الرحمان اليوسفي والدكتور التونسي حافظ إبراهيم ومحمد البصري، وبذل جهدا كبيرا في محاولة للحصول على إطلاق سراح رفاق التحرير على أقل تقدير. ولكن مفاصل السلطة في الجزائر لم تكن كلها بيد الرئيس بنبلة، كما هو معروف، إضافة إلى أنه هو نفسه اندرج في خط عام سائد آنذاك عند معظم القادة البارزين في حركة التحرر، وعلى رأسهم الزعيم المصري جمال عبد الناصر، لا يقيم اعتبارا كبيرا لوجهات النظر الأخرى وللحساسيات والرؤى الأخرى الموجودة في صفوف الشعب والثورة.

هذا ماحصل لقادة بارزين في صفوف جبهة التحرير الوطني الجزائرية يمثلون شرائح مختلفة من الشعب الجزائري أمثال فرحات عباس ويوسف بن خدة اللذين شكلا تكتلات تدافع عن الديمقراطية والتعددية ضد نهج الحزب الوحيد.

[35]

خروجي من المغرب إلى الجزائر



في الثامن من شهر دجنبر 1962، التحقت بالجزائر بعد أن أخبرت القيادة في الحزب والجريدة بكل المعلومات التي وصلتني وبعملية ملاحقتي بسيارة من نوع فولكسفاكن لمعرفة مقر إقامتي. كان سفري للجزائر لأخذ فسحة من الوقت تسمح لي بمعرفة أدق بالتطوات.

ناقشت مع رفيقي عبد السلام الجبلي مجمل الأوضاع التي توجد عليها حركتنا بداخل البلاد وآفاق علاقتنا معها، كما قمت باتصال مباشر مع الرئيس أحمد بنبلة واضعا إياه في صورة الضغوط التي تعترض مسيرة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية وكذا نتائج الاستفتاء على الدستور الممنوح.

...وعودتي إلى المغرب
في بداية سنة 1963

عدت إلى المغرب. لم أحمل معي أفكارا وتصورات جديدة. استبد بي التفكير مجددا في الحال التي وصلت إليها حياة الحزب وما تخلقه حملة الاعتقالات والاختطافات للعديد من المقاومين المسؤولين عن الاصطدامات التي وقعت بنواحي مراكش وبني ملال. وأكثر من ذلك، كنت قد وجدت نفسي وجا لوجه مع تطورات جديدة مقلقة عند اتصال الفقيه محمد البصري وسعيد بونعيلات بأحمد فوزي"شيخ العرب" ومومن الديوري، كما فوجئت بأن تحركات شيخ العرب تستقطب مجموعة مهمة من أطر الاتحاد بالرباط وبني ملال ومراكش وأكادير كان على رأسهم محمد الحبيب الفرقاني.

كنت خلال المؤتمر الوطني للاتحاد الوطني قد نبهت رفيقي محمد البصري لخطأ قام به في مذاكراته مع الضابط السوري عبد الغني قنوت ومع عاطف دانيال عن تغيير نظام الحكم بالمغرب.

وفي ما يخص تنظيمات الحزب، كنت قد فتحت حوارات مع عدد من شباب الاتحاد الوطني حول هذا الواقع الجديد الذي لن يقدم حلا للحزب، بل بالعكس سيزيد أزمته تعقيدا، وسياسته تخبطا. وقد لاحظت أن من بينهم من كان فعلا متحمسا للعمل المزدوج، ومنهم من لم يكن له رأي سواء بالإيجاب أو بالسلب، ومنهم أيضا من تعامل معي وكان مثالا للوطنية كرشيد سكيرج الذي قدم خدمات جليلة في عدد من المهام السرية، حتى من موقعه داخل الأجهزة العليا للدولة بمعية الطالب بوبشر (البشير الفيكيكي)، المعروف بدرجة حيطته وحذره، والذي كان يتعامل معي بسرية مطلقة حتى عن رفاقه في الحزب في كل ما أكلفه به من شؤون، كالحصول على جوازات سفر خاصة أو تزويدي بمعلومات حساسة مثل الإخبار بقرارات متابعة

سيكون موضوعها رفاق، فنتخذ الاحتياطات الضرورية حتى تنظيم مغادرتهم للوطن بواسطة جوازات خاصة إما عن طريق الحدود الشرقية أو الشمالية بالمغرب.

وفعلا، لم يطل الزمان بي كثيرا حتى بدأت تصلني أخبار متواترة عن أحداث وأخطاء كبرى تم ارتكابها بالضبط بسبب الاتصال مع شيخ العرب.

كشف مومن الديوري

أصبح واضحا لي على على إثر ذلك، أن كل الجهد الذي بذلته لإيقاف هذا المسلسل أو على الأقل فتح نقاش صريح حوله- يطرح فيه كل من له رأي رأيه والأسس التي بنى عليها ذلك الرأي وحتى حساباته ورهاناته، وهو يختار هذا الرأي وليس رأيا آخر، والكل، في الوضوح والعلن حتى تتحدد المسؤوليات، ويعلم الجميع أي منقلب سينقلبون عند اختيار رأي من الآراء- جاء متأخرا عن أوانه الضروري. فقد بلغني نبأ اعتقال المناضل مومن الديوري والاعترافات الخطيرة التي انتزعتها منه أجهزة البوليس بخصوص علاقاته مع محمد البصري والمهدي بنبركة وسعيد بونعيلات، وذلك عن طريق مسؤول موثوق به في قمة تلك الأجهزة، الأمر الذي كان قد أورده المرحوم التهامي نعمان.

في الحين، كلمت الفقيه محمد البصري، وكان موجودا وقتها في مهمة بالرباط، ووضعته في صورة المعلومات التي كانت بحوزتي؛ ومنها أن الكولونيل أحمد الدليمي طلب من الملك إطلاق الهجوم العام على الاتحاد الوطني للقوات الشعبية، غير أن الملك استمهله حتى يعود من زيارته إلى فرنسا.

.

وأذكر أنني كنت طلبت من الفقيه البصري أن يلتزم بالمكان الذي يوجد فيه حتى يتم تدبير أمر تنظيم إخفائه في انتظار نقله إلى خارج البلاد. كما نقلت نفس التنبيهات لسعيد بونعيلات.

كنت أيضا قد بعثت للفقيه المقاومَ مرغيش بناصر وزوجته خديجة المدكوري...لكن الفقيه البصري تسرع فاستعجل أمر عودته إلى الدار البيضاء... فكان ما كان.

في نفس التاريخ كنت بعثت بنسعيد الصغير (محمد بورحيم) إلى مقر حزب الاتحاد الوطني ـ الذي كان حينها يحتضن لقاءا عاما يحضره ممثلو الفروع والمناطق على الصعيد الوطني ـ أطلب ترتيب لقاء مباشر لي مع الأخ الحبيب الفرقاني لأتذاكر معه بشأن تورطه في هذا النوع من الأعمال والأنشطة الخارجة عن توجهات وقرارات مؤسسات الحزب. وشمل الاعتقال أيضا الأخ بورحيم نفسه الذي أطلق سراحه بعد تعذيبه، بفضل مراوغاته المتقنة التي لم تترك لأجهزة البوليس منفذا ينفذون منه، وليتمكن بعدها من العودة إلى موقعه.

مثّل اعتقال الأخ الفقيه البصري حدثا بارزا في مسلسل اعتقال ومحاكمة قادة الاتحاد الوطني للقوات الشعبية الفعليين الذين تحدوا الاستبداد والحكم المطلق الذي بذل أقصى جهوده في قطع الطريق على كل تحرر حقيقي من تركة الاستعمار وتسلط قوى الاستعمار الجديد وعملائه المتآمرين على وطنهم وشعبهم.

إزاء هذه التراكمات الثقيلة وحملة الاعتقالات الواسعة والمحاكمات الانتقامية، كان عليّ أن أرفع أكثر سقف حيطتي واحتياطي وألتزم أقصى حدود السرية في تنقلاتي بين الدار البيضاء ومراكش.

وهنا، إن كنت أنسى، فلن أنسى أبدا أن أسجل وأحيي الشهامة التي غمرني بها المناضل الشريف الأخ موحى الحبيب وزوجته السيدة زكية الشرايبي، وكل ماقام به لضمان حمايتي من السقوط بين أيدي أعوان أجهزة الإدارة الذي كانوا في ذلك

الوقت يقلبون الدنيا رأسا على عقب بحثا عني. هذا الرجل، بكل ماتحمل الكلمة من معنى، كان قد أمدني عن طريق كاتبه الخاص محمد الموهوبي بأوراق إدارية مستعارة مكنتني من التنقل باطمئنان بين الدار البيضاء ومراكش. وكان قد تمكن بفضل ذكائه المتوقد والفريد، وحسن توظيف علاقاته الخاصة بأوساط فاعلة في النظام، من إنقاذ أخيه محمد العربي من تهمة ارتباطه بالمقاوم عبد السلام الجبلي.

كانت قد تكالبت وتواطأت عليّ في تلك الفترة عدة أحداث بالغة الوقع في القساوة، من اعتقال الفقيه البصري إلى ما دعي بمؤامرة 16 يوليوز 1963، فحرب الرمال بين المغرب والجزائر، وصولا إلى أكبر محاكمة لقادة المقاومة وأعضاء جيش التحرير التي مثلت تحولا جذريا ومنعطفا كبيرا وحاسما ستدخله منذئذ حركة التحرر الوطني، ولكنها للأسف، كما العادة، لن تدركه بعين اليقين سوى بعد فوات الأوان.

كانت واجباتي تطرح علي مهام دقيقة؛ فقد كان علي الحفاظ على مجموعة من التنظيمات في أقصى درجات الأمان والسرية، سواء منها تلك التي يقودها الضابط قائد الرحى ميلود بن علي الزموري، أو كريم محمد بن ابراهيم الباعمراني أو محمد بنسعيد الصغير أو بطل الحسن خالي...كما كان عليّ تدبر أمر ضمان استمرار عملها بلا انقطاع، في نفس الآن. هذا علاوة على ضمان استمرار الاتصال بهم وا ستمرار قنوات تزويدهم بالمؤن والحاجيات، وحل إشكالات المتابعين منهم من قبل أجهزة النظام مع إيجاد خطوط نقل مأمونة لهم، إن اقتضى الحال على الحدود المغربية الجزائرية.



مومن الديوري

...وإلى الجزائر مرة أخرى
في مارس 1964

وصلت إلى الجزائر بعد حرب الرمال ومؤامرة 16 يوليوز 1963...وقد خلفت تلك الأحداث أحوالا معقدة وثقيلة جدا على مجموعة من المقاومين البارزين في صفوف الاتحاد الوطني اضطروا للاختفاء أو اللجوء للجزائر كان في مقدمتهم عبد السلام الجبلي وعبد الفتاح سباطة وباهي محمد ومحمد عبروق واعمر العطاوي والحسين الخضار والحسين الصغير تراغا والحاج محمد بوزاليم وحميد برادة رئيس الاتحاد الوطني لطلبة المغرب ومحمد بوراس الفيكيكي وأجار محمد بونعيلات وشراق حمدون وأحمد المرابط أحد رموز الحركة الوطنية بالرباط.

وقد وجدت هناك مقاومين بارزين آخرين يعانون من أوضاع خاصة أفرزتها حركة المقاومة المغربية وعمقتها محدودية تفكيرهم من بينهم القائد الأعلى لجيش التحرير في الجنوب محمد بنحمو، وعبد الرحمان بن عبد الله الصنهاجي، أحد قادة جيش التحرير بالشمال المغربي، وعضو لجنة التنسيق بين الثورتين الجزائرية والمغربية، ومقاوم ثالث، قاد المقاومة المسلحة ضد نظام الحسن الثاني، التحق بالجزائر كما يروى بحثا عن دعم عند الحكومة الجزائرية بالأسلحة.

كل واحد من هؤلاء الثلاثة كان يتميز بأسلوبه الخاص في مواجهته الحكم المطلق.

في الهجرة بالجزائر، كانت توجد أيضا حركة من الاتحاديين تنشط مع حكومة بنبلة في مشروع مشترك للنضال جنبا لجنب في مواجهة الامبريالية وأعوانها في بلدان العالم الثالث، وتساهم من جانب آخر في حل مشاكل اللاجئين وفي مقدمتها مشكل

" معسكر لوطا" لتدريب حوالي 200 من المتطوعين ضمنهم أغلب اللاجئين القدامى والجدد. وجدت هذا المعسكر قائما، ولكن لاأدري كيف أنشئ ومن بادر إليه وماهي

الدواعي والحسابات التي كانت وراءه. وقد قرأت مؤخرا رواية نشرها الكاتب محمد لومة في كتابه "أسطورة شيخ العرب" يقول فيها بأن" الأخ عبد السلام الجبلي المسؤول عن اللاجئين قدم لنا الضابط الجزائري عبد العالي قائلا: هذا هو الظرف الذي تنتظرونه على أحر من الجمر، ولقد دقت ساعة العمل، وها هو الضابط عبد العالي المكلف من الحكومة الجزائرية لإدخالكم إلى معسكر التدريب استعدادا لدخول المغرب...وأن النظام الجزائري مستعد لدعمكم بكل الوسائل" (ص 129 و 130).

وأنا هنا إذ أنشر هذه الرواية، لايمكنني التعليق عليها لأنني ببساطة لا أملك المعطيات والقرائن التي تسمح لي لا بدحضها ولا بدعمها. وكل ما أعرف، أنني وجدت خلافا دائرا حول هذا المعسكر بين عبد السلام الجبلي ومجموعة من المسؤولين اللاجئين معه أدى في النهاية إلى انسحاب الأخ عبد السلام الجبلي من جميع مسؤولياته المذكورة. لم أدرك حينها لا دواعي الخلاف ولا الأسباب التي بررت للأخ عبد السلام قرار انسحابه. ولكن المحقق أن هذا الأمركان قد وضعني شخصيا في إحراج كبير سواء مع الإخوة المسؤولين الأولين في الاتحاد الوطني، أو مع الأخ الرئيس أحمد بنبلة الذي كنا موجودين في ضيافته.

وكان أن قبلت مكرها تولي مسؤولية هذه الحركة تجنبا لتفكك النواة المسؤولة مع جبهة التحرير.

كانت أولى الخطوات التي كان علي الإقدام عليها هي مواجهة الخلل الموجود في معسكر "لوطا" هذا الذي تكون بشكل عشوائي. فأغلب شاغليه كانوا أناسا لا علاقة لهم بأي شكل من الأشكال بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية، بل منهم من انتزع من بعض متاجر القاطنين بوهران أو بشار أو من تيندوف، عن طريق القائد بنحمو وأحمد فوزي شيخ العرب.

لم أفهم أبدا الدوافع التي قد تكون أدت آنذاك بالقائد بنحمو للسقوط إلى هذا الدرك، غير أني سمعت بعد ذلك من بعض الزملاء أن سعيد بونعيلات هو الذي دعاه للالتحاق بالجزائر حيث تورط في صدامات مع الجيش الجزائري، الذي كان يحاول استعماله، والذي كان يلح في أمر اعتقاله، وأنا إذاك منهمك في حل مشاكل اللاجئين وملفات معسكر "لوطا"، على نحو سمح لنا بالحفاظ على علاقات سليمة مع الجزائر على عهد هواري بومدين إلى حين وصول الفقيه محمد البصري إليها.

من المفيد بهذه المناسبة أن أعرض لبعض محطات علاقاتي الشخصية مع أحمد فوزي المعروف بشيخ العرب. فقد تعرفت عليه ضمن جماعة من المقاومين بالرباط، وذلك في سياق عادي يخلو من أية خصوصية. وقبل ذلك كانت تصلني، حين كنت في قيادة جيش التحرير بكلميم، أخبار عن النشاط الذي كان يقوم به رفقة محمد بولحية الطاطي بمنطقتهما، كما كانت تصلني أخبار اخرى ومؤاخذات من قبل عامل عمالة أكادير، وأخبار ثالثة عن تصرفات ضباط زموريين بجيش التحرير قاموا بعدد من التجاوزات التي أثارت سخط الرأي العام بمنطقة سوس من اختطافات ونهب أموال قياد وأعوان التهامي الكلاوي. وللتذكير، فقد كانت تلك التجاوزات واحدا من الأسباب الكبرى التي دفعت إلى انتقالي وقتها إلى إلى قيادة جيش التحرير في الجنوب المغربي، بإلحاح شديد من زملائي في قيادة الجيش.

كنا قد اتخذنا تدابير صارمة ضد تلك التجاوزات والارتكابات التي أساءت لسمعة جيش التحرير ومثلت انحرافا فاضحا عن المهام الموكولة له.

قبل ذلك، كان محمد الباعمراني عامل إقليم أكادير قد اتصل يطلب مني العمل على إيقاف تدخلات يقوم بها المقاوم أحمد فوزي (شيخ العرب) في شؤون الإدارة بالعمالة التي يشرف عليها.

في الحين طلبت من أحمد فوزي المجيء إلى كلميم للمذاكرة حول قضايا تهمنا

جميعا. وبعد أن وضحت له مهام جيش التحرير في الجنوب المغربي المحددة بالضبط في العمل على تحرير المناطق التي ما تزال محتلة، وبأن هذا الجيش لاينظر له بعين الرضى من قبل عدة أوساط نافذة ومعروفة في قمة السلطة وتتحين الفرص للانقضاض عليه وتصفيته، حاولت أخيرا استيعابه بلطف عندما عبرت لهـ محاولة استبقائهـ عن حاجتنا لخدماته في المركز.

ولقد سمعت منه انتقادات بسبب الاستدعاء ذاته. وكنت قد نبهت زميلا له هو الحاج أحمد أشويط لما أخبرني بحركتهما السرية، وقلت له بأن عواقب ذلك الاختيار ستكون وخيمة.

ولكن أحمد فوزي، غير عابئ بأي شيئ، سيقرر الاستمرار في ذلك النهج حتى صدر في حقه حكم بالإعدام بتهمة القتل سنة 1961.

وقد فاجأني يوما في غرفة بمستشفى ابن رشد يعرض علي المأزق الخطير الذي يوجد فيه، فاقترحت عليه أن أتدبر أمر حصوله على جواز سفر يمكنه من مغادرة البلاد، وهو ماتم فعلا بحيث توصل بالجواز، ولكنه مرة أخرى بقي مستمرا في عمله السري بدعم من الحسين الخضار بالرباط الذي أقنعه بالبقاء والاستمرار في معركته ضد النظام.

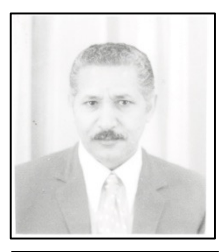
وكان مما توضح لي في ما بعد، أن اكتشاف خيوط مايدعى بمؤامرة 16 يوليوز كان بسبب اعتقال مومن الديوري.



أحمد المرابط المعروف
بعبد الوهاب
من رموز الحركة الوطنية
بالرباط



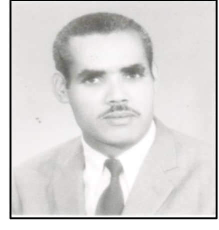
إبراهيم التزنيتي
مسؤول قيادي بجيش التحرير في الجنوب،
واسمه في الهجرة بالجزائر عبد الله النمري.
استشهد في أحداث 3 مارس 1973.



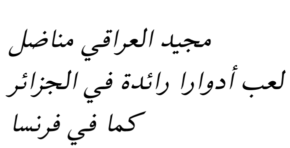
لحسن زغلول
مسؤول قيادي في
حركة التحرير المغربية
في اللجوء بالجزائر



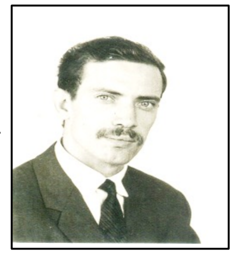
كريم محمد بن ابراهيم الباعمراني
رفيقي في مهام سيدي إيفني



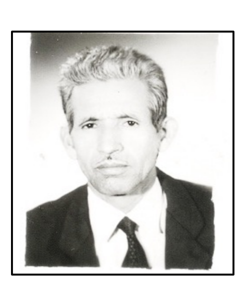
حسن مرزوق مناضل في
حركة اللاجئين المغاربة



الهاشمي المتوكل
المعروف بالهاشمي لكحل
من مخابرات المنظمة السرية



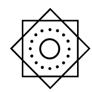
مجيد العراقي مناضل
لعب أدوارا رائدة في الجزائر
كما في فرنسا



الطاهر
بن الهاشمي(السي حمو)
مسؤول قسم المؤن بالمقاومة

[36]

في أصول وأسباب الضربة التي أحاقت بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية



مِنَ الأمور التي لم تتأخر كثيرا في أن تتوضح حقائقها بعد فترة، أن أسباب الضربة التي أحاقت بالاتحاد الوطني للقوات الشعبية وبأغلب المقاومين المنتسبين له، أتت من ذلك النوع من التنظيمات المفتوحة والمختَرَقة التي قادها شيخ العرب ومومن الديوري، عندما نقلوها إلى داخل صفوف قواعد الاتحاد الوطني للقوات وحولوا هذا الأخير إلى غطاء وحاضنة لها. وعندما تمكنت هذه الأخيرة، أكثر من ذلك، من أن تربط الاتصال المباشر بقيادة الحزب الوطنية، مع الفقيه البصري والمهدي بنبركة كما ثبت ذلك في اعترافات مومن الديوري لأجهزة البوليس، الذي كشف عن أنشطته مع الفقيه البصري وسعيد بونعيلات والمهدي بنبركة.

لم يكن نظام الحسن الثاني يحلم بمثل هذه الهدية التي لا تقدر بثمن، وهي تقدم له مجانا على طبق من ذهب. ومن طرف من؟ لذلك راح يستغلها إلى أقصى الحدود دعائيا وسياسيا.

إلى هذا الملف الحارق والمعقد، سأضيف ورقة أخرى تتعلق بشخصية أخرى بارزة في المقاومة كانت قد التحقت هي الأخرى في نفس الفترة بالجزائر بدون أن أتبين الدافع الحقيقي الكامن وراء اختيارها اللجوء السياسي إلى تلك البلاد. إنه المقاوم المشهور عبد الرحمان بن عبد الله الصنهاجي الذي يعتبر أحد رفاق محمد الزرقطوني في تنظيم المنظمة السرية قبل نفي الملك محمد الخامس، وأحد قادة جيش التحرير بالشمال المغربي كما أسلفت في مكان آخر.

ونظرا لمحدودية أفقه السياسي فقد انتقل بدون وجع قلب من معسكر إلى المعسكر المضاد له؛ فقد سبق له الارتباط مع الدكتور عبد الكريم الخطيب والعامل المحجوبي أحرضان والمساهمة معهما في تأسيس الحركة الشعبية. ولكنه، لأسباب أخرى، لم تكن تسمح له بالاستمرار مع الحركة الشعبية بعد انتفاضات الريف سنة 1958، سيلتحق بمؤسسي الاتحاد الوطني للقوات الشعبية من أجل استكمال النصاب المطلوب لمواجهة الكتلة الثالثة التي كان يقودها الصديق الحميم لولي العهد أحمد رضى اكديرة. ولن يستمر طويلا في ارتباطه بالاتحاد الوطني، إذ سرعان ما قفز لتأسيس حزب صغير هو حزب العمل.

عندما أتذكر معطى معرفة بن عبد الله الصنهاجي السابقة بالرئيس بنبلة خلال معركة التحرير المغاربية عام 1955، أعود دائما لأواجه ذات السؤال الذي ما وجدت له أبدا، وإلى اليوم، جوابه الشافي: ماهي الدوافع الكامنة وراء اختياره اللجوء السياسي بالجزائر؟

وإلى هذا الملف الحارق والمعقد، سأضيف ورقة أخرى تتعلق بشخصية رابعة التجأت هي الأخرى للجزائر، وهي شراق حمدون من قبيلة كبدانة، مناضل سياسي

سابق في حزب الإصلاح الوطني، تعرف وارتبط، عن طريق التجارة، بعلاقات مع أعضاء في حزب الشعب الجزائري، وتمكن من نسج خيوط سياسية مع أعضاء من المنظمة الخاصة عن طريق العربي المهيدي ومحمد بوضياف وربطهم مع قيادة المقاومة المغربية بتطوان، أي سعيد بونعيلات وحسن صفي الدين والحسين برادة وعبد الرحمان الصنهاجي الذين يشكلون النواة الأولى لجيش التحرير المغربي بتطوان. وقد ساهم شراق حمدون بشكل مباشر في إفراغ باخرة "دينا" من الأسلحة الموجهة للثورتين الجزائرية والمغربية، والوقوف على إيصال تلك الأسلحة إلى أماكنها المأمونة في مواقع مغربية أو جزائرية.

أريد هنا أن أبرز الدور الرائد الذي قام به هذا المناضل البسيط في تلاحـم الثورتين في كل من المغرب والجزائر. فما يثير انتباهي في هذه الشخصية هو أنه حافظ على علاقاته الخاصة بالرئيس هواري بومدين منذ إنزاله من الباخرة "دينا" تحت اسم بوخروبة إلى ضاحية الريف حتى استقلال بلاده. وقد علمت في ما بعد أن وزير الدفاع الجزائري هواري بومدين كان يستعين بهذه الشخصية للقيام بمهام خاصة موضوعها حركتنا السياسية والتنظيمية في المنفى. ولم تكن الغاية من وراء ذلك لتنحصر فقط في مستوى زيادة تعقيد أوضاعنا ومحاولة إعاقة العمل الذي بدأناه لحل المشاكل التي خلفها معسكر "لوطا"، بل تعدته حين وصل الأمر مستوى تشجيع جماعات أخرى تتحرك خارج برنامج الاتحاد الوطني، وذلك مباشرة بعد نجاحنا في تجميد المعسكر المذكور. بل ما لبثنا أن تفاجأنا بتفريخ تنظيمات أخرى تحت مسؤولية مسؤولية القائد الأعلى محمد بنحمو وسعيد بونعيلات وأحمد فوزي (شيخ العرب) وعمر الفرشي.

ولقد بلغتني أخبـار عن أعمال تحضيـرية يباشرونها. وأغرب ما في الأمر حقـا أن المرحوم عمر الفرشي جاءني يوما يطلب مني فتح دعم مادي لحركتهم وآخر لوجيستيكي قوامه سيارات يحتاجونها في مهامهم التحررية. كان أسلوب مخاطبته لي فجّاً، وكنت اكتفيت بأن قابلت طلبه بالرفض.

تمت دعوتي بعد ذلك إلى لقاء بمنزل شراق حمدون في مدينة بلعباس لمعاودة مناقشة الموضوع أملا في إقناعي وموافقتي على السير معهم في ذاك النهج، فكانت مناسبة لأستعرض معهم مجددا بشكل أخوي وصريح الأخطار الحقيقية التي ستلحق بوضعنا في هذه البلاد جراء ذلك.

وقد علمت في ما بعد أن أعضاء في قيادة الجيش الجزائري لبوا طلبهم فزودوهم بأسلحة متنوعة عن طريق شراق حمدون، هذا الأخير الذي لم يشارك في النقاشات التي تدور في منزله.

كان مصير تلك التجربة المحتوم هو الفشل طبعا؛ فقد تم اعتقال أفراد تلك الجماعة على الحدود المغربية وحكم على أخ محمد بنحمو بالإعدام ونفذ الحكم على الفور.

كنت أبديت للرئيس أحمد بنبلة امتعاضي من مثل هذه الأعمال. ولم يتأخر أيضا رد فعل النظام الذي جاء احتجاجا قويا، اضطر معه رئيس الحكومة لإرسال مدير ديوانه الخاص امزيان للاعتذار عما وقع.

كنت ألمس شدة الحرج عند الرئيس أحمد بنبلة وأنا أناقش معه موضوع السماح لجماعة من اللاجئين المغاربة المسلحين بدخول المغرب انطلاقا من التراب الجزائري، خارج أي إطار محدد ومسؤول. وربما زاد من حرج الرئيس عدم علمه هو نفسه بكل عناصر وتفاصيل هذا الموضوع.

من جهة أخرى ذات صلة، آلمني كثيرا أن ضابطا من جيش التحرير المغربي برتبة قائد الرحى هو ميلود بن علي من الخميسات كان قد تعرض للتصفية الجسدية بمعسكر تلك الجماعة هو ورفيق آخر له لم أعد أتذكر اسمه، وذلك لمجرد أنه بلغ إلى علم الجماعة إياها أن الفقيد القتيل كان مايزال قيد حياته مثابرا على الاتصال بي، وأنه بالخصوص رفض ركوب مغامرتها.

كانت هذه صدمة كبيرة لي، فقد كنت أقدر الفقيد تقديرا جمّا لما كان مسؤولا على المقاطعة التي يشرف عليها، بحيث كان من أفضل الضباط وأحسنهم تدبيرا. وكانت صدمتي أكبر، وأنا أشاهد بأم عيني كل هذا الجنون، وأتساءل بأية عدالة ،بأي حق، بأي منطق و بأي نوع من التنظيم يُقْدِم رفيق سلاح على تصفية رفيق سلاحه لمجرد خلاف في التقدير السياسي، إن جاز لنا أن نصنف مثل هذه الجرائم الموصوفة، في هذا الإطار؟ ومن يدري ماكانت تلك الأقدار أو المصادفات التي جنّبتني أنا أيضا مصيرا مشابها؟ أليس أكبر دليل على هذا الاحتمال هو خبرة الحياة نفسها التي تعلمنا أن مثل هذا الأمر ليس فقط احتمالا واردا، بل يكاد يكون أمرا محتوما كلما تم الالتجاء للغة السلاح لحسم خلافات سياسية حتى بين رفاق الدرب الواحد، بل بين هؤلاء بالخصوص؟

كان ضمن اللاجئين على التراب الجزائري أيضا أحمد الميداوي، وهو من العناصر البارزة التي كانت في قيادة الحركة الشعبية عندما أطلقت حملاتها ضد حزب الاستقلال، إلى جانب المحجوبي أحرضان وعبد الكريم الخطيب والقائد لحسن اليوسي. كنت قد سمعت من فم هذا الرجل عددا هاما من تفاصيل المطبخ الداخلي للحركة الشعبية وعن الأدوار التي لعبتها كرديف قوي لحزب المحامي"الليبرالي" أحمد رضى اكديرة في صنع خريطة القوة الثالثة المهيأة لقبول التسويات وأنصاف الحلول التي تحملها وثيقة "لاسيل سان كلو"، ولتغطية عدد من الأحداث سواء منها تمرد عدي أوبيهي أومحاولة اغتيال زعيم حزب الاستقلال علال الفاسي، أو الخلفية التي كانت وراء حدث نقل جثمان المرحوم عباس المساعدي يوم 16 شتنبر 1956.

كما شرح لي دور عائلته في كشف المتآمر المسمى الخمار الميداوي ضد جيش التحرير، وكان هذا الأخير من الطلاب الذين تلقوا تدريباتهم العسكرية مع الجماعة التي هيأها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بهدف الانخراط في جيش التحرير المغربي، تمكنت السفارة الفرنسية في القاهرة من استقطابه هو ومجموعة من أعوان السلطة بمنطقة مدينة فاس وتكليفه بمتابعة تحركات جيش التحرير.

كان الخمار الميداوي قد قدم نفسه إلى مركز المقاومة بتطوان باسم الأمير بن عبد الكريم الخطابي. وقد أخبرني المقاوم بوراس الفيكيكي بأنه تلقى توصية في شأنه من قبل أحمد زياد تطلب إلحاقه بالمقاومة. وكان عباس المساعدي من تكلف بالارتباط مع هذا المبعوث المدسوس، حيث التقى به أول مرة بفاس وضرب معه موعدا آخر للعمل المشترك. وهنا سيقع تدخل أحمد الميداوي وأفراد من عائلته من أجل إخبار قيادة المقاومة بالمهمة القذرة التي كان الخمار الميداوي يسعى لتنفيذها لحساب المخابرات الفرنسية، فكان أن استدرجته قيادة المقاومة وجيش التحرير للقاء ضرب موعده في مدينة الحسيمة حيث تم اعتقاله وأصدرت محكمة جيش التحرير قرارا بإعدامه، ثم طويت قضيته في سرية تامة. كنت أعرف عن أحمد الميداوي أنه توبع من قبل أجهزة الداخلية خلال أحداث الريف عندما تم اعتقال الدكتور الخطيب، وأنه كان قد استفاد هو وعبد عبد الرحمان الصنهاجي من حماية مناضلي المنظمة السرية في الرباط، وبعد هذا الحدث نشرت أخبار عن انتقال الصنهاجي إلى صفوف الاتحاد الوطني للقوات الشعبية.

بعد مرور سنوات، وأنا حينها في الجزائر، سأستقبل أحمد الميدواي بترحيب وحفاوة كبيرين. وتوطدت علاقتنا ببعض إلى الحد الذي انهارت فيه كل الحدود، فطفق يبوح لي بعدد من الخبايا ويعترف لي، في نقد ذاتي حقيقي، عن أخطاء وأدوار قذرة جدا قامت بها الحركة الشعبية، وعن أدوار تنظيمية قام بها أيضا أعضاء من المقاومة وجيش التحرير تلاعبت بهم القوة الثالثة عندما سقطوا في حبائلها.

تلك الشخصيات التي أتينا على ذكرها واحدة تلو الأخرى، ورطتنا في مهام وأعباء إضافية كنا في تمام الغنى عنها؛ فأحمد أكوليز الذي كان مهووسا بالبحث عن الأسلحة والدعم المادي لحركته، والقائد الأعلى لجيش التحرير بنحمو سيجد غطاء عند سعيد بونعيلات وشراق حمدون لخلق حركة جديدة بديلة لمعسكر "لوطا" الذي شرعنا في تجميده وتفكيكه بقرار واع، وسيجدون دعما خفيا من ضباط تابعين

مباشرة لوزير الدفاع الجزائري تمكنوا من فتح معسكر جديد مقتصر على تدريب بعض اللاجئين المرتبطين بالقائد بنحمو. وأذكر أن هؤلاء عادوا إلى ممارسة ضغوط متوالية عليّ لدعم مغامرتهم، إنما هذه المرة بأسلوب آخر لا يخلو من تهديد عن طريق المرحوم ناصر عمور.

ومرة أخرى، اجتمعت مع هؤلاء القوم بمنزل شراق حمدون، لم أهادن ولم أتنازل قيد أنملة عن جوهر موقفي الذي عبرت لهم عنه سابقا، وإن كنت من جهتي اخترت لغة أكثر مباشرة في التحذير والتنبيه من مغبة وخطورة هذا اللعب بالنار الذي لن يخدم بالقطع لا قضايا المغرب الحقيقية ولا قضايا الجزائر الحقيقية.

أما شيخ العرب، فقد لقي هو أيضا دعما من الضباط الجزائريين تمكن من إيصاله إلى المغرب. وقد تم اعتقال كل من القائد الأعلى وشيخ العرب عدة مرات إثر اصطداماتهم المتكررة مع إدارة الدولة الجزائرية بسبب تنقلاتهم إلى أماكن تعتبر حساسة في نظر المسؤولين العسكريين ككولمبشار وتيندوف، وبسبب جمعهم وحشرهم لأبناء تلك المناطق في معسكر "لوطا". ولكن لم يكن لقادة المسؤولين المغاربة دخل أو يد لا في اعتقال شيخ العرب ولا القائد الأعلى بنحمو الذي بقي معتقلا في معسكر باريكو حتى أطلق سراحه بتدخل من الفقيـه البصري وجماعتـه من اللاجئين معه.

في إطار العمـــل على حل مشكل معسكر "لوطا"، كنت فتحت نقاشا مع بعض االرفاق للاجئين في شأن تمويل مشاريع تجارية صغيرة في قطاع التجارة والمهن الحرة يستفيد منها اللاجئون وأبلغتهم استعدادي واستعداد عدد من رفاقي المسؤولين لتقديم مساعدة مادية في إطار ذلك، كما كنت استعنت بأصدقاء في حكومة هواري بومدين لنفس الغاية، فوجد عدد منهم عملا في محلات بعض التجار الجزائريين. هذا إضافة إلى بعض الحلول الأخرى التي كنا قد توصلنا إليها سابقا مع الشهيد المهدي بنبركة ومنها تسفير عدد من الرفاق إلى يوغسلافيا وألمانيا الديمقراطية ولبنان وسوريا إما لمتابعة دراساتهم الجامعية أو للتكوين السياسي والإيديولوجي أو المهني، وكل ذلك في إطار علاقات الشهيد على الصعيدين العربي والدولي.

وكنا أيضا اهتممنا بمعالجة حالة الفراغ التي كان يعاني منها اللاجئون على أكثر من مستوى. كما اهتممنا باستقبال الطلبة المغاربة الذين كانوا يفدون على الجزائر لمتابعة دراساتهم العليا في وقت لم يكن فيه شيء اسمه الجامعة المغربية قدرأى النور بعد. ومن أولئك الطلبة من استفاد من السكن الذي كنا وفرناه لهم في مركز الحزب بالقبة تحت إشراف الرفيق لحسن زغلول، وهو المركز الذي كان سابقا مقرا لسفارة غانا وسُلّم لنا في عهد بومدين كبديل عن فيلا مهمة في حي راق اسمه حيضرة تخلى عنها الأخ عبد السلام الجبلي. وكان هذا المحل مركزا حقيقيا، فقد كانت بعض غرفه تستعمل لإيواء الطلبة، كما كان ملتقى ومقرا للقاءات عديد من حركات التحرر الوطني العربية، والتحق بنا وبمسيرتنا السياسية فيه في وقت ما حميد برادة رئيس الاتحاد الوطني لطلبة المغرب في ذلك الوقت، وتمكن من ربط عدد من المناضلين الطلبة سواء المغاربة أو العرب بهذه المنظمة العتيدة.

كان الشهيد المهدي بنبركة قد اقترح علينا، في إطار المهام السياسية للاتحاد الوطني للقوات الشعبية مشروع فتح مدرسة لتكوين الأطر على مستوى العالم الثالث. وكان قد حصل على اتفاق في هذا الشأن مع الرئيس أحمد بنبلة الذي سلمه عقدا للمدرسة بمدينة البليـــدة التي لا تبعد عن العاصمـــة سوى بحوالي 40 كيلومترا. وقد شـــرع

المهدي بن بركة بهمته المعتادة في تحضير الأطر التربوية والإدارية وتجهيز المقر باللوجستيك الضروري من سيارات نقل ومكاتب وتجهيزات وأدوات أتت من الحزب الاشتراكي في جمهورية ألمانيا الغربية. غير أن انقلاب يونيو 1965 سيطيح بهذا المشروع وسنوضع كمسؤولين في إحراج من قبل قيادة الحزب التي سارعت عن طريق الشهيد بنبركة- والذي كان مستشارا للرئيس أحمد بنبلة- ببعث برقية تأييد من القاهرة لهواري بومدين، بينما قيادة حزب الاتحاد الوطني للقوات الشعبية في الداخل تعلن عن ردود فعل أخرى ضد الانقلاب. وأذكر أن مؤتمرا لمنظمة تضامن شعوب آسيا وإفريقيا قد انعقد بالمغرب في ذلك الإبان، وأن الحسن الثاني استغله طولا وعرضا، مستفيدا بشكل خاص من حضور الرئيس هواري بومدين، حين كلف

من يزوده بصحف الاتحاد التي كانت تنشر تهجمات عديدة ضد انقلابه في الجزائر.

أما نحن، في موقعنا هناك كمسؤولين وأعضاء في قيادة الاتحاد وكمعنيين مباشرين بالعلاقات الخاصة التي كانت تجمعنا مع نظام الرئيس أحمد بنبلة، فلم نجد كموقف أسلم وأنسب في تلك الشروط سوى التزام الصمت عن الانقلاب والحفاظ على علاقات عادية مع النظام الجديد مع رفع مستوى الحذر والحيطة في تحركاتنا والانكفاء قليلا إلى الداخل تفرغا لعدد من المشاكل التي كان مطلوبا تصفيتها. أما نظام الرئيس بومدين نفسه، فقد احتفظ من جهته بنفس العلاقات العادية التي كانت بحيث لم نلحظ أي تغيير يذكر أو أية بادرة أو إشارة تشير إلى العكس.

أحداث خطيرة عشناها في الحزب، عدد منها رعاها أعضاء في القيادة دون أن تأخذ هذه القيادة علما أو دون أن تتحمل مسؤولية مواجهة ومحاسبة المسؤولين عن أفعال وممارسات، هي أيضا ضالعة فيها بشكل من الأشكال، أقلّها غضّها الطرف...ومع ذلك لانقاش، ولا مؤتمر، ولا نقد ذاتي، لا وفق الأصول ولا حتى شكليا، على سبيل إنقاذ المظاهر.

وكان قد جرى نقاش موسع بيني وبين الفقيه محمد البصري، لكننا لم نصل إلى خلاصات متفق عليها ربما بسبب وجود أمور أخرى وتقديرات أخرى كانت مشتركة بينه وبين قيادة الحزب آنذاك لم أكن أنا على علم بها أولم يتم تبليغي بها لسبب من الأسباب.

ولقد أدركت هذا التوجه خلال مكاشفات في الحديث بيني وبين الفقيه مباشرة، كما استنتجته أيضا من هجومه الظالم والمغرض على عبد السلام الجبلي متهما إياه بارتباطات مزعومة له بعناصر مناوئة للحزب ذكر لي أسماءها ولكني استنكف عن ذكرها. وكان ردي على الفور، أن كذّبت كل مزاعمه ورددت على اتهاماته جملة وتفصيلا...

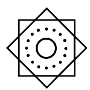
أما ما تلا ذلك، بدءا من خروجي من الجزائر إلى فرنسا، بعد أن صفيت ذمتي مع الحزب بتسليم كل المهام التي كنت أقوم بها، وكذا قدر من المال، سلمته للفقيه عن طريق الأخ عبد الفتاح سباطة في فرنسا، مرورا بحالة الإحباط الشديدة التي ألمّت بي واستدعت إدخالي مصحة نفسية بسويسرا، وباللقاءات المتأخرة التي كانت جمعتني بعد ذلك أولا بالمرحوم عبد الرحيم بوعبيد، ثم بعد ذلك أنا ورفيقي عبد السلام الجبلي مع المرحوم بوعبيد وعبدالرحمان اليوسفي وسعيد بونعيلات وحسن صفي الدين في باريس، وصولا إلى القطيعة مع الحزب...فتلك محطات سبق لي التطرق لها في موضع متقدم من هذا الكتاب، وسأعود لجوانب أخرى منها، هي وموضوعات أخرى، في الجزء الثاني من هذه السيرة / الشهادة التاريخية.

محمد بنسعيد آيت إيدر

● ● ●

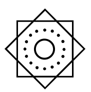


حفل الذي أقامته منظمة العمل الديمقراطي الشعبي بإقليم أكادير احتفاء
بعودة الفقيه محمد البصري من المنفى
في الصورة بعض مناضلي المنظمة ورفاق البصري في المقاومة بأكادير والصحراء المغربية
وآيت باعمران ومنطقة تارودانت



ملاحق

- شهادات
- رسالة محمد بنسعيد لشباب "حركة 20 فبراير"
- فهارس



شهادات





(الفقيد الراحل) ا محمد بوستة

أمين عام سابق لجزب الاستقلال، وزير سابق وعضو هيئة حكماء الحزب

"

تحية نضالية خالصة لكل الإخوة، لم تساعدني الظروف لأتعرف على الأخ السي محمد بنسعيد في زمن مبكر، في البداية كانت معرفتي به من بعيد بعد إنشائه لجيش التحرير وخوضه لمعارك في الصحراء خصوصا معركة إكوفيون التي كان من أبطالها، وما كان يقوم به وهو طالب بمدرسة مولاي يوسف بمراكش، لم أتعرف عليه بصفة مباشرة إلا بعد أن التقيته يوم 22 غشت 1972 في لوزان بسويسرا، عندما جاء لعيادة الأستاذ علال الفاسي وهو في فترة نقاهة، الذي بدوره شكره وأثنى عليه، وأسر لي أن بنسعيد من الرجال الذين يمكن الاعتماد عليهم في النضال والثبات على المبادئ، بعد ذلك بعشرين سنة تقريبا، سألتقيه ثانية عندما كنت أتردد على باريس لإقناع الإخوان بالعمل داخل المغرب، وذلك بتنسيق مع السي عبد الرحيم بوعبيد حيث كنا نلتقي بمنزل الأخ امبارك بودرقة، بحضور الإخوة الفقيه البصري، عبد الرحمان اليوسفي، محمد اليازغي ومحمد الباهي، كانت جلسات جد متميزة بمواقف السي محمد بنسعيد، والتي كانت فاصلة في كل النقاشات الحادة التي كنا نتداول من خلالها الأوضاع في المغرب ومستقبل البلاد، وما يمكن القيام به في تلك المرحلة في إطار الإصلاح وتصحيح الأوضاع.

بعد دخوله إلى المغرب عملنا عن قرب في إطار الكتلة الديمقراطية، المعروفة بمكوناتها، حزب الاستقلال، الاتحاد الاشتراكي للقوات الشعبية، التقدم والاشتراكية ومنظمة العمل الديمقراطي الشعبي، كقوة دافعة في شخصه، تحت شعار المشروعية

للجماهير ووضع المؤسسات ونهج برامج تستهدف أساسا الشعب والشباب، حيث تعرفت عليه أكثر واطلعت على جوانب أخرى من شخصيته وطبيعته المرحة مع الجدية والثبات على الموقف. وكان دائما يشدد على المشروعية الجماهيرية ودور الشباب. عرفته هكذا صامدا ثابتا على المبادئ المبنية على الخير بدون خلفيات مصلحية، شخصية كانت أو سياسية،ما كان يهمه هو مصلحة الشعب، سواء في المغرب أو على مستوى المنطقة المغاربية ككل. أقدر فيه وفاءه وثباته ورؤيته الواسعة في التعاطي مع القضايا الشبابية والمغاربية".

"





كريم التازي

رجل أعمال وناشط
في الحقل السياسي والمدني في المغرب

"

(...) لي الشرف أولا أن أعترف وأنا أتساءل مع المتسائلين لمَ وكيف بقي هذا الرجل، طوال كل هذه السنين شريفا ونظيفا؟

(...) لست مؤرخا، ولم يسبق لي الاحتكاك به والتعرف عليه خلال أزهى فترات مساره النضالي السابقة القوية الإشعاع، كمنارة.

كان قد زارني في مكتبي، في إطار حملة اتصالات يقوم بها في معمعة التحضير لعقد المؤتمر الوطني لحزبه، حزب اليسار الاشتراكي الموحد.

كنت، من جهتي، قد هيأت نفسي لاستقبال هذه الأسطورة الحية، هذه المدرسة ـ وقد كان كذلك حقا وحقيقة بكل درجة الاستحقاق والامتياز التي يمكن تصورها ـ غير أن ذهولي كان شديدا حين وجدت نفسي أمام رجل في غاية التواضع والإنسانية ... في تلك اللحظة فقط، أيقنت أنني فعلا إزاء حالة استثنائية لم أجد أنسب ما يترجم بأمانة موقفي منها سوى عبارة "فريد زمانه".

ومن فيض أمور كثيرة قد لا يستنفذها العدّ والإحصاء التي ترفع الرجل إلى هذا المقام، مقام فريد زمانه حقا وحقيقة، أن الزمان ـ هذا الذي يروضنا وينهكنا، وقد يحول الكثير منا إلى أموات وهم ما يزالون يدبون على الأرض ـ لم ينل منه أبدا مثقال درة... بأي معنى قصَدْنا.

ومنها أيضا، هذا الملتقى الدراسي/ التكريمي الذي نجح في تحقيق جمع وتلاقي كل هؤلاء المناضلين ورجال الأعمال والشباب من كل حدب وصوب...

ومنها أيضا وأيضا أن شبيبة 20 فبراير، عندما فتحت أعينها على السياسة- كانت وجدت محمد بنسعيد قد استبق فقرر التخلي عن مسؤولياته القيادية في الصف الأول داخل حزبه، مفسحا المجال للأجيال الجديدة- لم تتعرف على ذاتها في رجل آخـــر من جيل الكهـــول سوى في بنسعـــيد بالضبط، وفيه وحده .

ما يفتن في بنسعيد، خارج مساره ومواقفه، هي القوة الهادئة لشخصيته. وإذا جاز لي استعارة لغة الإعلاميات، سأقول: ثمة خوارزمية (ل)محمد بنسعيد، مثلما ثمة خوارزمية(ل)غوغل!

وإذا جاز لي استعارة مصطلح من علم الوراثة، سأقول: ثمة أيضا حمض نـــووي بنسعيـــد، أخلاقي ADN Bensaid
من هذه الناحية، هو قدرة عظيمة لضبط وحُكْم ذاته أولا ، وهو ثانيا ليس الزعيم الوحيد في تاريخ هذه البلاد الذين خاضوا معارك عديدة: من معركة الاستقلال ومعركة الديمقراطية، حتى معركة توحيد اليسار...غير أن أهم معركة تخصه هو وتميزه، هي تلك التي خاضها على الدوام ضد ذاته.

أن يسيطر على هذه الذات، هذه "النفس" التي يمكن تعريفها كمقر لكل الأهواء والرغبات، بما في ذلك هوى المال وهوى السلطة... وأن يظل حيث عرفه الناس أول الأمر، وحيث يجدونه في نفس ذاك الموقع الذي عرفوه، مناضلا مستعدا لتبني قضاياهم ولخدمتهم كجزء من حركته المتدفقة بسخاء وبدون انقطاع...فهذا ما جعله يراكم رصيدا هائلا من الشرعية الشخصية لا يتغذى فقط من سيرة أعماله الماضية، بل أيضا، وخصوصا، من التزامه وأعماله الجارية، بدءا من استمرار نضاله في مختلف أسماء التشكيلات السياسية التى بنى، وليس انتهاء بدعمه القوي والعلني لحركة شباب 20 فبراير.

أعماله تلك، يجمعها كلها خيط ناظم رفيع، وهو دعم وتثمير لشرعية الماضي بوضعها في خدمة المستقبل، وهي أيضا تقدم هذا الدرس: محمد بنسعيد، هذه الهامَة، في سن الثمانين

وأكثر، ينحني، تحية، أمام شجاعة وقتالية وطراوة الشباب. وما كان له أن يفعل لو لم يكن دائما واحدا منهم إن لم يكن في أحيان كثيرة يسبقهم للموقع.

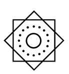
قوة انسجامه مع ذاته، ووفاؤه لقناعاته، وثقته بالنفس التي لا تتزحزح، وتشبثه بمصالح البلاد والناس بعيدة المدى...تثير الذهول عند من يتابعون مساره ويلاحظون كل ذلك القدر من الصرامة والشغف الذي يميز انخراطه في كل واجهات العمل الاستراتيجية، سواء تعلقت بالبرنـــامج السياسي (الإصلاح الدستوري)، أو بالتحالفات أو بأمور التنظيم...

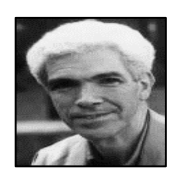
ختاما، أحسب أن هذا الإرث، يوجد اليوم أمانة، بين أيدي كل من يحبونه، وقد أمكن لكل المساهمين في هذه المناظرة، على مدي يومين، أن يقفوا، بشكل حسي، على بعضٍ من ملامح الرجل...الكل يتحدث عنه، والكل يبعث بتحاياه وبعبارات تقدير له من الجهات الأربع للقاعة...وهو، هنا، لا تفارقه تلك الابتسامة المميزة لأولئك الذين يعرفون كيف يأخذون مسافة ... عن كل الأمور(...).

"

ترجم النص
عبد الرحمن زكري







محمد حربي

مؤرخ ومفكر مغاربي من الجزائر

"

اسمحوا لي قبل أن أتحدث في عجالة عن عن الموضوع الذي اخترت التدخل فيه وهو المشروع المغاربي، مشروع وحدة المغرب العربي، أن أتوجه بتحياتي الخالصة وأساهم في تكريم أخينا محمد بنسعيد الذي كنت عرفته باسم آخر هو خالد عبد الله. اليوم هو محمد بنسعيد آيت أيدر.

أنا سعيد جدا كوني تعرفت على هذه الشخصية التي بقيت وستظل دائما مطابقة لنفسها، تماما كما عرفتها منذ سنوات. هذا مناضل، علينا جميعا واجب تكريمه وتحيته على مايتمتع به من وضوح رؤية بخصوص دوره كمناضل: أي خدمة الشعب ، وليس استخدامه، خصوصا وأننا نعرف جميعا حجم الخسارات والانحرافات التي جرت في عالم المقاومة سواء في المغرب أو الجزائر أو تونس. فكثيرون هم، أولئك الذين تحولوا ـ بعد الأدوار التي قاموا بها في تلك المقاومة ـ إلى مضطهِدين جدد لشعوبهم.

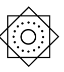
محمد بنسعيد لم يسجن نفسه في حدود الشرنقة "الوطنية"، وبقي منفتحا على الدوام على المستقبل المغاربي.

أنا أحيي فيه مواطنته المغاربية، فهو شاهد وفاعل لم يمدنا بخبرته فقط، بل أيضا بكم من الوثائق القيمة. وهذا لا عني ألا شيء يجمعه البتة بتلك الفصيلة من الناس، الذين فقط لأنهم مقاومون، يعتبرون أن التاريخ الذي يروونه هم هو التاريخ الحقيقي وليس مجرد شهادات(...)".

"

ترجم النص

ز.ع





الحسين زهوان

أحد قدماء قيادات الثورة الجزائرية ورئيس الرابطة الجزائرية لحقوق الإنسان

"

شكرا على الإستضافة(...)

لا يفوتني أن أؤكد أن التكريم لا يمكن أن يكون إلا لهذا النوع من الرجال. لمثل هذه الشخصية التي ساهمت، مما لا شك فيه، في بناء الدولة وأعطت للبلد الكثير، خاصة ما يهم صناعة التاريخ ببطولات و تجارب عبر مسيرة تاريخية حافلة. فعندما يكون لشعب ما يستحق من الرجال في قيادته يكون قادرا على صنع المعجزات...

هذه الخاصية تتجسد في شخصية محمد بنسعيد آيت ايدر، خصوصا في الفترة التاريخية التي تميزت بنهاية الحرب العالمية الثانية من جهة، وفي وقت كان المغرب العربي ينتظر الاستقلال من جهة أخرى. بقيادة آيت إيدر أعطى المغاربة... حملوا السلاح، وأسسوا جيش التحرير المغربي الذي كان في الموعد التاريخي، ثم تلا ذلك مساهمة الشعب التونسي بما عرف بالتظاهر الأسود، وفي نفس السياق كانت تجربة الشعب الجزائري الذي واجه الاستعمار الفرنسي بجيش التحرير الوطني سنة 1954 و تكلل نضاله بالنجاح واسترجاع البلد لوحدته.

لقد واكبت بمرارة التطورات السياسية في عهد الاستقلال وما ترتب عليها من انتهازية، ولم أتنكر للمبادئ ولا خنت الأهداف التي ناضلت دائما من أجلها. ويسعدني أن أكون في هذا مثل الرفيق آيت ايدر بقي على نفس النهج في الصمود والنضال دون السعي وراء سلطة أو ثراء أو نفوذ، بعيدا عن كل أنواع الفساد وما يحيط به من إرشاء وارتشاء. وعلى حد قول أحد الكتاب الجزائريين:" أعرف كثيرين قاوموا التعذيب، لكنني لاأعرف سوى قلائل قاوموا المال".

Je connais beaucoup qui ont résisté à la torture
Je connais peu qui ont résisté à l’argent

بعد الإستقلال سنة 1963/1962 كان اللقاء بالأشقاء المغاربة المهدي بنبركة ومحمد البصري والسي محمد اليازغي وحميد برادة، وكما هو معلوم كان الحلم هو الاتحاد المغاربي، لكن هذا الحلم تجسد معكوسا بعودتهما إلى السجون مرة أخرى بسبب مواقفهما الشجاعة والصارمة ضد السلطة.

لكننا بعد ثلاث سنوات، شاهدنا محمد بنسعيد يسلك نفس النهج، بعد أن قاد الثورة المغربية. وبالتالي فهاهو قائد الكفاح التحريري يعود للصراع والمعاناة والاصطدام مع السلطة، لأنه فضل التضحية على سياسة الانجراف مع تيار السلطة و الانتهازية .

إن تكلفة التضحية والنزاهة والاستقامة، طيلة ما يقرب من نصف قرن كانت وما تزال كبيرة وجسيمة، جعلت منه رمز النضال المغاربي ولم لا العربي.

هذا القائد العظيم، أنا أحييه تحية كبيرة، كما لا يفوتني أن أنوه بالخطاب الذي وجهته إلى حركة 20 فبراير والذي يعبر بأكبر وضوح على الإرادة النضالية لربط الماضي بالحاضر وتوطيد الأواصر بالجيل الجديد وربطه بأصوله النضالية من أجل استعادة الثقة في اندماج الأجيال وتكاملها والتوجه نحو المستقبل، على عكس ما حصل في الجزائر من تنافر وعداء بين جيل الشباب ومن سبقوهم.

ختاما شكرا للجميع وخاصة لمحمد بنسعيد آيت إيدر الذي منحنا هذه الفرصة التي تجعلني أتفاءل أكثر بالمستقبل المغاربي وأطمئن على كل الآمال التي عقدنا على المغرب العربي الكبير.

''



(الفقيد الراحل) إدريس بنعلي

رجل اقتصاد، مناضل سياسي ومدني،
أحد بناة الرأي العام في المغرب

"

اسمحوا لي في مفتتح مداخلتي هذه، أن أتقدم بتكريم خاص للسيد محمد بنسعيد. لم تتح لي أبدا مناسبة معرفته جسديا، غير أم ذلك لم يمنعني من معرفته عبر معاركه ونضاليته...رجل بقي صلبا وشامخا سياسيا، وبشباب خالد...
وأنا هنا، أريد أن أبدأ أولا بهذا الشباب، بهذا العنفوان السياسي بالضبط، وذلك، بسبب الخلط والالتباس الملاحظ في الأذهان، لأقول بأن الشباب بالمعنى السياسي ليس هو الشباب بالمعنى البيولوجي؛ أنظروا، لتتأكدوا أن رجالات الإنسانية العظام، الأغلبية الساحقة فيهم كانوا كلهم كهولا وقادوا إصلاحات وثورات بلدانهم وشعوبهم... قوموا بجرد للأسماء في الغرب وفي الشرق، من روزفلت إلى دوغول وتشيرتشيل وانتهاء بدينغ سياو بينغ... وسترون أن أنهم كلهم كانوا كهولا.
ولكن ألقوا نظرة أخرى، لتروا بالمقابل أن أغلب الحكام الطغاة والمستبدين على طول وعرض هذا العالم العربي كانوا شبابا عندما أخذوا السلطة. يجب الحذر إذن والانتهاء من هذه القصة، قصة الكهول والشباب، خصوصا عندما لا يراد بها سوى الباطل(...)".

"

ترجم النص: ع. ز



البشير بنبركة

نجل القائد الشهيد المهدي بنبركة
رئيس "معهد المهدي بنبركة- الذاكرة الحية"

"

أيها السيدات والسادة
لقد تعددت إشارات الوالد المهدي بنبركة في غير ما مرة، حيث كان يؤكد في كل لقاءاته وتدخلاته، على دور تجنيد الطاقات الشعبية وخاصة الشباب، من أجل مواجهة التحديات من جهة وبناء المجتمع الحداثي من جهة أخرى، على أساس ترسيخ مفهوم الاستقلال، وهو ما تجلى، على سبيل الذكر، في شق طريق الوحدة التي تم فيها تجنيد سبعة عشر ألف شاب من كل مناطق المغرب، كي يصبحوا رجال الاستقلال كما كان يردد.
بالطبع كانت شعارات الأمس، المطالبة بالديمقراطية والكرامة خلال العهد الماضي، بمثابة دفعة قوية واستئناف لمطالب اليوم كما تجسدت في انتفاضات الربيع على الساحة المغاربية، وكانت إحدى أهم ترجماتها في المغرب على الخصوص ما حملته حركة 20 فبراير، المستمدة من الشبيبة المناضلة، وبالتالي فهي ثمار برنامج سياسي ذي آفاق اقتصادية واجتماعية وحتى ثقافية في دعوتها للمواطنة الحقة.
لا يسعني إلا أن أشيد بالتدخلات التي سبقتني، حول العطاء الإنساني والنضالي و السياسي للمناضل محمد بنسعيد، ولا بد من التأكيد على أنني وعائلتي نعتز كل الاعتزاز بالعلاقة النضالية الحميمية والوطيدة، وبالصداقة التي كانت تربط والدي المهدي بنبركة، وتربطنا جميعا نحن أفراد عائلته بمحمد بنسعيد المقاوم الشامل...كانت تلك الصداقة وما تزال صداقة صدق ووفاء لاحساب فيها ولا خلفيات.
مقاوم شامل لأن المقاومة عنده، لم تكن تنحصر فقط في المقاومة المسلحة ضد الاستعمار، ولا في المقاومة السياسية ضد الاستبداد والظلم، بل كانت أيضا، وبالخصوص، مقاومة

معنوية وأخلاقية، على صعيد القيم، ضد كل محاولات النظام تمييع العمل السياسي ، وضد محاولات الاحتواء، وضد محاولات تشديد طوقه المخزني على كل الأنشطة النضالية للقوى الحية حقا في هذه البلاد، والتي ما أحوجها اليوم لمناضلين من معدن محمد بنسعيد أيت إيدر.

في الأخير أجدد تحياتي، باسمي ونيابة عن عائلتي للجميع، وبالأخص لكل أفراد عائلة آيت إيدر".

"



مولاي عبد الله العلوي

رجل أعمال، من مؤسسي مركز محمد بنسعيد
للأبحاث والدراسات

"

(...) أسمحوا لي أنا أيضا بأن أساهم في تكريم محمد بنسعيد آيت إيدر الذي عرفته، حين كنت طالبا في باريس. كنا آنذاك ندعوه خالد. كان الرجل بالنسبة لي، وبالنسبة لنا جميعا نموذجا؛ كان نموذج إنسان ديمقراطي ومعطاء وسيبقى إلى الأبد...وأنا اليوم لا أملك إلا أن أشكره أجزل شكر على ذلك، وعلى كل شيء.

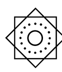
لست مؤرخا، أنا فيزيائي تكوينا، ولكنني بعد ذلك، انغمست في عالم المقاولة. وأعتقد، أن قوانين الفيزياء التي تحكم الكون، هي ذاتها التي غالبا ماتقود الشعوب والكائنات البشرية أيضا.

وقد ترجع الصعوبات التي نلاقيها في بناء وحدة المغرب العربي، إلى الاستعمار ومخلفاته. وصحيح أنه قبل استقلالات بلداننا المغاربية، كان ثمة تضامن أكبر، وضرورة تضامن أكثر منه رغبة في وحدة المغارب. إنما ما يخلق إمكانية للوصول إلى الوحدة هو بالذات ضرورات التضامن هذه.

ومع كامل الأسف، بعد الاستقلالات، لم تكن حكوماتنا ومسؤولونا، ولا مثقفونا ونقاباتنا وأحزابنا السياسية أيضا، لا من صنف الشعراء القادرين على الحلم بطوبى عوالم أخرى ممكنة، ولا من صنف أرباب مقاولات جيدين، إن جاز لنا اعتبار الشعوب والبلدان أيضا مقاولات، بمعنى ما (...)".

"

ترجم النص: ع. ز





فتح الله ولعلو

رجل اقتصاد، عضو المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي
وزير سابق للاقتصاد والخوصصة في "حكومة التناوب التوافقي"

"

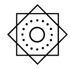
(...)أعتبر أن حضورنا جميعا هنا والآن، هو حضور مرتبط نوعا ما بشعورنا بالواجب؛ واجب أولا إزاء أخينا محمد بنسعيد آيت إيدر الذي نعتز به ونعزه كلنا. وأعتقد أن هذه المسألة تجمعنا جميعا، رغم أن البعض منا يعرفه منذ عقود، والبعض الآخر من بعض الشباب بالخصوص قد لا تتعدى معرفتهم سنوات معدودات.

اخترت التحدث عن موضوع مرتبط بحياته أيما ارتباط وهو موضع المغرب العربي اليوم وغدا. إنما قبل ذلك، من هو بنسعيد؟

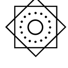
هو مقاوم، كان دائما مقاوما، وهو اليوم مقاوم وسيبقى دائما مقاوما...هو مقاوم ضد الاستعمار، ومقاوم من أجل وحدة الوطن، ومقاوم من أجل توطين الديمقراطية في هذه البلاد... مقاوم ضد الفساد ومن أجل محاربته...ومقاوم بطبيعة الحال من أجل الموضوع الذي يهمنا اليوم: بناء الفضاء المغاربي.

ليس سهلا أن يبقى الإنسان طيلة حياته مقاوما، ولذلك، مانتمناه، وما نحن متأكدون منه أنه سيبقى دائما مقاوما لصالح هذا الشعب المغربي ولصالح أمتنا بكاملها(...)".

"



الرسالة



رسالة محمد بنسعيد

إلى شباب حركة "20 فبراير"

"

تحية لشباب المغرب، إناثا وذكورا، تحية لحركة "20 فبراير" التي فتحت للشعب المغربي بابا على مستقبل الكرامة،

تحية لكن ولكم، جيلنا الجديد المنسجم مع عصره والحالم بمجتمع العلم والمواطنة، الجيل الجديد الذي هزم ترددااتنا، نحن جيل مقاومة الاستعمار، الجيل الجديد الذي شحذ عزائم جيل "سنوات الرصاص" ونفض الغبار عن إرادته العميقة في التغيير، وربما سيبدد ركونه إلى تجرع مضض الأمر الواقع الذي فرض عليه، تارة بالقمع الشرس، وتارة بالمناورة السياسوية التي شارك

فيها مع الأسف جزء لا بأس به من جيل بناة الوطنية ومقاومة الاستعمار.

تحية لكم ولعنفوانكم ولاندفاعكم الذي يبث في جسم الوطن المغربي شحن الحيوية التي توقدت للحياة، للفعل في العصر، للتفاعل الايجابي مع الألفية الثالثة وللحضور الكريم في فضاء العولمة.

تحية للشابات والشبان الذين أعلنوا للعالم أن الشعب المغربي ليس عاقرا.

تحية للشباب الذي يطمح أن يصير غدا من رواد حركة التغيير الأصيلة، للشباب الذي سينعت في التاريخ باسم "بناة المواطنة المغربية."

لست بحاجة لأبلغكم، يا شباب المغرب، تضامني المطلق مع حركتكم، "حركة 20 فبراير"، التي أخرجت للشارع وبشكل سلمي وحضاري، مطالب ومطامح تداولتها الأجيال التي سبقتكم لكنها لم تتوفق في تحويلها إلى قوة فاعلة، وهذا هو بالضبط ما حققتموه بذكاء وإصرار واتزان.

لست بحاجة لأذكركم وأنتم المعتزون بمغربيتكم الغيورون على بلدكم أن الوطن لا يتقوى ولا يتصلب عوده إلا بحقوق المواطنة، وأن الدرع الحصين للوطن هو المواطن الذي يشعر أن مواطنته غير منقوصة وأن عنوانها هو العيش الكريم في مجتمع منتج متضامن ديمقراطي حيث لا صوت يعلو فيه على صوت القانون المبلور من طرف مؤسسات تعكس بصدق إرادة الشعب. الشعب هو مصدر السلطات والسيادة.

لست بحاجة إلى الإشارة إلى أن واقع بلادنا بعيد عن هذه المطامح، وأن انتفاضتكم كشباب أتت بالضبط للتنديد بنظام الزبونية والمحسوبية السائد والفساد المستشري والفوارق الاجتماعية الصادمة والشطط في استعمال السلطة والإفلات من العقاب والتعالي المتعجرف للمسؤولين...

إلا أنني بحاجة إلى البوح أن قلبي وقد أكملت العقد الثامن من عمري تعتصره مخاوف كبرى على ما يمكن أن يؤول إليه مصير مغربنا الحبيب.

أنا خائف على وحدة الوطن لأن المقاربات الأمنية للقضايا السياسية والمعالجات الزبونية للمشاكل الاجتماعية والتعامل الجزئي والظرفي مع متطلبات الإصلاح الهيكلي تؤدي إلى التبديد المتواصل للشعور الجماعي بالانتماء للوطن، حين يصبح الوطن "غفورا رحيما" على البعض فقط و"جحودا متجاهلا "للبعض الآخر... أما حين يصبح البعض المنبوذ المقصي المجحود هو الأغلبية فالوطن يكون فعلا في خطر؛

أنا خائف من أن تستمر معظم نخب الأجيال التي سبقتكم والتي تتبوأ الصدارة داخل الهيئات السياسية والمنظمات الجمعوية والمنابر الإعلامية والمؤسسات الجامعية، مستقرة ومسجونة في وضع التكيف مع "واقع الحال" مبررة رتابته وجموده حينا ومتباكية على غياب قوة فعلية للتغيير أحيانا.

لقد استفاد أصحاب الامتيازات والمتنفذون داخل الدولة من ركون نخب الأجيال السابقة ومنها جيلي إلى الانتظارية وقبول الأمر الواقع ولو على مضض.

أنا خائف من أن يجند المفسدون في بلدنا كل المنتفعين من الوضع القائم ليهاجموا حركتكم النبيلة بأقلامهم وبرامجهم التلفزية ومختلف زبانيتهم.
لأنه إذا كان هناك المترددون الذين يراهنون على انطفاء الشعلة المنيرة التي أطلقتم فهنالك

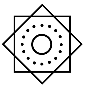
من أهل الفساد الذين لن يترددوا في نسف كل ما هو مشرق وجميل في شعبنا لأنهم خفافيش ظلام لا تترعرع إلا في غياب النور.

ورغم تخوفاتي هذه كشيخ ما يزال يحلم بالأمل الجميل للشعب المغربي فأنا متفائل بأن شبابكم وعنفوانكم بنات وأبناء مغرب الغد سيبددان بإصراركم وبصيرتكم كل المخاوف وسيهزمان مساعي المفسدين الظالمين ومناوشات المأجورين وترددات المترددين وبأن مطالبكم العادلة وعلى رأسها مطلب "الملكية البرلمانية "ربما قد تجد استجابة من طرف ملك البلاد الشاب المسؤول عن وحدة الوطن وطمأنينة الشعب.

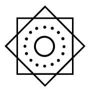
أحييكم يا شباب المغرب يا "بناة المواطنة" تحية إكبار وإجلال واعتزاز فالشعب شعبكم والمغرب بلدكم، قودوه إلى العمل واتجهوا به إلى الأمل.

"

محمد بنسعيد
آيت إيدر
أحد قادة المقاومة وجيش التحرير
مناضل من مؤسسي اليسار المغربي



الفهارس



فهرس الأعلام

ـأـ

°°°°°°°

-ب-

-ت-

-ج-

-ح-

-خ-

-ر-

-ز-

-س-

-ش-

-ص-

-ط-

-ع-

ـ غ ـ

ـ ف ـ

ـ ق ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

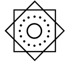
–م–

–ن–

-ه-

-و-

- ي -



فهرس الأمكنة

ـأـ

-ب-

-ت-

-ج-

-ح-

-خ-

-د-

-ر-

-ز-

-س-

-ش-

-ط-

-ع-

-غ-

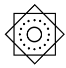
-ف-

-ق-

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ



فهرس التنظيمات

ـأـ

-ج-

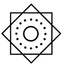
-ح-

ـ ص ـ

ـ ك ـ

ـ ل ـ

ـ م ـ



فهرس المؤسسات

مؤسسات إعلامية

أ_إذاعات

ب_ قنوات تلفزيونية

ج_صحف ومجلات

مؤسسات تجارية

مؤسسات تعليمية

فهرس القبائل

ـ أ ـ

ـ ت ـ

فهرس مواد الكتاب

متن الكتاب

الملاحق

أ- شهادات
في حق محمد بنسعيد

ب- الرسالة

ج - فهارس

